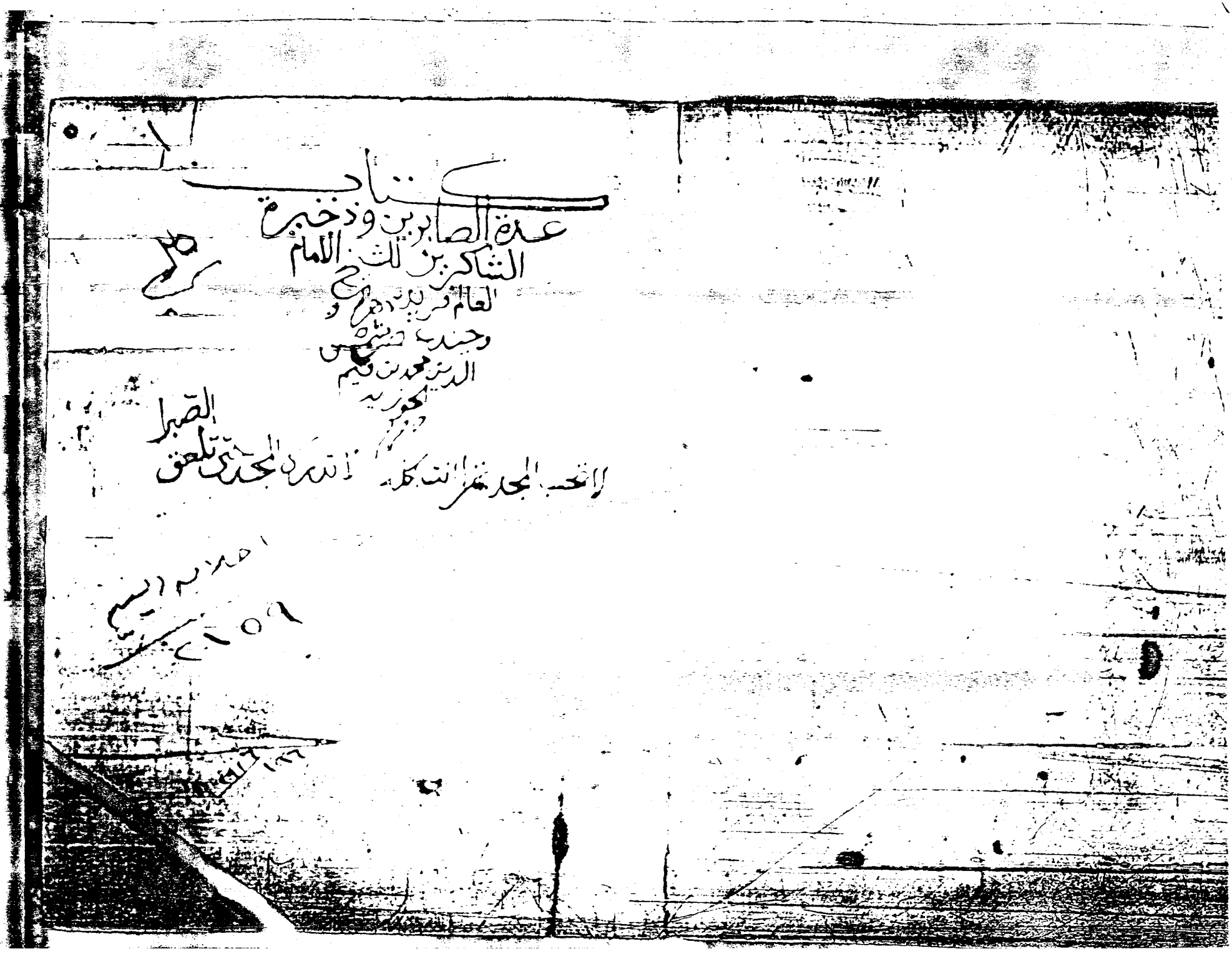
كتاب
عدة الصابرين وذخيرة
الشاكرين لشيخ الامام
العالم الفريد
وحيد
الدين محمد بن قيم
الجوزية
الصبر
لا تحسب المجد تمرا انت آكله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الصبور الشكور العلي الكبير السميع البصير
العليم القدير الذي شملت قدرته كل مقدور وجرت
مشيئته في كل خلق بتصاريف الامور واسمعت دعوته
اليوم الموعود اصحاب القبور قدر مقادير الخلايق واجالهم وكتب
آثارهم واعمالهم وقسم بينهم معايشهم واموالهم وقدر الموت والحياة
ليبلوهم ايهم احسن عملا وهو العزيز الغفور القاهر القادر لكل
شيء عليه يسير وهو المولى النصير فنعم المولى ونعم النصير يسبح له ما
في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون
بصير خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم
واليه المصير يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما
تعلنون والله عليم بذات الصدور واشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له الواحد عن الشبيه والنظير وتعالى عن
الشريك والظهير وتقدس عن تعطيل الملحدين وعن شبه المخلوقين
فيه فليس كمثله شيء وهو السميع البصير واشهد ان محمدا
عبده ورسوله وخيرته من بريته وصفوته من خليقته واتخذه
مبينا على وحيه وسفيرا بينه وبين عباده اعرف الخلق بربهم
بخشيته وانصحهم لامته واصبرهم لحكم وشكرهم لنعمه واقربهم اليه و
وسيلة واعلاهم عنده منزلة واعظمهم عنده جاها واوسعهم
عنده شفاعة بعثه الله الى الخلق داعيا وللايمان مناديا وفي
مرضاته ساعيا وبالمعروف آمرا وعن المنكر ناهيا فبلغ الرسالة
وادى المقالة وصدع بالامر وتحمل في مرضاته ما لم يتحمله بشر سواه

وقام بـ

وقام لله بالصبر والشكر حق القيام حتى بلغ رضاه فثبت
في مقام الصبر حتى حتى لم يلحقه احد من الصابرين ورقى
في درجة الشكر حتى علا فوق جميع الشاكرين فحمده الله
وملايكته ورسله وجميع المؤمنين وكذلك خص بلواء الحمد
من بين جميع المرسلين فادم تحت لوائه وكذلك من دونه من
الانبياء والمرسلين وجعل الحمد فاتحة كتابه الذي انزله عليه
كذلك فيما بلغنا هو في التوراة والانجيل وجعله اخر دعوى اهل
توحيده الذين هداهم على يديه وسمى امته الحامدين قبل
ان يخرجهم الى الوجود لحمدهم له على السراء والضراء والشدة
والرخاء وجعلهم اسبق الامم الى دار الثواب فلكثرة اياديه
الى خلقه اكثرهم حمدا لله وذكرا لانه اعلاهم منزلة اعظمهم
صبرا وشكرا فصلى الله وملايكته وانبياؤه ورسله وجميع
المؤمنين عليه كما وحد الله وعرف به ودعا اليه وسلم تسليما كثيرا

اما بعد فان الله سبحانه جعل الصبر جوادا لا يكبو
وصارما لا ينبو وجندا غالبا لا يهزم وحصنا حصينا لا
يهدم ولا يثلم فهو والنصر اخوان شقيقان لا يفترقان
مرضيعي لبان ثدي لم تفاصلا ساعة سحر داج عوض الا تفرقا فا
لنصر تبع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وهو النصر
لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد ومحله من الظفر
كمحل الراس من الجسد ولقد ضمن الوفي الصادق لاهله في محكم
الكتاب انه يوفيهم اجرهم بغير حساب واخبر انه معهم
بهدايته ونصره العزيز وفتحه المبين فقال تعالى واصبروا
ان الله مع الصابرين وقد ذهب الصابرون بهذه المغنمة
بخير الدنيا والاخرة وفازوا بها دون الناظرين والظاهرين

وجعل سبحانه الامامة في الدين منوطة بالصبر واليقين فقال
تعالى وبقوله اهتدى المهتدون وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا
لما صبروا وكانوا بايتنا يوقنون واخبر ان الصبر خير لاهله خبرا
موكدا باليمين فقال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واخبر ان
مع الصبر والتقوى لا يضر كيد العدو ولو كان ذا تسليط فقال
تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما تعملون
محيط واخبر عن نبيه يوسف الصديق ان صبره وتقواه اوصلاه
الى محل العز والتمكين فقال انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع
اجر المحسنين وعلق الفلاح بالصبر والتقوى فعقل عنه المؤمنون
فقال يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون واخبر عن محبته لاهله وفي ذلك اعظم ترغيب
للراغبين فقال والله يحب الصابرين ولقد بشر الصابرين
بثلاث كل منها خير مما عليه اهل الدنيا يتحاسدون فقال تعالى
وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه
راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون
ووصى عباده بالاستعانة بالصبر والصلوة على نوائب الدنيا و
الدين فقال تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخا
شعين وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظى به الا الصا
برون فقال اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون واخبر
ان الرغبة في ثوابه والاعراض عن الدنيا وزينتها لا يلقاها الا
اولوا الصبر المؤمنون فقال تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم
ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون
واخبر تعالى ان الدفع بالتي هي احسن تحمل المسيئ كانه ولي حميم فقال
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك

وبينه

وبينه عداوة كانه ولي حميم وان هذه الخصلة لا يلقاها
الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واخبر سبحانه خبرا مؤكدا
بالقسم ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا
بالصبر وتواصوا بالحق وقسم خلقه قسمين اصحاب ميمنة واصحاب
مشئمة وخص الميمنة اهل التواصي بالصبر والمرحمة وخص بالا
نتفاع بايات اهل الصبر تمييزا لهم بهذا الحظ الموفور فقال في
اربع ايات من كتابه ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وعلق
المغفرة والاجر بالعمل الصالح والصبر وذلك علم من يسر الله عليه
يسير فقال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة و
اجر كبير واخبر ان الصبر والمغفرة من العزايم التي تمتاز ارباب
الامور فقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وامر رسوله
صلى الله عليه وسلم بالصبر لحكمه واخبر ان الصبر انما هو به
وبذلك جميع المصايب تهون فقال واصبر لحكم ربك فانك باعيننا
وقال واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك
في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
فالصبر اخية للوفاء من التي تحول ثم يرجع اليها وميثاق ايمانه
التي لا اعتماد له الا عليها فلا ايمان لمن لا صبر له وان كان ايمانه
قليل في غاية الضعف وصاحبه ممن يعبد الله على حرف فان
اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر
الدنيا والاخرة ولم يحظ منها الا بالصفقة الخاسرة فخير العيش
عيش الصابرين وبه السعداء بصبرهم وترقوا الى اعلا المنازل بشكرهم
فسار وا بين مفاخر الصبر والشكر الى جنات النعيم وذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فصل
ولما كان الايمان نصفين نصف صبر ونصف شكر وان جسد

والحب لخالقها واثر سعادتها ان لا يهمل هذين الا
ب ولا يعدل عن هذين الطريقين القاصدين
ى الله من هذين الحاجتين ليجعله الله يوم
يقين فلذلك وضع هذا الكتاب للتعريف بعدة
رة اليها وبيان ترتقي سعادة الدنيا والاخرة
ا مع ما خاوياً ما فيه من الفوايد ما هو حقيق
ن الواجد وتثني عليه الخناصر ممتعا لقاريه مريحا
ن المجربين منهضا للمقصرين معرضا للمشمرين مشتملا
ض تفسير القران وعلى احاديث نبوية معزوة
حيحة منسوبة الى قايلها ومسايل فقهية مقررة
ة سلوكية على سواء السبيل لا تخفى معرفة ذلك على
ن في هذا فان فيه ذكر اقسام الصبر ووجوهه
ه وفصل النزاع في التفضيل بين الغني الشاكر والفقير
حقيقة الدنيا وما مثلها الله ورسوله والسلف الصالح
ر هذه الامثال ومطابقتها بحقيقة الحال وذكر
نيا ويجد ومايترتب منها الى الله وبعد وكيف يشقى بها
عد بها من يسعد وغير ذلك من الفوايد التي
في كتاب سواه وذلك محض منة الله على عبده و
ى عطاياه فهو كتاب يصلح للملوك والامراء والا
لصوفية والفقهاء ينهض القاعد الى المسير و
الطريق وينبه السالك على المقصود ومع
القل وفترة المفلس حذر من الداء وان كان
فيه الدواء وان تصير عن تناوله لظلمة وجهله
الاكرمين وارحم الراحمين ان يغفر له عنه

لنفسه

لنفسه بنصيحته لعباده المؤمنين فما كان في الكتاب من صواب
فمن الله وحده وهو الحمد المستعان وما كان فيه من خطاء
فمن مصنفه ومن الشيطان والله بريء منه ورسوله وهذه بضاعة
عته مؤلفه المزجاة تساق اليك وسلامته متعرض عليك فلقارئه
غنمه وعلى مؤلفه غرمه وبنات افكاره تزف اليك فان وجدت
حراكر بما كان بها اسعد والا فهي خود تزف الى عنين مقعد وقد
جعلته ستة وعشرين بابا وخاتمة

الباب الاول في معنى الصبر لغة واشتقاق هذه اللفظة وتصريفها
الباب الثاني في حقيقة الصبر وكلام الناس فيه
الباب الثالث في بيان اسماء الصبر بالاضافة الى متعلقه
الباب الرابع في الفرق بين الصبر والتصبر والاصطبار والمصابرة
الباب الخامس في اقسام الصبر باعتبار محله المؤدى
الباب السادس في اقسامه بحسب قوته وضعفه ومقاومته يحبس المؤدى
وعجزه عنه
الباب السابع في بيان اقسامه باعتباره متعلقه
الباب الثامن في اقسامه باعتبار تعلق الاحكام الخمسة به
الباب التاسع في بيان درجات الصبر ٣ تفاوت هم
الباب العاشر في اقسامه الى محمود ومذموم
الباب الحادي عشر في الفرق بين صبر الكرام وصبر اللئام
الباب الثاني عشر في الاسباب التي تعين على الصبر
الباب الثالث عشر في بيان ان الانسان لا يستغني عن الصبر
في حال من الاحوال
الباب الرابع عشر في بيان اشق الصبر على النفوس
الباب الخامس عشر في ذكر ما ورد في الصبر من نصوص الكتاب العزيز
الباب السادس عشر في ذكر ما ورد فيه من نصوص السنة

الباب السابع عشر في ذكر الآثار الواردة عن الصحابة في فضيلة الصبر
الباب الثامن عشر في ذكر امور تتعلق بالمصيبة من البكاء
والندب وشق الثياب ودعوى الجاهلية ونحوها
الباب التاسع عشر في ان الصبر نصف الايمان والايمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر
الباب العشرون في بيان تنازع الناس في الافضل من الصبر والشكر
الباب الحادي والعشرون في الحكم بين الفريقين والفصل بين
الطائفتين
الباب الثاني والعشرون في اختلاف الناس في الغني الشاكر والفقير
الصابر ايهما افضل وما هو الصواب في ذلك
الباب الثالث والعشرون في ذكر ما احتجب به الاغنياء من
الكتاب والسنة والآثار والاعتبار
الباب الرابع والعشرون في ذكر ما احتجت به الاغنياء من الكتاب
والسنة والاعتبار
الباب الخامس والعشرون في بيان الامور المضادة للصبر والمنافية
له والقادحة فيه
الباب السادس والعشرون في بيان دخول الصبر والشكر في صفات
الرب جل جلاله وتسميته بالصبور الشكور وتسميته عبده
الصابر بن وذخيرة الشاكرين وانس المسؤل ان يجعل خالصا لوجهه مدنيا من رضاه وان ينفع به مؤلفه وكاتبه وقارئه انه
سميع الدعاء واهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل

الباب الاول في معنى الصبر لغة واشتقاق هذه
اللفظة وتصريفها اصل هذه الكلمة هو المنع والحبس فالصبر
حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والتسخط والجوارح
عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوها ويقال صبر يصبر صبرا

وصبر نفسه قال تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم
وقال عنترة
فصبرت عارفة لذلك حر مة ترسو اذا نفس الجبان تطلع
يقول حبست نفسا عارفة وهي نفس حرة تأنف لانفس عبد لا
نفة له وقوله ترسو اي تثبت وتسكن اذا خفت نفس الجبان
واضطربت ويقال صبرت فلانا اذا احبسته وصبرته
لتشديد اذا حملته على الصبر وفي حديث الذي رجلا وقتله
اخر يقتل القاتل ويصبر الصابر اي يحبس للموت كما حبس من
امسكه للموت وصبرت الرجل اذا قتلته صبرا اي امسكته للقتل
وصبرته ايضا واصبرته اذا احبسته للحلف ومنه الحديث الصحيح
من حلف على يمين صبر ليقتطع بها مال امرء مسلم لقي الله وهو عليه
معرض ومنه الحديث الذي في القسامة والا يصبر منكم خمسون
تصر الايمان والمصبورة اليمين المحلوف عليها وفي الحديث نهى
عن المصبورة وهي الشاة والدجاجة ونحوهما تصبر للموت فترمى
ثم ترمى حتى تموت وفعل هذا الباب صبرت اصبر بالفتح في
الماضي والكسر في المستقبل واما صبرت اصبر بالضم في
المستقبل فهي بمعنى الكفالة والصبير الكفيل كانه حبس نفسه للغرم
ومنه قولهم اصبر لي اي جعلني كفيلا وقيل اصل الكلمة من الشدة و
القوة ومنه الصبر للدواء المعروف لشدة مرارته وكراهته قال
صمعج اذا القى الرجل الشدة كما هاقيل لقيها باصبارها ومنه الصبر
بضم الصاد للارض ذات الحصا لشدتها وصلابتها ومنه سمي
الجرم اصبارا ومنه قولهم وقع القوم في امر صبور بتشديد الباء
اي في امر شديد ومنه ضارة الشتا بتخفيف الباء وتشديد الراء الشتاء
بردة وقيل هو ماخوذ من الجمع والضم فالصابر يجمع نفسه و

ويضمها عن الهلع والجزع ومنه ضرة الطعام وضارة الجارة
والتحقيق ان في الصبر المعاني الثلاثة المنع والشدة والعنف و
يقال صر اذا اتى بالصبر وتصبر اذا تكلفه واستدعاه واضطر
اذا اكتسبه وتعلمه وصابر اذا وقف خصمه في مقام الصبر و
صبر نفسه وغيره بالتشديد اذا حملها على الصبر واسم الفاعل صا
بر وصبار وصبور ومصابر ومصطبر فمصابر من صابر و
مصطبر من اصطبر وصابر من صبر واما صبار وصبور فهو
من اوزان المبالغة من الثلاثي كضراب وضروب والله تعالى اعلم

الباب الثاني في حقيقة الصبر وكلام الناس فيه

قد تقدم بيان معناه لغة واما حقيقته فهو خلق فاضل من
اخلاق النفس التي بها صلاح شانها وقوام امرها وسئل عمرو بن عبيد
ابن محمد فقال هو تجرع المرارة من غير تعبس وقال ذو النون
هو التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية و
اظهار الغنا مع حلول الفاقة بساحات المعيشة وقيل الصبر هو الوقوف
مع البلا بحسن الادب وقيل هو الغنا في البلوى بلا ظهور شكوى
وقال ابو عثمان الصابر هو الذي يحمد نفسه الهجوم على المكاره
وقيل الصبر هو القيام مع البلا بحسن الصحبة كالقيام مع العافية
ومعنى هذا ان الصبر على الصعوبة في عافيته وفي بلائه
فعليه ان يحسن صحبة العافية بالشكر وصحبة البلاء بالصبر
وقال عمرو بن عثمان الكل الصبر هو الثبات مع الله وتلقي بلاياه
بالرحب والسعة ومعنى هذا انه يتلقى البلا بصدر واسع
لاستقباله بالصبر والسخط والشكوى وقال الخواص الصبر
الوقوف على احكام الكتاب والسنة وقال روبم الصبر ترك
الشكوى في سره بلا رسم وقال غيره الصبر هو الاستعانة

باسر

باسر وقال ابو علي الصبر كاسمه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
الصبر مطية لا تكبو وقال غيره وهو ابو محمد الجريري الصبر ان
لا يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الجاطر فيها قلت
وهذا غير مقدور ولا مامور فقد ركب الله الطباع على التفريق
بين الحالتين وانما المقدور حبس النفس عن الجزع لاستواء الحالتين
عند العبد وساحة العافية اوسع للعبد من ساحة الصبر
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء المشهور اللهم ان كنت غضبت علي فانا
غير ان عافيتك اوسع لي والبناء على هذا قوله صلى الله عليه وسلم
وما اعطي احد عطاء خيرا واوسع من الصبر فان هذا يعطي ان
البلا ليس للعبد اوسع من الصبر واما قبله فالعافية اوسع له
منه وقال ابو علي الدقاق حد الصبر ان لا يعترض على التقدير
فاما اظهار البلا على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى
في قصة ايوب انا وجدناه صابرا مع قوله مسني الضر قلت فسر اللفظة
بلازمها واما قوله على غير وجه الشكوى فالشكوى نوعان احدهما
الشكوى الى الله فهذا لا ينافي الصبر كما قال يعقوب انما اشكو بثي
وحزني الى الله مع قوله فصبر جميل وقال ايوب مسني الضر مع
وصف الله له بالصبر وقال سيد الصابرين صلوات الله وسلامه
عليه اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي الحديث وترك
موسى عليه السلام اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان
وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بك والنوع الثاني
شكوى المبتلى بلسان الحال او المقال فهذا لا يجامع الصبر
بل يضاده ويبطله فالفرق بين شكواه والشكوى المستعود لغيره
المسئلة في باب اجتماع الشكوى والصبر وافتراقهما ان شاء الله تعالى
وقيل الصبر شجى عن التعبس ومن هنا اخذ القيل النبي عن

صبر ساعة وقيل الصبر ثبات القلب عند موارد الاضطراب
والصبر والجزع ضدان ولهذا يقابل احدهما بالاخر قال تعالى
عن اهل النار سواء علينا اجزعنا ام صبرنا والجزع قرين العجز و
شقيقه والصبر قرين الكيس وقادته فلو سئل الجزع من ابوك
لقال العجز ولو سئل الكيس من ابوك لقال الصبر والنفس مطية
العبد التي يسير عليها الى الجنة او النار والصبر لها بمنزلة الخطام
والزمام للمطية فان لم يكن للمطية خطام والزمام تشردت في كل
مذهب وحفظ من خطب الحجاج اقرعوا هذه النفوس فانها طليعة الى كل سوء فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاما و
زماما فقادها بخطامها الى طاعة الله وصرفها بزمامها عن به
معصية الله فان الله الصبر عن محارم الله ايسر من الصبر على عذا
قلت والنفس فيها قوتان قوة الاقدام وقوة الاحجام فحقيقة
الصبر ان يحبس قوة الاقدام مصروفة الى ما ينفعه وقوة الاحجام
امساكا عما يضره ومن الناس من يكون قوة صبره على فعل ما ينفع
به وثباته عليه اقوى من صبره عما يضره فيصبر على مشقة الطا
عة ولا صبر له عن داعي هواه الى ارتكاب ما نهى عنه ومنهم من
يكون قوة صبره عن المخالفات اقوى من صبره على مشقة
الطاعات ومنهم لا صبر له على هذا ولا هذا وافضل الناس
اصبرهم على النوعين فكثير من الناس يصبر على مكابدة قيام
الليل في الحر والبرد وعلى مشقة الصيام ولا يصبر على نظرة محرمة
وكثير من الناس يصبر عن النظر وعن الالتفات الى المصور و
لا صبر له على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار و
المنافقين بل هو اضعف شيء عن هذا واعجزه واكثرهم لا صبر له
على واحد من الامرين واقلهم اصبر هو في الموضعين وقيل

الصبر ثبات

الصبر ثبات باعث العقل والدين في مقابلة باعث الهوى و
ومعنى هذا ان الطبع يتقاضى ما يحب وباعث العقل والدين
يمنع منه والحرب قائمة بينهما وهي سجال ومعركة هذا الحرب
العبد والصبر الشجاعة والثبات الباب الثالث
في بيان اسماء الصبر بالاضافة الى متعلقه لما كان الصبر الم
الصبر النفساني في الاختياري يسمى احابة الهوى المذموم كان
واسماه بحسب متعلقه فانه ان كان صبرا عن شهوة الفرج
سمي عفة وضدها الفجور والزنا والفحش وان كان عن شهوة
وعدم التسرع الى الطعام او تناول ما لا يحل منه سمي شرف نفس
شبع نفس وسمي ضده شرها ودناءة وضاعة نفس وان كان عن
اظهار ما لا يحسن اظهاره من الكلام سمي كتمان سر وضده اذا
و افشاء او تهمة او فحشا او سبا او كذبا او قذفا وان كان عن فضل
العيش سمي زهدا وضده حرصا وان كان على قدر يكفر من الدنيا
قناعة ويضادها الحرص ايضا وان كان عن اجابة داعي الغ
سمي حلما وضده تسرعا ايضا وان كان عن اجابة داعي الغ
سمي وقارا وثباتا وضده طيشا وخفة وان كان عن احا
داعي الفرار والهرب سمي شجاعة وضده جبنا وخورا وا
كان عن اجابة داعي الانتقام سمي عفوا وصفحا وضده انتقا
وعقوبة وان كان عن اجابة داعي الامساك والبخل سمي جودا
ضده بخلا وان كان عن داعي الطعام والشراب في وقت
سمي صوما وان كان عن اجابة داعي العجز والكسل سمي
وان كان عن اجابة داعي القاء الكل على الناس وعدم حمل
سمي مروءة فلم يعف كل فعل وترك اسم يحصره بحسب متعلقه
الجامع لذلك كله الصبر وهذا يدلك على ارتباط مقام الص

بالصبر كلها من اولها الى اخرها ولذا يسمى عدلا اذا تعلق بالتسوية
بين المتماثلين وضده الظلم ويسمى مساحة اذا تعلق ببذل الواجب
والمستحب بالرضا والاختيار ويعلم هذا جميع مناز ل الدين

الباب الرابع في الفرق بين الصبر والتصبر والاصطبار والمصابرة والفرق بين هذه الاسماء بحسب حال العبد في نفسه وحاله مع غيره فان حبس نفسه ومنعها عن اهابة داعي ما

لا يحسن ان كان خلقا له وملكة سمي صبرا وان كان بتكلف وتمرن وتجرع لمرارته سمي تصبرا كما يدل لعليه هذا البناء لغة فانه موضوع للتكلف كالتحلم والتشجع والتكرم ونحوها واذا تكلفه العبد واستدعاه صار سجية له كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ومن يتصبر يصبره الله وكذلك العبد يتكلف التعفف حتى يصنعه الله ويصير العفاف له سجية وكذلك سائر الاخلاق وهي مسئلة اختلف العلماء فيها الناس هل يمكن اكتساب واحد منها او التخلق لا يصير خلقا ابدا كما قال الشاعر

يراد من القلب نسيانكم وتابى الطباع على الناقل

وقال الاخر فضم التطبع شيمة المطبوع قالوا قد نزع الله سبحانه من الخلق كل الخلق والرزق والاجل وقالت طائفة اخرى بل يمكن اكتساب الخلق كما يكتسب العقل والحلم والجود والسخاوة الشجاعة والوجود شاهد بذلك قالوا والمزاولات تعطي الملكات ومعنى هذا ان من زاول شيئا واعتاده وتمرن عليه صار ملكة له وسجية وطبيعة قالوا والتعويد ينقل الطبايع فلا يزال العبد يتكلف التصبر حتى يصير الصبر له سجية كما انه لا يزال يتكلف التحلم والوقار والسكينة والثبات حتى تصير له اخلاقا بمنزلة الطباع قالوا وقد جعل الله سبحانه في الانسان قوة القبول

والتعلم

والتعلم والتروع للكمال فنقل الطباع عن مقتضياتها غير مستحيل
غير ان هذا الانتقال قد يكون ضعيفا فيعود العبد الى طبعه
باعث وقد يكون قويا ولكن لم ينتقل الطبع انتقالا تاما فقد يعود
طبعه اذا قوي الباعث واشتد وقد يستحكم الانتقال بحيث يصير
صاحبه طبعا ثانيا فهذا لا يكاد يعود الى طبعه الذي انتقل
عنه واما الاصطبار فهو ابلغ من التصبر فانه افتعال للصبر
الاكتساب فالتصبر مبدء الاصطبار كما ان التكسب مقدمة الا
كتساب فلا يزال التصبر يتكرر حتى يصير اصطبارا واما المصابر
في مقاومة الخصم في ميدان الصبر فانها مفاعلة تستدعي وقو
بين اثنين كالمسابقة والمضاربة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبر
وصابروا ورابطوا فامرهم بالصبر وهو حال الصابر في نفسه والمرا
برة وهي حالة في الصبر مع خصمه والمرابطة وهي الثبات واللزوم
والاقامة مع النصبر والمصابرة فقد يصبر العبد ولا يصابر وقد يص
بر ولا يرابط وقد يصبر ويصابر ويرابط من غير تعبد بالتقوى
فاخبر سبحانه ان ملاك ذلك كله التقوى وان الفلاح موقوف عليه
فقال واتقوا الله لعلكم تفلحون فالمرابطة كما انها لزوم الثغر الذي يخا
هجوم العدو منه في الظاهر فهي لزوم ثغر القلب لئلا يدخل منه
الهوى والشيطان فقد يلزم ثغر ولا يلزم ثغر القلب

الباب الخامس في اقسامه بلكتاب محل الصبر ضربان بدني وضرب نفساني وكل

منهما نوعان اختياري واضطراري فهذه اربعة اقسام الا
البدني الاختياري كتعاطي الاعمال الشاقة على البدن اختيارا
ويراد لها الصبر في العمل في الاضطراري كالصبر على الم الضرب والجر
احات والبرد والحر وغير ذلك الثالث النفساني الاختياري

في

كصبر النفس عن فعل ما لا يحسن فعله شرعا ولا عقلا الرابع النفسا
الاضطراري كصبر النفس عن محبوبها وقد اذا حيل بينها وبينه
فاذا عرفت هذه الاقسام فهي مختصة بنوع الانسان دون
البهايم ومشاركة البهايم في نوعين منها وهما صبر البدن والنفس
الاضطراريين وقد يكون بعضها اقوى صبرا من الانسان وانما
تميز الانسان عنها بالنوعين الاختياريين وكثير من الناس
يكون قوة صبره في النوع الذي شاركه فيه البهايم لا في النوع الذي
يختص بالانسان فيعد صابرا وليس من الصابرين فان قيل
هل يشارك الجن الانس في هذا الصبر قيل نعم هذا من لوازم
التكليف وهو مظنة والنهي والجن ملكفون بالصبر على الامر
الاوامر والنصبر عن النواهي كما كلفنا نحن بذلك فان قيل
فهل هم مكلفون على الوجه الذي كلفنا نحن به ام على وجه اخر قيل
ما كان من لوازم النفوس كالحب والبغض والايمان والتصديق
والموالاة والمعاداة فنحن وهم مستوون فيه وما كان من لوازم
الابدان كغسل الجنابة وغسل الاعضاء في الوضوء والاستنجاء والختان
وغسل الحيض ونحو ذلك فلا يجب مساواتهم لنا في كيفيته وان
تعلق ذلك بهم على وجه يناسب خلقتهم وهيأتهم فان قيل
فهل تشاركنا الملايكة في شيء من اقسام الصبر قيل الملايكة
لم يبتلوا بهوى يحارب عقلهم ومعارفهم بل العبادة والطاعة
لهم كالنفس لنا فلا يتصور في حقهم الصبر الذي حقيقته ثبات
باعث الدين والعقل في مقابلة باعث الشهوة والهوى وان كان
لهم صبر يليق بهم وهو ثباتهم وافاتهم على ما خلقوا له من غير منازعة
هوى او شهوة او طبع فالانسان منا اذا غلبت صبره باعث الهوى

والشهوة

والشهوة التحق بالملايكة وان غلب باعث الهوى والشهوة
التحق بالشياطين وان غلب باعث طبعه من الاكل والشرب
صبره التحق بالبهايم قال قتادة خلق الله سبحانه الملا
عقل لا شهوات وخلق البهايم شهوات بلا عقل وخلق
نسان وجعل له عقلا وشهوة فمن غلب عقله شهوته فهو
الملايكة ومن غلبت شهوته عقله فهو كالبهايم ولما خلق الانسان
في ابتداء امره ناقصا لم يخلق فيه الا شهوة الغذاء الذي هو
اليه فصبره في هذا الحال بمنزلة صبر البهايم وليس له قبل تمييز
صبر الاختيار فاذا ظهرت فيه شهوة اللعب استعد لتلقي
الصبر الاختياري على اضعفها فيه فاذا تعلقت به شهوة
ظهرت فيه قوة للصبر فاذا تحرك سلطان العقل وقوي
بجيش الصبر ولكن هذا السلطان وجنده لا يستقلان
سلطان الهوى وجنده فان اشراق نور الهداية يلوح
اول سن التمييز وينمو على التدريج الى سن البلوغ كما يبدو
خيط الفجر ثم يتزايد ظهوره وكلما هدايته واصرة غير مستـ
بادراك مصالح الاخرة ومضارها بل غايتها تعلقها بنقص مصـ
الدنيا ومفاسدها فاذا طلعت عليه شمس النبوة والرسالة وا
عليه نور هدايها في ضوئها تفاصيل مصالح الدارين ومقا
فتتلمح العواقب ويلبس لامة الحرب واخذ انواع الاسلحة
في حومة الحرب مستعينا داعي الطبع والهوى العقل والهدى والملـ
منه بصره الله والمخذول من خذله ولا تضع الحرب اوزارها
يترك في احدى المنزلتين ويصير الى ما خلق له من الدار

الباب السادس في بيان اقسامه بحسب اختلا
وضعفه ومقاومته بجيش الهوى وتحزم تغير باعث

واستسلم لرسلط عليه عقوبة له قال تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين امنوا و
على ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به
مشركون فان قيل فقد اثبت له على اوليائه ههنا سلطانا
فكيف نفاه في قوله حاكيا عنه مقرا لقوله وقال الشيطان لما قضي
الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي
عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقال تعالى ولقد صدق
عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم
من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك
قيل السلطان الذي اثبته له عليهم غير الذي نفاه منه وجهين
احدهما ان السلطان الذي اثبت هو سلطان التملك منهم وتدابير
امرهم وصوفهم اياهم كيف اراد بتمكينهم اياه من ذلك بطاعتهم وموالاته
والسلطان الذي نفاه سلطان الحجة فلم يكن لابليس عليهم من
حجة يتسلط بها غير ان دعاهم فاجابوه بلا حجة ولا برهان
والثاني ان الله لم يجعل له عليهم سلطانا ابتداء البتة ولكن
هم سلطوه على انفسهم بطاعته ودخولهم في جملة جنده وحزبه
فلم يتسلط عليهم بقوته فان كيده ضعيف وانما تسلط عليهم باغرائهم
واختيارهم والمقصود ان من قصد اعظم اوليائه واحبائه
ونصحايه فاخذه واخذ اولاده وحاشيته واسلمهم الى عدوه كان
من عقوبته ان يتسلط عليه ذلك العدو نفسه فصل الحالة
الثالثة ان يكون الحرب سجالا ودولا بين الحزبين فتارة له
وتارة عليه وتكثر نوبات الانتصار وتقل وهذه حال اكثر
المؤمنين الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وتكون الحال يوم
القيمة موازنة لهذه الاحوال الثلاثة سواء بسواء من غير

من يدخل

من يدخل الجنة ولا يدخل النار ومنهم من يدخل النار ولا
الجنة ومنهم من يدخل النار ثم يدخل الجنة وهذه الاحوال الثلا
هي احوال الناس في الصحة والمرض فمن الناس من تقاوم قو
داءه فيقهره ويكون السلطان للقوة ومنهم من يقهر داؤه
ويكون السلطان للداء ومنهم من الحرب بينه وبين داويه وقوته فهو
بين الصحة والمرض فصل ومن الناس من يصبر بجهد
مشقة ومنهم من يصبر بادنى حمل على النفس ومثال الاول كر
صارع رجلا شديدا فلا يقهره الا بتعب او مشقة والثاني
صارع رجلا ضعيفا فانه يصرعه بغير مشقة فهكذا
المصارعة بين حزب الرحمن وجنود الشيطان ومن صرع جنديا
صرع الشيطان قال عبد الله بن مسعود لقد رجال من الانس
من الجن فصار عبد فصرعه الانسي فقال مالي اراك ضئيلا فقال اني
بينهم لضليع فقالوا هو عمر بن الخطاب فقال من تزوجه غير عمر
بعض الصحابة ان المؤمن ينضر شيطانه كما ينضى احدكم بعيره
وذكر ابن ابي الدنيا عن بعض السلف ان شيطانا لقي شيطانا
مالي اراك سمينا فقال اني مع رجل ان اكل ذكر اسم الله تعالى
اكل معه وان شرب ذكر اسم الله فلا اشرب وان دخل بيته ذكر
الله فاستشرب بيت خارج الدار فقال لكني مع رجل ان اكل لم يسم
فاكل وان دخل جميعا وان شرب لم يسم الله فاشرب معه وان
دخل لم يسم الله فادخل معه وان جامع امرأته لم يسم الله فا
معه فمن اعتاد الصبر هانت عليه عدوه ومن عز عليه الصبر
عدوه فاوشك ان ينال منه فرصته الباب
في ذكر اقسامه باعتبار متعلقه الصبر باعتبار

ثلاثة اقسام صبر على الاوامر والطاعات حتى يؤديها وصبر على
النواهي والمنهيات حتى لا يقع فيها وصبر على الاقدار والاقضية
حتى لا يتسخطها وهذه الانواع الثلاثة هي التي قال فيها الشيخ
عبد القادر رحمه الله تعالى في فتوح الغيب لا بد للعبد من امر يفعله
ونهي يجتنبه وقدر يصبر عليه وهذا الكلام يتعلق بطرفين
طرف من جهة الرب فنقول ان الله تعالى له على عبده حكمان حكم
شرعي ديني وحكم كوني قدري فالشرعي متعلق بامره والكوني
متعلق بخلقه وهو سبحانه له الخلق والامر وحكمه الديني الطلبي
نوعان بحسب المطلوب فان المطلوب ان كان محبوبا له فالمطلوب
فعله اما واجبا واما مستحبا ولا يتم ذلك الا بالصبر وان كان مبغوضا
له فالمطلوب تركه اما تحريما واما كراهة وذلك ايضا موقوف على
الصبر فهذا حكمه الديني الشرعي واما حكمه الكوني القدري فهو
ما يقضيه ويقدره على العبد من المصائب التي لا صنع له فيها فوضه
الصبر عليها وفي وجوب الرضا بها قولان للعلماء وهما وجهان في
مذهب الامام احمد اصحهما انه مستحب فرجع الدين كله الى هذه
القواعد الثلاثة فعل المامور وترك المحظور والصبر على المقدور
واما الذي من جهة العبد فانه لا ينفك عن هذه الثلاثة ما دام
مكلفا ولا تسقط عنه هذه الثلاثة حتى يسقط عنه التكليف
فقيام عبودية الامر والنهي والقدر على سباق الصبر لا ستوكي
الاعلية كما لا ستوكي السفلية الا على ساقها فالصبر يتعلق بالمامور
والمحظور والمقدور بالخلق والامر والشيخ دائما يحوم على هذه
الاصول الثلاثة كقوله يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر
على المقدور وهذه الثلاثة هي التي وصى بها لقمان ابنه

في قوله تعالى

في قوله يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر
اصابك فامره بالمعروف يتناول فعله في نفسه وامر غيره به ونهيه
نهيه عن المنكر اما من حيث اطلاق اللفظ فيدخل نفسه وغيره
واما من حيث اللزوم الشرعي فان الامر الناهي لا يستقيم له امر
ونهيه حتى يكون اول مامور ومنهي وذكر هذه الاصول الثلاثة
سبحانه في قوله انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله و
ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون
ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقا
موا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة
السيئة اولئك لهم عقبى الدار فجمع لهم مقامات الاسلام والايمان
او لا وصاف فوصفهم بالوفاء بعهده الذي عاهدهم عليه وذلك
امره ونهيه الذي عهده اليهم بينهم وبينه وبينهم وبين خلقه ثم
عن استمرارهم بالوفاء به بانهم لا يقع منهم نقض ثم وصفهم بانهم يصل
ما امر الله به ان يوصل ويدخل في هذا ظاهر الدين وباطنه وحق
وحق خلقه فيصلون ما بينهم وبين ربهم بعبودية وجهه لا شريك
والقيام بطاعته والانابة اليه والتوكل عليه وحبه وخوفه ورجائه
والتوبة اليه والاستكانة له والخضوع والذلة له والاعتراف له
وشكره عليها والاقرار بالخطية والاستغفار منها وهذه هي الوصلة
بين العبد والرب وقد امر الله بهذه الاسباب التي بينه وبين خلقه
ان يوصل وامرات نصل ما بيننا وبين رسوله بالايمان به وتصديقه
في كل ما اخبر والرضا بحكمه والتسليم له وتقديم محبته على محبة النفس
والولد والوالد والناس اجمعين فدخل في ذلك القيام بحقوقه وحق
رسوله وامر ان نصل ما بيننا وبين الوالدين والاقربين بالبر والصلة
فدخل فيه امر بر الوالدين وصلة الارحام وذلك ما امر به ان يوصل

تاوبين الزوجات بالقيام بحقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف وان
بابيننا وبين الارقاء بان نطعمهم مما ناكل ونكسوهم مما نلبس ولا نكلفهم
فوق طاقتهم وان نفصل مابيننا وبين الجار القريب والبعيد
مات حقه وحفظه في نفسه وماله واهله ما نحفظ به نفوسنا
علينا واموالنا وان نفصل مابيننا وبين الرفيق في السفر والحضر وان نفصل
بيننا وبين عموم الناس بان ناتي اليهم مما نحب ان ياتوه اليناوان
ر مابيننا وبين الحفظة الكرام الكاتبين بان نكرمهم ونستحي
م كما يستحي الرجل من جليسه ومن هو معه ممن يجله ويكرمه
هذا كله مما امر الله ان يوصل ثم وصفهم باكمل لهم على هذه الصلة
خشيته وخوف سوء الحساب يوم المآب فقال تعالى ويخشون ربهم
يخافون سوء الحساب ولا يمكن احد قط ان يصل ما امر الله ان يوصل
خشيته ومتى ترحلت الخشية من القلب انقطعت هذه
صل ثم جمع لهم سبحانه ذلك كله في اصل واحد هو اخية ذلك
عد تر ومداره الذي يدور عليه وهو الصبر فقال والذين
بروا ابتغاء وجه ربهم فلم يكتف منهم بمجرد الصبر حتى يكون
صالوجه ثم ذكر لهم ما يعينهم على الصبر وهو الصلوة فقال
اموا الصلوة وهذان هما العونان على مصالح الدنيا والاخرة وهما
بر والصلوة قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وانها
يرة الا على الخاشعين وقال يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر
صلوة ان الله مع الصابرين ثم ذكر سبحانه احسانهم الى غيرهم
نفاق عليهم سرا وعلانية فاحسنوا الى انفسهم بالصبر والصلوة
غيرهم بالانفاق عليهم ثم ذكر حالهم اذا جهل عليهم واوذوا
م لا يقابلون ذلك بمثله بل يدرؤن بالحسنة السيئة فيحسنون الى من
ئ اليهم فقال ويدرؤن بالحسنة السيئة وقد فسر هذا

الدراية بالام يدرؤون الذنب بالحسنة بعده كما قال تعالى ان الحسنات
هبن السيئات وقال النبي صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة
حها والتحقيق ان الايتين تتناولهما والمقصود ان هذه الايات تناو
ت مقامات الاسلام والايمان كلها واشتملت على فعل المامور وترك
المحظور والصبر على المقدور وقد ذكرنا هذه الاصول الثلاثة
في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فكل
موضع قرن فيه التقوى بالصبر اشتمل على الامور الثلاثة فان حقيقة
التقوى فعل المامور وترك المحظور الباب الثامن في انقسا
مه باعتبار تعلق الاحكام الخمسة به وهو ينقسم بهذا الاعتبار
الى واجب ومندوب ومحظور ومكروه ومباح فالصبر الواجب
ثلاثة انواع احدها الصبر عن المحرمات والثاني الصبر على اداء
الواجبات والثالث الصبر على المصايب التي لا صنع للعبد فيها كالا
مراض والفقر وغيرها واما الصبر المندوب فهو الصبر عن المكروهات
والصبر على المستحبات والصبر عن مقابلة الجاني بمثل فعله واما
الصبر المحظور فانواع احدها الصبر عن الطعام والشراب حتى
يموت وكذلك الصبر عن الميتة والدم ولحم الخنزير عند المخمصة
حرام اذا خاف شرکه الموت قال طاوس وبعده الامام احمد من اضطر
الى اكل الميتة والدم فلم ياكل فمات دخل النار فان قيل فانتم تقولون في الصبر
عن المسئلة في هذه قال قيل اختلف في حكمه هو حرام ام مباح على
قولين هما لاصحاب احمد وظاهر نصه ان الصبر عن المسئلة جايز
فانه قيل له اذا خاف ان لم يسال ان يموت فقال لا يموت يا تيه الله برزقه
او قال فاحد منع وقوع المسئلة ومتى علم الله ضرورته وصدق فيه
ترك المسئلة فيض الله رزقا وقال كثير من اصحاب احمد والشافعي يجب

عليه المسئلة وانما يسأل كان عاصيا لان المسئلة تتضمن بحاشة
من التلف **فصل** ومن الصبر المحظور صبر الانسان
على ما يقصد هلاكه من سبع او حية او حريق او ماء او كافر يريد
قتله بخلاف استسلامه وصبره في الفتنة وقتال المسلمين فانه مباح
لم يزل يستحب الصبر كما دلت عليه النصوص الكثيرة وقد سئل النبي
صلى الله عليه وسلم عن هذه المسئلة بعينها فقال كن كخير ابن ادم
وفي لفظ كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وفي لفظ اخر
دعه يبوء باثمه واثمك وفي لفظ اخر فان بهرك شعاع السيف فضع
يدك على وجهك وقد حكى الله سبحانه استسلام خير ابني ادم و
صبره واثنى عليه بذلك وهذا بخلاف قتل الكافر فانه يجب عليه
الدفع عن نفسه لانه من مقصود الجهاد ان يدفع عن نفسه وعن
المسلمين واما قتال اللصوص فهل يجب فيه الدفع او يجوز الاستسلام
فان كان معصوم الغير وجب واما عن نفسه فظاهر نصه انه
لا يجب الدفع واوجبه بعضهم ولا يجوز الصبر عن من قصده او حرمته
بالفاحشة **فصل** واما الصبر المكروه فله امثلة احدها
ان يصبر عن الطعام والشراب واللبس وجماع اهله حتى يتضرر بذ
لك بتنزه الثاني صبره عن جماع زوجته اذا احتاجت الى ذلك
ولم يتضرر به الثالث صبره على فعل المكروه الرابع صبره عن
فعل المستحب **فصل** واما الصبر المباح وهو الصبر عن
فعل مستوى الطرفين خير بين تركه وفعله والصبر عليه
بالجملة فالصبر على الواجب واجب وعن الواجب حرام وا
لصبر عن الحرام واجب وعليه حرام والصبر على المستحب مستحب
عنه مكروه والصبر عن المكروه مستحب وعليه مكروه والصبر
عن المباح مباح والله اعلم **الباب التاسع في بيان**

تفاوت

في بيان تفاوت الصبر الصبر كما تقدم نوعان اختياري وا
والاختياري اكمل من الاضطراري فان الاضطراري يشترك فيه
ويتاتى من الايتاني منه الصبر اختيارا وكذلك كان صبر يوسف
عليه الصلوة والسلام عن مطاوعة امراة العزيز وصبره على
من ذلك من الحبس والمكروه اعظم من صبره على ما ناله من
لما القوه في الجب وفرق بينه وبين ابيه وباعوه بيع العبيد ومن
الثاني ما اشتاه الله تعالى من الغم والرفعة والملك والتمكن في الار
وكذلك صبر الخليل والكليم وصبر نوح وصبر المسيح وصبر خاتم الا
وسيد ولد ادم كان صبره اعلى الدعوة الى الله ومجاهدة اعد
الله ولهذا ساهم الله اولوا العزم وامر رسوله ان يصبر صبرهم
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واولوا العزم هم المذكورون في
قي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما
به ابرهيم وموسى وعيسى وفي قوله واذ اخذنا من النبيين
قهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذ
ميثاقا غليظا كذلك قال ابن عباس وغيره من السلف ونهاه
ان يتشبه بصاحب الحوت حيث لم يصبر صبر اولي العزم فقال
لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وهنا
وهو ان يقال ما العامل في الظرف وهو قوله اذ نادى ولا يمكن ان يكو
الفعل المنهي عنه اذ يصير المعنى لا تكن مثله في ندائه وقد اثنى الله
عليه في هذا النداء فاخبر انه نجاه به فقال وذا النون اذ ذهب
ضا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت
ان كنت من الظالمين فلا يمكن ان ينهى عن الصبر به في هذه الا
وهو النداء الذي نادى به ربه وانما نهي عن فاستجبنا له ونجيناه
الغم وكذلك ننجي المؤمنين وفي الترمذي وغيره عن النبي

انه قال دعوة اخي ذي النون اذ دعا بها في بطن الحوت ما دعا بها مكروب
وهو الا فرج الله عنه الا الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
فلا يمكن ان ينهى عن التشبه به في هذه الدعوة وهي الدعوة الذي نادى
به ربه وانما نهي عن التشبه به في السبب الذي افضى به الى هذه
المناداة وهو معاضبته التي افضت به الى حبسه في بطن الحوت
وشدة ذلك عليه حين نادى ربه وهو مكظوم والمكظوم والكظيم
والكاظم الذي قد امتلأ غيظا او غضبا او هما وحزنا وكظم عليه فلم
يخرجه فان قيل وعلى ذلك فالعامل في الظرف قيل ما في صاحب الحوت
من معنى الفعل فان قيل فالسوال بعد قائم فانه اذا قيد النهي عنه
بقيد او زمن كان داخلا في حيز النهي فاذا كان المعنى لا تكن مثل
من صحب الحوت في هذه الحال وهذا في الوقت كان نهيا عن تلك
الحالة قيل لما كان نداوه مسببا عن كونه صاحب الحوت فنهي ان
يتشبه به في الحالة التي اقتضت به الى صحبة الحوت والمراد وهي ضعف
العزيمة والصبر لحكم تعالى ولم يقل تعالى ولا تكن كصاحب الحوت
اذ ذهب مغاضبا فالتقم الحوت فنادى بل طوى القصة واختصرها
واحالها على ما ذكرها في الموضع الاخر واكتفى بغايتها وما انتهت اليه
فان قيل فما منعكم من تقويض الظرف بنفس الفعل المنهي عنه
اي لا تكن متبلما في ندائه وهو ممتلئ غيظا وهما وغما ليكون نداؤه
نداء راض بما قضي عليه قد تلقاه بالرضا والتسليم وسعة الصدر
لا نداء الكظيم قيل هذا المعنى وان كان صحيحا فلم يقع النهي
عن التشبه به في مجرده وانما نهي عن التشبه به في الحال التي
حملته على ذهابه مغاضبا حتى سجن في بطن الحوت وقيل عليه قم
فاصبر لحكم ربك ثم قال ولا تكن كصاحب الحوت اي في ضعف صبره
لحكم ربه فان الحالة التي نهي عن صدها كالحالة التي امر بها فان قيل

لما منعكم

فلما منعكم ان تصبروا لى اشرتم بالصبر لحكم الكوني القدري الذي لا
يقدره عليه ولا يكون كصاحب الحوت حيث لم يصبر عليه نادى
وهو كظيم لكشفه فلم يصبر على احتماله والسكوت تحته فمثل
منع من حركته ان لا اله الا انت سبحانك اشتكى على يونس وغيره من انبيائه
سوء الهم اياه كشف ما بهم من الضر وقد اثنى سبحانه بذلك بقوله
وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات
ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه
من الغم فكيف ينهى عن التشبه به فيما يثني عليه ويمدح به
وكذلك اثنى على ايوب بقوله نعم العبد انه اواب وقال حكاية عن يعقوب بقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وعلى موسى بقوله رب
اني لما انزلت الي من خير فقير وقد شكى الى الخضر خاتم انبيائه ورسله بقوله
اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي الحديث فالشكوى الى الله سبحانه
لا تنافي الصبر الجميل بل الاعراض عنه عن الشكوى الى غيره جملة وجعل
الشكوى اليه وحده هو الصبر والله سبحانه ويعاتبهم على عدم تضرعهم اليه
شكواه وتضرعه ودعاءه وقد ذم سبحانه من لم يتضرع اليه وقت البلاء كما قال
لقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم
وما يتضرعون والعذاب اضعف ان يتحلل عزيمة الرب والرب تعالى لم يرد من
عبده ان يتحلل عليه بل اراد منه ان يستكين له ويتضرع اليه وهو يعاقبه
تحت شكواه الى الخلق ويحب من يشكو اما اليه وقيل لبعضهم كيف
تشكي اليه ما لا يخفى عليه فقال لو لم اشكو اليه ما ليس يخفى عليه
وعلمت رضى يرضى دل العبيد اليه والمقصود ان سبحانه امر رسوله
صلى الله عليه وسلم ان يصبر صبرا اولي العزم الذين صبر والحكم
هذا اكمل الصبر وقد اذا رت قصة الشاعر تقوم
يمة على هؤلاء حين ردوها الى افضلهم وخيرهم واصبرهم

حكم الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فان قيل فاي
نواع الصبر الثلاثة اكمل الصبر على المامور ام الصبر على المقدو
ل الصبر المتعلق بالتكليف وهو الامر والنهي افضل من الصبر على
مر القدر فان هذا الصبر ياتي به البر والفاجر والمؤمن
والكافر فلابد لكل احد من الصبر على القدر اختيارا او
ضطرارا واما الصبر على الاوامر والنواهي فصبر اتباع الرسل
اعظمها اتباعا اصبرهم في ذلك وكل صبر في محله وموضعه ا
فضل فالصبر عن الحرام في محله افضل وعلى الطاعة في محلها افضل
ن قيل فاي الصبرين اوجب الى الله صبر من يصبر على اولو
عسر من يصبر عن محارمه قيل هذا موضع تنازع فيه الناس
الت طايفة الصبر عن المخالفات افضل لانه اشق واصعب
اعمال البر يفعلها البر والفاجر ولا يصبر عن المخالفات الا
صديقون قالوا ولان الصبر عن المحرمات صبر على مخالفة
ي النفس وهو اشق شيء وافضله قالوا ولان ترك المحبوب
ي تحبه النفوس دليل على ان تركه لاجل احب اليه من تقدمه
واه بخلاف فعل ما يحبه المحبوب فانه لا يستلزم ذلك قالوا
ما فالمروءة والفتوة كلها في هذا الصبر كما قال الامام احمد
قوة ترك ما تهوى لمخشى فروة العبد وفتوته بحسب
ذا الصبر قالوا وليس العجب ممن يصبر على الاوامر فان اكثرها
حظوظ للنفوس الفاضلة الزكية بل العجب ممن يصبر عن المحا
عجم اكثرها محاب النفوس صيرها لما فيها من العدل و
الاحسان والاخلاص والبر وهذه محاب النفوس الفاضلة
لزكية بل العجب ممن يصبر عن المناهي التي اكثرها محاب النفوس
تبرك المحبوب العاجل في هذه الدار للمحبوب الاجل في دار

اخرى

اخرى والنفس موكلة بحب العاجل وصبرها عنه مخالف لطبعها
قالوا ولان المناهي اربعة دواع يتبعوا اليها نفس الانسان
وشيطانه وهواه ودنياه فلا يتركها حتى يجاهد هذه
الاربعة حق الجهاد وذلك اشق من شروع على النفس وامر قالوا
فالمناهي من باب حمية النفوس عن مشتهياتها ولذاتها والكمية
موقام داعي التناول وقوته من اصعف شيء وانقه قالوا و
لذلك كان باب قربات النهي مسدودا كله وباب الامر انما يتعذ
منه المستطاع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بامر فاتوا منه
ما استطعتم ونهيتكم عنه فاجتنبوه فدل على ان باب المنه
اضيق من باب المامورات وانه لم يرخص في ارتكاب شيء منه
كما رخص في ترك بعض المامورات للعجز قالوا ولهذا كانت
عامة العقوبات من الحدود وغيرها على ارتكاب المنهيات
ترك المامور فان الله سبحانه لم يرتب عليه جزاء معينا قالوا و
عظم المامورات الصلوة وقد اختلف هل عليه حد ام لا فتض
فهذا بعض ما احتجت به هذه الطايفة وقالت طايفة اخر
بل الصبر على فعل المامور افضل واجل من الصبر عن المحظور لان فعل
المامور احب الى الله من ترك المحظور والصبر على احب الامرين
اليه افضل واعلى وبيان ذلك من وجوه احدها ان فعل المامور
متضمن لذاته فهو مشروع شرع المقاصد فان معرفة الله وتو
وعبوديته وحده والانابة اليه والتوكل عليه والاخلاص له
ومحبته والرضا عنه والقيام في خدمته هو الغاية التي خلق لها الخلق
وبذلك امر به الامر وذلك امر مقصود لنفسه والمنهيات انما نهي عنها
لانها صادة عن ذلك او شاغلة عنه او معوقة او مضعفة له لكن
ولذلك كانت درجاتها في النهي بحسب صدها عن المامور

وتعمى بها عنه وتقفيها لكماله فهي مقصودة لغيرها والمامور
مقصود لنفسه فلو لم يصد الخمر والميسر عن ذكر الله وعن الصلوة
وعن التواد والتحاب الذي وضعه الله بين عباده لما جرمه
وكذلك لو لم يحل بين العبد وبين عقله الذي يتميز به يعرف الله
ويعبده ويحمده ويفعل له ويسعد لما حرمه وكذلك سائر ما
حرمه ولانه يصد عن ما يحبه ويرضاه ويحول بين العبد وبين
الكمالة الثاني ان المامورات متعلقة بمعرفة الله وتوحيده وعبادته وذكره وشكره ومحبته والتوكل عليه والانابة اليه متعلقها
ذات الرب تعالى واسماؤه وصفاته ومتعلق المنهيات ذوات الاشيا
المنهي عنها والوقوف من اعظم ما يكون الثالث ان ضرورة العبد
وحاجته الى فعل المامور اعظم من ضرورته الى ترك المحظور فان
ليس الى شيء اضر واحوج واشد فاقة منه الى معرفة ربه وتوحيده واخلاص العمل له وافراده بالعبودية والمحبة والطاعة
وضرورته الى ذلك اعظم من ضرورته الى نفسه ونفسه وحياته
اعظم من ضرورته الى غذائه الذي به قوام بدنه بل هذا لقلبه وروحه
كالحياة والغذاء لبدنه وهو انما هو انسان بروحه وقلبه لا ببدنه
وقالبه كما قيل

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته ... انت بالقلب لا بالجسم انسان

وترك المنهي انما شرع له تحصيلا لهذا الامر الذي هو اضر شيء واحوج
واقرم اليه الرابع ان ترك المنهي من باب التخلية وفعل المامور من
باب حفظ القوة والغذاء الذي لا تقوم البنية بدونه ولا تحصل
الحياة الا به فقد يعيش الانسان مع ترك التحية وان كان عليلا
اشد ما يكون علة ولا يعيش بدون القوة والغذاء الذي
يحفظها فهذا مثل المامورات والمنهيات الخامس

ان الذنوب كلها ترجع الى اصلين ترك المامور وفعل
فعل العبد المحظور كله من اوله الى آخره حيا
بيان بادنى ادنى مثقال ذرة منه يحل بذلك من اخلود في النار
ترك كل محظور وفي ايات بما مورا الايمان كان مخلدا في النار
شيء مما قيل الذر منه يخرج من النار لا شيء اوزن الحاقه منه
مضاعفة لا يقتضي الخلود في النار مع وجود ذلك المامور واذ
منذ السادس ان جميع المحظورات من اولها الى آخرها يسقط
التوبة ولا يسقط المامورات كلها الا بالشرك والوفاة ولا خلاف
ان كل محظور يسقط بالتوبة منه وختلفوا هل يسقط الطاعة
وفي المسئلة نزاع وتفصيل وليس هذا موضعه التاسع ان
الاب كان بفعل المحظور فكان عاقبته ان اجتباه ربه فتاب عليه
وذنب ابليس كان بترك المامور فكان عاقبته ما ذكر الله
جعل هذا عبرة للذرية الى يوم القيمة الثامن ان المامور مقصود
تعالى والمنهي مكروه له وهو سبحانه انما قدره وقضاه لا ليكون
حصول محبوبه من عبده ومن يعلم سبحانه انه من عنده فالتوبة والا
استغفار والخضوع والذل والانكسار وغير ذلك واما من يعلم
المغفرة والتوبة على العبد والعفو عنه والصفح والحلم والتجاوز عن حقه
وغير ذلك مما هو احب اليه تعالى من فواته بعدم تقدير ما يكره
كان انما قدر ما يكره لانه يكون وسيلة الى محبته علما منه بحصول
هو الغاية ففوات محبوبه البغيض اليه واكره له من حصول مبغوضه
بل اذا توقف على حصول مبغوضه ما يحبه من وجه آخر كان المبغوض
من اراد الوجه الى سائل كما كان النهي عنها واكراهه كذلك واما
المحب فارادته ارادة المقاصد كما تقدم وهو سبحانه انما خلق الخلق
لاجل محبوبه وما موره وهو عبادته وحده كما قال تعالى

كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقد مر وهو
ومنفوض تكميلا لهذه الغاية التي خلق خلقه لاجلها فانه ترتب
عليه من المامورات ما لم يحصل بدونه تقديرا كالجهاد الذي هو
احب العمل اليه والموالاة فيه ولو لا محبته لهذه المامورات لما قدر
من المكروه له ما يكون سببا لحصولها التاسع ان ترك المحظور لا يكون
قربة ما لم يقارنه فعل المامور فلو ترك العبد كل محظور ولم ينته
الله عليه حتى يقارنه مامور الايمان وكذلك المؤمن لا يكون تركه
للمحظور قربة حتى يقارنه مامور النية بحيث يكون تركه لسبب
فاقتر تركه المنهيات في كونه قربة يثاب عليها الى فعل المامور ولا
يفتقر فعل المامور في كونه قربة وطاعة الى ترك المحظور ولو افتقر
اليه لم يقبل الله طاعة من عصاه ابدا وهذا باطل العاشر
ان المنهي عنه مطلوب اعدامه والمامور مطلوب ايجاده
والمراد اتحاد هذا واعدام هذا فاذا اعدم المامور لم ينتفع
عدم المحظور واذا وجد المامور فقد استعان به على دفع المحظور
او دفع اثره فوجود القوة والمرض خير من عدم الحياة والمرض
الحادي عشر ان باب المامور اكسب فيه بعشرة امثالها الى سبعمائة
ضعف الى اضعاف كثيرة وباب المحظور السيئة فيه بمثلها وهي قصد
الزوال بالتوبة والاستغفار والحسنة الماحية والمصيبة المكفرة والا
استغفار الملائكة للمؤمنين واستغفار بعضهم لبعض وغير ذلك
وهذا يدل على انه احب الى الله من عدم المنهي عنه الثاني عشر
ان باب المنهيات يمحق الله سبحانه ويبطل اثره بامور عديدة من
فعل العبد وغيره فانه يبطله بالتوبة النصوح وبالاستغفار
وبالحسنات الماحية وبالمصائب المكفرة وباستغفار الملائكة
وبدعاء المؤمنين فهذه ستة في حال الحياة وبتشديد الموت

وكربه

وكربه عليه وسياقه فهذا عند مفارقة الدنيا وهو المطلوب
الملكي في القبر وضغطته وعصرته الموبخة الموقعة
وصعوبته وشفاعة الشافعين فيه ورحمة ارحم الراحمين له
عمرت هذه الامور فلا بد من دخول النار ويكون لبثه فيها
قدر بقاء خبثه ودرنه فان الله حرم بجنة الا على كل طيب فاذا
درنه ودسمه وخبثه فيه فهي في كير التطهير حتى يتصفا من
ذلك الوسخ والخبث واما باب المامورات فلا يبطله الا الشرك
الثالث عشر ان جزاء المامورات الثواب وهو من باب الاحسان
والفضل والرحمة وجزاء المنهيات العقوبة وهو من باب العدل
والعدل ورحمته سبحانه تغلب غضبه فالتعلق بالرحمة والعفو
احب اليه ما تعلق بالغضب والعدل وتعطيل ما تعلق بالرحمة
اكره اليه من فعل ما تعلق بالغضب الرابع عشر ان باب المنهيات
تسقط الالاف المؤلفة منه بالواحدة من المامورات وباب
المامورات لا تسقط الواحدة منه الالاف المؤلفة الخامس عشر ان
متعلق المامور الفعل وهو صفة كمال بل كمال المخلوق من
فعله فانه فعل فكمل ومتعلق النهي الترك والترك عدم ومن حيث
كذلك لا يكون كمالا فان العدم المحض ليس بكمال وانما يكون كمالا
يتضمنه او يستلزمه من الفعل الوجودي المامور الذي هو سبب
الكمال واما ان يكون مجرد الترك الذي هو عدم محض كالا او سببا
للكمال فلا مثال لذلك انه لو ترك السجود للصنم لم يكن كمالا في مجرد
هذا الترك ما لم يسجد لله عز وجل والا فلو ترك السجود لله وللصنم لم
يكن ذلك كمالا فكذلك لو ترك تكذيب الرسول ومعاداته لم يكن
بذلك مؤمنا ما لم يفعل ضد ذلك من التصديق واكب له وموالاته
وطاعته فعلم ان الكمال كله في المامورات وان المنهي عنه

لم يتصل به فعل المامور لم يفد شيئا ولم يكن كما لا فان الرجل لو قال
للرسول لا اكذبك ولا اصدقك ولا اواليك ولا اعاديك ولا
احاربك ولا احاربك من يحاربك لكان كافرا ولم يكن هؤلاء
بترك معاداته وتكذيبه ومحاربته مالم يات بالفعل الوجودي
الذي امر به السادس عشر ان العبد اذا اتى المامور به
على وجه ترك المنهي عنه فالمنهي عنه في الحقيقة فعله هو تركه
لترك المامور واضاعته فان العبد اذا فعل ما امر به من
العدل والعفة امتنع صدور الظلم والفواحش منه فتفعل العدل
يتضمن ترك الظلم ونفس العفة تتضمن ترك الفواحش فدخل
ترك المنهي عنه في المامور به ضمنا وتبعا وليس كذلك في عكسه
فان ترك المحظور لا يتضمن فعل المامور وان العبد قد يتركهما
معا فما تقدم فعلم ان القصد هو اقامة الامر على وجهه ومع
ذلك لا يمكن ان تكف المنهي عنه البتة واما ترك المنهي فانه لا يستلزم
اقامة الامر السابع عشر ان الرب تعالى اذا امر عبده بامر ونهاه عن
امر ففعلها جميعا كان قد حصل محبوب الرب ونقيضه فقد
تقدم له من محبوبه ما يدفع شر بغيضه وبقاؤه مرجوحا اذا
كان فعل ذلك المحبوب احب اليه من ترك ذلك المكروه البغيض
فيهب له بجائزة ما فعل من هذا بطاعته ويتحاوز له عما فعل
من الاخر ونظير هذا في الشاهد ان يقتل الرجل عدوا للملك
هو حريص على قتله ثم يشرب مسكرا تنهاه الملك عن شربه فانه
يتحاوز له عن هذه الزلة بل عن امثالها لما هذا حب ما اتى به من
محبوب له واما اذا ترك محبوبه وتقيضه فانه لا يغفر له ترك تقيضه
بمصلحة فعل محبوبه بل كما اذا امر الملك عبده بقتل عدوه
ونهاه عن شرب المسكر فعصاه في قتل عدوه مع قدرته عليه

وترك شربه

وترك شرب المسكر فان الملك لا يحب له ترجيح ترك امره في
جنب ترك ما نهاه عنه وقد قطر الله سبحانه عباده على هذا
فهكذا السادات مع عبيدهم والآباء مع اولادهم والملوك مع
جندهم والزوجات مع ازواجهم ليس التارك منهم محبوب
الامر ومكروهه بمنزلة الفاعل منهم محبوب الامر ومكروهه بمنزلة
الفاعل منهم محبوب امره وبغض مكروهه يوضحه
الوجه الثامن عشر ان فاعل محبوب الرب يستحيل ان يفعل
جميع مكروهه بقدر ما اتى به من محبوبه فيستحيل الاتيان بجميع
مكروهه وهو يفعل ما احبه او بعضه فغايته انه اجتمع له الامران
فيحبه الرب تعالى من وجه ويبغضه من وجه واما اذا ترك
المامور به جملة وانه لم يقم به ما يحبه الرب عليه فان مجرد ترك
المنهي لا يكون طاعة الا فيما انه بالمامور كما تقدم فلا يحبه على
مجرد الترك وهو سبحانه يكرهه ويبغضه على مخالفة الامر فصار
معوضا للرب تعالى من كل وجه اذ ليس فيه ما يحبه الرب
عليه فتامله يوضحه الوجه التاسع عشر وهو ان الله تعالى
لم يعلق محنة الامر وجودي امر بها اما او استحبها ولم يعلقها
بالترك من حيث هو ترك ولا في موضع واحد فانه يحب التوابين
ويحب المحسنين ويحب الشاكرين ويحب الصابرين ويحب المتطهرين
ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وفي
يحب المتقين ويحب الذاكرين ويحب المتصدقين وهو سبحانه انما
علق محبته بامره اذ هي المقصود من الخلق والامر كما قال تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فما خلق الخلق الا لقيامهم
بامره ونهيهم الا عما يصدهم عن قيامهم بامره ويعلق نهيهم عنها
يوضحه الوجه العشرين وهو ان المنهيات لو لم تقصد على

عن المامورات وتمنع وقوعها على الوجه الذي امر الله بها لم يكن
للمنهي عنها معنى وانما نهى عنها لمضادتها الاوامر ومنعوقيعها
وصدها عنها فالنهي عنها من باب التكميل والتتمة للمامور وهو
بمنزلة تنظيف طرق الماء ليجري فيها زيد معوق فالامر بمنزلة
الماء الذي ارسل في نهر الحياة للبلاد والعباد والنهي تنظيف طرقه
ومجراه وتنقيتها مما يعوق الماء والامر بمنزلة القوة والحياة فالنهي
بمنزلة الحمية اي فائدة للقوة والدواء الخادم لها قالوا واذا تبين
ان فعل المامور افضل فالصبر عليه افضل انواع الصبر ويليه
عليه الصبر عن المحظور والصبر على المقدور فان الصبر الاول
يتضمن الصبر الاخير دون العكس وتدبر هذا من هذا
ان الانواع الثلاثة متلازمة وكل نوع منها معين على النوعين
الاخرين وان كان من الناس من قوة صبره على المقدور واذا
جاء الامر والنهي فقوة صبره هناك ضعيفة ومنهم من هو بالعكس
في ذلك ومنهم من قوة صبره في جانب الامر اقوى ومنهم من هو بالعكس والله اعلم

الباب العاشر

في انقسام الصبر الى محمود ومذموم الصبر ينقسم الى قسمين
قسم مذموم وقسم ممدوح فالمذموم الصبر عن امر واراده
ومحبته وسير القلب اليه فان هذا الصبر يتضمن تعطيل كمال
العبد بالكلية وتفويت ما خلق له وهذا كما انه اقبح الصبر
فهو اعظمه وابلغه فانه لا صبر ابلغ من صبر من يصبر عن محبوبه
الذي لا حياة له بدونه البتة كما انه لا زهد ابلغ من زهد
الزاهد فيما اعد الله لاوليائه من كرامته ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فالزهد في هذا اعظم
انواع الزهد وابلغها كما قال رجل لبعض الزاهدين وقد

تعجب من زهده

تعجب من زهده ما رايت ازهد منك فقال بل انت ازهد مني
انا زهدت في الدنيا وهي لا تساوي شيئا وانت زهدت في
الاخرة فمن زهد منا قال يحيى بن معاذ الرازي صبر الحمير
اعجب من صبر الزاهدين واعجائب يصبرون وفي هذا قيل

الصبر يحمد في المواطن كلها ... الا عليك فانه لا يحمد

ووقف رجل على الشبلي فقال اي الصبر اشد على الصابرين فقال الصبر
في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال فاي شيء
هو قال الصبر عن الله تعالى فقال فصرخ الشبلي صرخة كادت
روحه تزهق وقيل الصبر مع الله وفا والصبر عن الله جفا وقد جمع
الناس على ان الصبر عن المحبوب غير محمود اذا كان كمال العبد وفلاحه في محبته ولم يزل الاحباب تعيب المحبين بالصبر عنهم كما قيل

والصبر عنك مذموم عواقبه ... والصبر في شتى الاشياء محمود

وقال اخر

اذا لعب الرجال بكل شيء ... رايت الحب يلعب بالرجال

وكيف الصبر عمن حل مني ... بمنزلة اليمين مع الشمال

وشكى اخر الى محبوبه ما يقاسيه من حبه فقال لو كنت صادقا
صبرت عني

ولما شكوت الحب قلت كذبتني ... ترى الصديق يشكو من محبوبه كيف يصبر

فصل

واما الصبر المحمود فنوعان صبر بالله وصبر لله قال
تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال وصبرك الا بالله
وقد تنازع الناس اي الصبرين اكمل فقالت طائفة الصبر لله اكمل
فان ما كان لله اكمل مما كان بالله فان ما كان لله فهو غاية وما كان بالله
فهو وسيلة والغايات اشرف من الوسائل وكذلك وجب التوقي
بالنذر اذا كان نذر قربة الى الله لا نذر لجاج وغضب والوفاء به اذا
خرج مخرج اليمين لانه حلف به فاكان لله سبحانه وهو متعلق بالوهيته

عن المامورات وتمنع وتوقعها على الوجه الذي امر الله بها لم يكن
المنهي عنها معنى وانما نهى عنها لمضادتها الاوامر وتعويقها لها
وصدها عنها فالنهي عنها من باب التكميل والتتمة للمامور به وهو
بمنزلة تنظيف طرق الماء ليجري في مجار ميسر غير معوق فالامر بمنزلة
الماء الذي ارسل في نهر لحياة البلاد والعباد والنهي تنظيف طرقه
ومجراه وتنقيتها مما يعوق الماء والامر بمنزلة القوة والحياة والنهي
بمنزلة الحمية اي المحافظة للقوة والدواء الذي دفع المهلكات واذا تبين
ان فعل المامور افضل فالصبر عليه افضل انواع الصبر وبه يسهل
عليه الصبر عن المحظور والصبر على المقدور فان الصبر الاتي
يتضمن الصبر الاول دون العكس وتدفهر اي من هذا
ان الانواع الثلاثة متلازمة وكل نوع منها معين على النوعين
الاخرين وان كان من الناس من قوة صبره على المقدور واذا
جاء الامر والنهي فقوة صبره هناك ضعيفة ومنهم من هو بالعكس
لعكس في ذلك ومنهم من قوة صبر في جانب الامر اقوى و
منهم من هو بالعكس والله اعلم

الباب العاشر

في انقسام الصبر المحمود ومذموم الصبر ينقسم الى قسمين
قسم مذموم وقسم ممدوح فالمذموم الصبر عن الله وارادته
ومحبته وسير القلب اليه فان هذا الصبر يتضمن تعطيل كمال
العبد بالكلية وتفويت ما خلق له وهذا كما انه اقبح الصبر
فهو اعظمه وابلغه فانه لا صبر ابلغ من صبر من يصبر عن محبوبه
الذي لا حياة له بدونه البتة كما انه لا زهد ابلغ من زهد
الزاهد فيما اعد الله لاوليائه من كرامته ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فالزهد في هذا اعظم
انواع الزهد وابلغها كما قال رجل لبعض الزاهدين وقد

تعجب من زهده

يتعجب من زهده ما رايت ازهد منك فقال انت ازهد مني
فانك زهدت في الدنيا التي هي لا تساوي شيئا وانا زهدت في
الاخرة فمن زهدنا قال يحيى بن معاذ الرازي صبر المحبين
اعجب من صبر الزاهدين واعجب كيف يصبرون وفي هذا قيل

الصبر يحمد في المواطن كلها الا عليك فانه لا يحمد

ووقف رجل على الشبلي فقال اي الصبر اشد على الصابرين فقال الصبر
في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا قال الصبر مع الله قال فاي شيء
هو قال الصبر عن الله تعالى فقال فصرخ الشبلي صرخة كادت
روحه تزهق وقيل الصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وقد جمع
الناس على ان الصبر عن المحبوب غير محمود اذا كان كمال العبد وفلاحه في محبته ولم يزل الاحباب تعيب المحبين بالصبر عنهم كما قيل

والصبر عنك مذموم عواقبه والصبر في شتى الاشياء محمود

وقال اخر

اذا لعب الرجال بكل شيء رايت الحب يلعب بالرجال

وكيف الصبر عمن حل مني بمنزلة اليمين من الشمال

وشكى اخر الى محبوبه ما يقاسيه من حبه فقال لو كنت صادقا
صبرت عني

ولما شكوت الحب قالت كذبتني ترى الصبر لي عن محبوبي كيف يصبر

فصل

واما الصبر المحمود فنوعان صبر لله وصبر بالله قال
تعالى واصبروا لحكم ربك فانك باعيننا وقال وصبر وما صبرك الا بالله
وقد تنازع الناس اي الصبرين اكمل فقالت طائفة الصبر لله اجل
فان ما كان لله اكمل مما كان بالله فان ما كان لله فهو غاية وما كان بالله
فهو وسيلة والغايات اشرف من الوسايل ولذلك وجب الوفاء
بالنذر اذا كان نذر قربة الى الله لانه نذر له ولم يجب الوفاء به اذا
خرج مخرج اليمين لانه حلف به فاكان لله سبحانه فهو متعلق بالوجه

وما كان بربوبيته متعلق بربوبيته وما تعلق بالالهية اشرف
ما تعلق بربوبيته ولذلك كان توحيد الالهية هو المخ من
الشرك دون توحيد الربوبية بمجرده فان عباد الاصنام
كانوا مقرين بان الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه و
لكن لما لم يأتوا بتوحيد الالهية وهي عبادته وحده لا شريك
له لم ينفعهم توحيد ربوبيته وقالت طائفة الصبر بالله
اكمل بل لا يمكن الصبر لله الا بالصبر به كما قال تعالى واصبر فامر
بالصبر والمامور به هو الذي يفعل لاجله ثم قال وما صبرك الا
بالله فهذه جملة خبرية غير الجملة الطلبية التي تقدمت اخبر
فيها انه لا يمكن الصبر الا به وذلك يتضمن امرين الاستعانة
به والمعية الخاصة التي تدل عليها بالمصاحبة كقوله لنبيه يسمع
وهي يبصر وهي يبطش وهي يمشي وليس المراد بهذه الباء مجرد
الاستعانة فان هذا امر مشترك بين المطيع والعاصي فان ما
لا يكون بالله لا يكون بل هي باء المصاحبة والمعية التي صرح
بمضمونها في قوله ان الله مع الذين صبروا وهي المعية الخاصة
لعبده الذي تقرب اليه بالنوافل حتى صار محبوبا له فبه يسمع
وبه يبصر وكذلك به يبطش فلا يتحرك ولا يسكن ولا يدرك الا و
الله معه ومتى كان كذلك امكنه الصبر له وتحمل الاثقال لاجله
كما في الاثر الالهي بعيني ما يتحملون من اجلي فدل قوله و
ما صبرك الا بالله على انه متى لم يكن الله معه لم يمكنه الصبر وكيف
يصبر على الحكم الامري امتثالا وتنفيذا او تبليغا وعلى الحكم القدري
احتمالا واضطلاعا به متى لم يكن الله معه فلا يطيع في درجة
الصبر المحمود عقبى من لم يكن صبره بالله لا يطيع في درجة
التقرب المحبوب منه لم يكن سمعه وبصره ويطشه ومشيه
بالله وهذا هو المراد من قوله كنت سمعه الذي يسمع به وبصره

الذي

الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها الى
به اني كنت نفس هذه الاعضاء والقوى كما يظنه اعداء الله
اهل الوحدة وان ذات العبد هي ذات الرب تعالى الله عن
قول اخوان النصارى علوا كبيرا اولو كان كما يظنون لم يكن فرق
هذا العبد وغيره ولا بين حالة تقربه الى ربه بالنوافل وبين
اليه بالمعاصي بل لم يكن هناك متقرب ومتقرب اليه ولا عابد
معبود ولا محب ومحبوب فالحديث كله مكذب لاعدى الله
من كل الوجوه وجها تقوى بالتامل الظاهر وقد فسر المراد من
قوله كنت سمعه وبصره ويده ورجله بقوله لنبي يسمع و
يبصر ولي يبطش ولي يمشي فعبر عن هذه المصاحبة التي
حصلت بالتقرب اليه بمحابه بالطف عبارة واحسنها يدل على
المصاحبة ولزومها حتى صار له بمنزلة سمعه وبصره ويده
ورجله ونظير هذا قوله الحجر الاسود يمين الله في الارض فمن
قبله وصافحه فكانما صافح الله وقبل يمينه ومثل هذا سائغ في
الاستعمال ان ينزل الشيء الى منزلة ما يصاحبه ويقاربه
يقول المحب للمحبوب انت روحي وسمعي وبصري وقلبي وفي ذلك
معنيان احدهما انه قد صار منه بمنزلة روحه وقلبه و
سمعه وبصره الثاني ان محبته وذكره لما استولى على قلبه
وروحه صار معه وجليسه كما في الحديث يقول الله انا جليس
من ذكرني وفي الحديث الاخر انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت
بي شفتاه وفي الحديث الالهي فاذا احببته كنت سمعه الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ومؤيده ولا يعبر عن هذا المعنى بأتم من هذه
العبارة ولا احسن ولا الطف وايضاح هذه العبارة يزيد

جفا وخفا والمقصود انما هو ذكر الصبر بالله وان العبد يجب
عليه من معية الله له يكون صبره واذا كان الله معه امكنه ان
يأتي من الصبر بما لا يأتي به غيره قال ابو علي فاز الصابرون
بخير الدارين لانهم نالوا من الله معيته قال الله تعالى ان الله مع
الصابرين وههنا سر بديع وهو ان من تعلق بصفة من صفات
الله تعالى اذا دخلت تلك الصفة عليه واوصلته اليه فالرب تعالى
هو الصبور بل لا احد اصبر على اذى سمعه منه وقد قيل ان
الله تعالى اوحى الى داود تخلق باخلاقي فان من اخلاقي اني انا
الصبور والرب تعالى يحب اسماءه وصفاته ويحب مقتضى
صفاته وظهور اثارها في العبد فانه تعالى جميل يحب الجمال عفو
يحب اهل العفو كريم يحب اهل الكرم عليم يحب اهل العلم و
يحب الوتر وقوي والمؤمن القوي احب اليه من المؤمن
الضعيف صبور يحب الصابرين محسن يحب المحسنين شكور
يحب الشاكرين وذا كان تعالى يحب المتصفين باثار صفاته وهو
يحسب نصيبهم من هذا الاتصاف فهذه المعية الخاصة
سر عنها بقوله كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا

فصل

زاد بعضهم قسما ثالثا من اقسام الصبر وهو الصبر مع الله
جعلوه اعلا انواع الصبر وقالوا هو الوفا ولو سئل هذا عن
حقيقة الصبر مع الله لما امكنه ان يفسره بغير الانواع الثلاثة
التي ذكرت وهي الصبر على اقضيته والصبر على اوامره والصبر
عن نواهيه فانه زعم ان الصبر مع الله هو الثبات معه على
احكامه بيد وصبها حيث دارت فيكون دائما مع الله لا مع نفسه
فنفي مع الله بالمحبة والموافقة فهذا المعنى حق ولكن مداره

على

على الانواع المتقدمة على الصبر فان زعم ان الصبر مع الله هو
الجامع لانواع الصبر وقد احق ولكن جعله قسما رابعا من
اقسام الصبر غير مستقيم والعلم ان حقيقة الصبر مع الله هو
بيانات المتقدم بالاستقامة معه وهو ان لا يروغ عنه روغان الثعالب
هنا وهنا فحقيقة هذا هو الاستقامة الى الله وعكوف القلب
عليه وزاد بعضهم قسما خامسا من اقسامه وسماه الصبر لله وهذا
ايضا غير خارج عن اقسام الصبر المذكورة ولا يعقل من الصبر
غير معنى غير الصبر له وهذا كما يقال فعلت هذا في الله ولله
كما قال خبيب رضي الله عنه

وذلك في ذات الاله وان يشا يبارك على اوصال شلو ممزع

وقد قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال تعالى و
جاهدوا في الله وفي حديث جابر ان الله تعالى احيا اباه وقال
له تمن قال يا رب ان ترجعني الى الدنيا حتى اقتل فيك مرة ثانية
وقال صلى الله عليه وسلم ولقد اوذيت في الله وما يوذى احد
يتهمهم منه مضيئ احدها اذى ذكره في مرضاته وطاعته وسبيله و
هذا قد ما يفعله الانسان باختياره كما في الحديث تعلمت فيك العلم
والثاني انه سبب وفي جهته حصل ذلك وهذا غير ما يصيبه بغير
اختياره وغالب ما يأتي قوله وذلك في الله في هذا المعنى فتأمل
قوله صلى الله عليه وسلم ولقد اوذيت في الله وقوله خبيب وذلك
في ذات الاله وقول عبد الله بن حرام حتى اقتل فيك وكل هذه اقوال
الذين جاهدوا في الله فانها ترتب عليه الاذى فيه مجاهدة وليست
هي المجاهدة نفسها والمراد السبيب وان كانه السببية هي اصلها فانظر
الى قوله في نفس المؤمن مائة من الابل وقوله دخلت امرأة النار
في هرة كيف تجد فيه معنى زايدا على السببية وليست في الوفاء في

جميع معانيها فقولك فعلت هذا في مرضاتك فيه معنى زايد على
فعلت لك فعلته لمرضاتك وانت اذا قلت اوذيت في الله لا يقوم مقام
هذا اللفظ فقولك اوذيت لله وابتسبب لله واذا فهم المعنى
طوى حكم العبارة والمقصود ان الصبر في الله ان اريد به هذا
المعنى فهو حق وان اريد به معنى خارج عن الصبر على اقضية
الله ومراده واوامره وعن نواهيه ولم يحصل فالصابر
في الله كالمجاهد في الله والجهاد فيه لا يخرج عن معنى الجهاد به
وله والله الموفق واما قول بعضهم الصبر لله عناء والصبر بالله
بقاء والصبر في الله بلاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن
الله جفاء فكلام لا يجب التسليم لقايله انه ذكر ما سمح له ونصوره
وانما يجب التسليم للنقل المصدق عن المقابل المعصوم ونحن
نشرح هذه الكلمات اما قوله الصبر لله عناء فان الصبر لله تركب
كلفة النفس ومرادتها لمراد الله وهو اشق شيء على النفس وا
صعبه فان قطع المنازعة التي بين النفس وبين الله يجب بسير
بها الى الله شديد جدا على النفس بخلاف السفر من النفس الى الآخرة
فانه سهل كما قال يحشر المسيء منا الى الآخرة سهلا يعني
على المؤمن وهو ان يخلق في جنب الحق شديد والمسير من
النفس الى الله صعب شديد والصبر مع الله اشد واما قوله والصبر
بالله بقاء فلان العبد اذا كان بالله عليه كل شيء ويحمل الاثقال
ولم يجد لها ثقلا فانه اذا كان بالله لا بالخلق ولا بنفسه كان لقلبه
روح وفرح ووجود اخر وشان اخر غير شانه اذا كان بنفسه وبا
خلق وفي هذه الحال لا يجد عنا الصبر ولا امرارته وتقلبه
شاق التكليف له بغيا وقرة عين قال بعض الزهاد عالجت قيام
الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وما كان قرة عيني في
الصلوة

امر به وقال اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي
وما قول بعضهم ان الصبر الجميل ان يكون صاحب المصيبة
يدري من هو فهذا من الصبر الجميل لان من فقده
الجميل فان ظهور اثر المصيبة على العبد مما لا يمكن دفعه
التوفيق وزاد بعضهم في الصبر قسما اخر وسماه الصبر
وقال هو ان يستغرق في الصبر حتى عجز الصبر
صبر كما قيل
صبر فاستغاث به الصبر فصح المحمة بالصبر صبرا
اختار جاعن اقسام الصبر وانما هو المراد نظر على الصبر
عليه واسا اعلم الباب الحادي عشر في
صبر الكرام وصبر اللئام كل احد لابد ان يصبر على بعض
اختيارا واما اضطرارا فالكريم يصبر اختيارا والعلم
قبة الصبر وانه يحمد عليه ويندم على الجزع وانه ان
بر الجزع عليه فائتا ولا يترتب عنه مكروها وان المقدور
دفعه ومالم يقدر لا حيلة في تحصيله فالجزع خرق
اقرب من نفعه قال بعض العقلاء العاقل عند
والمصيبة يفعل ما يفعله الاحمق بعد شهر كما قيل
الامر يقضي الى اخر فصبر اخره اولا
اخر الامر الصبر والعبد غير محمود فالاحسن بدان يستقبل الا
وما يستدبره الاحمق في اخره وقال بعض العقلاء من
صبر الكرام سلى سلوان البهائم فالكريم ينتظر ان المصيبة
الجزع يزيدها ويدفعها فهذا قد ينفعه الجزع وان
ينفعه فانه يجعل المصيبة مصيبتين فصل
يتم فانه يصبر اضطرارا فانه يحتوم حول ساحة الجزع
فلا يراها

فلا يراها تحدي عليه شيئا فيصبر صبر الموقن للفرج وايضا الكر
يصبر في طاعة الرحمن والئيم يصبر في طاعة الشيطان فالبيام
اصبر الناس في طاعة اهوائهم وشهواتهم وقال الناس صبر في طاعة
ربهم فيصبر على البذل في طاعة الشيطان اتم صبر ولا يصبر على البذل
في طاعة الله في اليسر شيء ويصبر على تحمل المشاق وهو يفسه في
مرضاة عبده ولا يصبر على ادنى المشاق في مرضاة ربه ويصبر على
يقال في عرضه في المعصية ولا يصبر على ما يقال في عرضه اذا اوذي
في السبيل يزم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خشية ان يتكلم في عرضه
في ذات الله ويبذل لعرضه في هوى نفسه ومراده صابرا على ما يقال فيه
وكذلك في هوى نفسه ومراده وهو اصبر شيء على البذل في الطاعة
الشيطان او مراد النفس واعجز شيء عن الصبر على ذلك في مراد الله
تعالى وهذا اعظم اللوم فلا يكون صاحبه كمن يا عبد الله ولا تقوم مع
اهل الكرم اذا نودي بهم يوم القيمة على رؤوس الاشهاد ليعلم اهل الجمع
هذا اولى بالكرم اليوم اين المتقون الباب الثاني عشر
في الاسباب التي تعين على الصبر لما كان الصبر مما امر الله سبحانه
له اسبابا تعين عليه وتوصل الله ولذلك ما امر الله سبحانه بامر الا اعان
عليه ونصب له اسبابا وامهدها تمده وتقيت عليه كما انه ما قدر داء الا
قدر له دواء وضمن الشفا باستعماله فالصبر وان كان شاقا كريها على
النفوس فتحصيله ممكن وهو يتركب من مزدوج العلم والعمل فمنها
تركب جميع الادوية التي يتداوى بها القلوب والابدان فلا بد من جزء
علمي وجزء عملي فمنها يتركب هذا الدواء الذي هو نفع الترويح
فاما الجزء العلمي فهو ادراك ما في المامور من الخير والنفع والله
والكمال وادراك ما في المحظور من الشر والضرر والنقص فاذا
ادرك هذه العلمية كما ينبغي اضاف اليها العزيمة الصادقة والهمة

سة والنخوة والمروة الانسانية وضم هذا الجزء الى هذا الجزء
ل الجزء متى فعل ذلك حصل له الصبر وهانت عليه
حليت له مرارته وانقلب المه لذة وقد تقدم ان الصبر مصا
ر باعث العقل والدين لباعث الهوى والنفس فكل منتصا
ا اردنا ان يغلب احدهما على الاخر فالطريق فيه تتبين من
ان تكون الغلبة له وضعف الاخر كما كان مع القوة والمرض
ا اذا قوي باعث شهوة الرفاع المحرم وغلب بحيث لا يملك
رجعه او يملكه ولكن لا يملك طرفه او يملكه ولكن لا يملك
ل الا ان يحدثه بها هنا ك وبعده وعتيده ويصرفه عن حقا
ذكر والتفكر فيما ينفعه في دنياه واخرته فاذا اعتزم على
ي ومقاومة هذا الداعي فليضعفه والا فامور احدها
شير الى مادة قوة الشهوة فيجردها من الاغذية المحركة للشهوة
عها واما بكميتها وكيفيتها فليحسم هذه المادة بتقليلها فان لم
فليعاد الى الصوم فانه يضيق مجاري الشهوة ويكسر حدتها
سيما اذا كان اكله وقت الغلم معتدلا الثاني ان يجتنب محركي
ر وهو النظر فليغض لجام طرفه ما امكنه فان داعي الارادة والشهوة
يج بالنظر والنظر يحرك القلب بالشهوة وفي المسند عنه
ه عليه وسلم النظر سهم من سهام ابليس وهذا السهم يسرده
يحل القتل والاصاد وجنة دونه ولبئست الجنة الاعض
في او التحيز والانحراف عن جهة الرمي فانه اذا مر من هذا
عه قوس الصور ما دام تعف على طريقها اخطأك السهم
نصبت قبله غرضا فتوشك ان تقتله سهم من تلك السهام
نع الثالث تسلية النفس بالمباح المعوض عن الحرام فان
شهية الطبع فقد ابيح له الله تعالى عنه وهذا هو

الدواء

الدواء الناجع حتى تجتنب كثير الناس كما ارشد اليه النبي صلى الله عليه وسلم
الدواء الاول فيشير قطع العلق عن المادة الجامعة
لاضعاف قوتها والدواء الثاني يشبه تغييب الحب عن الكلب الشرس
عن البهيمة ليلا يتحرك نفوسه له عند المشاهدة والدواء الثالث يشبه
اعطاؤها من الغذاء ما يميل اليه طبعها بحسب حاجة لتنقمع معه
القوة فتطيع صاحبها ولا يغلبه باعطائها الزيادة على ذلك
الرابع الفكر في المفاسد الدنيوية المتوقعة من قضاء هذا
الوطر فانه لو لم يكن جنة ولا نار لكان في المفاسد الدنيوية ما تبقى
عن اجابة هذا الداعي ولو تكلفنا عدها لفات الحصر ولكن
عين الهوى عمي الخامس الفكر في مفاتيح الصورة التي تدعوه نفسه
اليها ان كانت معروفة بالاجابة له ولغيره فتنفر نفسه ان تقرب من
حوض ترده الكلاب والذباب كما قيل

سائر كي وصلكم شرفا وعزا ... لخنت سائر الكلب الكلابا
اذا كثر الذباب على طعام ... وقعت بكرهه ونفس تستطابا

وقال آخر

وتجتنب الاسود ورود ماء ... اذا كان الكلاب ولغن فيه
ولم تكره مخالطة وتقربه لعلمك انه حلت وطابا
ورقق الضايق داء كما قيل

تسل عما قليلا فلست عن سمح بمباحته مبدل كل من يلقاه يعرفه
كالماء اي صد ما تيه ينهله ... والغصن اي نسيم مر يعطفه

وان حلا ريقه فاذكر مرارته في فم ابخر بخنير وير شعه

ومن له ادنى نخوة ومروءة يانف لنفسه من مواصلة من هذا شانه فاذا لم يجبه نفسه عن الاغراض ورضي بالمشاركة فليتنزل الى ما وراء هذا اللون واجمال الظاهر من القبائح انها طبع فان من ممكن من نفسه فعل القبائح فنفسه اقبح من نفوس البهائم فانه لا يرضى لنفسه بذلك حيوان من الحيوانات اصلا الا الخنزير وما يحكى عن الخنزير وانه ليس في الحيوانات لوظ سواه فقد رضي هذا الممكن من نفسه ان يكون بمنزلة الخنزير وهذا القبح يغطي كل جمال وملاحة في الوجه والبدن غير ان حبك الشيء يعمي ويصم وان كانت الصورة انثى فقد خانت الله والرسول في اهلها وبعلها ونفسها واورثت ذلك في بعضها من ذريتها فلها نصيب من وزرهم وعارهم والنسبة لجمال صورتها الى هذا القبح البتة واذا اردت معرفة ذلك فانظر الى القبح الذي يعلوا وجه احدهم في كبره وكيف يقلب الله سبحانه تلك المحاسن قبحا حتى تعلو الوحشة والقبح وجهه كما قيل

لو فكر العاشق في منتهى حسن الذي يسبيه لم يسبه

وتفصيل هذه الوجوه يطول جدا فيكفي ذكر اصولها فنقول

واما تقوية باعث الدين فانه يكون تارة احدها احلال الله تعالى ان يعصى وهو يراه ويسمع وهو قائم بقلبه مشهد احلاله المطلع عليه قلبه لذلك البيت الثاني مشهد محبته سبحانه فيترك معصيته محبة له فان المحب لمن يحب مطيع وافضل الترك ترك المحبين كما ان افضل الطاعة طاعة المحبين فبين ترك المحب وطاعته وترك من يخاف العذاب وطاعته

بون بعيد

بون بعيد الثالث مشهد النعمة والاحسان فان الكريم لا يقابل بالاساءة من احسن اليه وانما يفعل هذا لئام الناس فليتمعه مشهد احسان الله ونعمته عليه ومعصيته حياء منه ان يكون خير الله واليه منه نازلا عليه ومخالفته ومعاصيه وقبائحه صاعدة الى ربه فلك ينزل هذا وملك يعرج بهذا فافبح بهما من مقابلة الرابع مشهد الغضب والانتقام فان الرب تعالى اذا عادى للعبد معصية غضب واذا غضب لم يقم لغضبه شيء فضلا عن هذا العبد الضعيف الخامس مشهد الفوات وهو ما يفوته بالمعصية من خير الدنيا والاخرة وما يحدث له بها من كل اسم مذموم عقلا وشرعا وعرفا وينزل عنه من الاسماء الممدوحة شرعا وعقلا وعرفا ويكفيه في هذا المشهد ان يشهد فوات الايمان الذي ادنى ادنى مثقال ذرة منه خير من الدنيا وما فيها باضعاف مضاعفة فكيف يبيعه بشهوة تذهب لذتها وتبقى تبعتها تذهب الشهوة وتبقى الشقوة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن قال بعض الصحابة ينزع منه الايمان حتى يبقى على راسه مثل الظلة فان تاب عاد اليه وقال بعض التابعين ينزع عنه الايمان كما ينزع عنه القميص فان تاب لبسه وهذا راى الذي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري الزناة في التنور عراة لانهم نزعوا منه لباس الايمان وعاد تنور الشهوة الذي كان في قلبه يتوقد ظاهرا يحس عليه بالنار السادس مشهد العقوبة والطرد فان قهر الشهوة والظفر بالشيطان لذة حلاوة ومسرة وفرحة عند من ذاق ذلك اعظم من الظفر بعدو من الادميين واحلام وقعا وانم فرحة واما عاقبته فاجد عاقبة

عاقبة شرب الدواء النافع الذي ازال داء الجسد واعاده
سه واعتدال السابع مشهد العوض وهو ما وعد الله
ه لمن كف نفسه وترك المحارم لاجله وهي نفسه عن هواها
ن بين العوض والمعوض فايهما كان اولى بالايثار اختاره
ا لنفسه الثامن مشهد المعية وهي نوعان معية عامة
خاصة فالعامة اطلاع الرب تعالى عليه وكونه بقيمه لايخفى
د تقدم هذا والمقصود هنا المعية الخاصة لقوله تعالى ان الله
ابرين وقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقوله
الله لمع المحسنين فهذه المعية الخاصة خير له وانفع في دنيا
ه من قضاء وطره ونيل شهوته على التمام ومن اول عمره الى
سف يؤثر عليها لذة منغصة منكدة ذميمة يسيرة من
هي كاحلام نائم وكظل زائل التاسع مشهد المخافصه
ملة وهو ان يخاف ان خافصه الاجل فياخذه الله على غرة
بينه وبين ما يشتهي من لذات الدنيا وبينه وبين ما يشتهي
ت الاخرة فيالها من حسرة ما امرها وما اصعبها لكن ما
الامن جربها وفي بعض الكتب القديمة يا من لايامن
سه طرفة عين ولا يتم له سرور ربيع الحذر الحذر
ر مشهد البلاء والعافية المطلقة هي الطاعات فان
في الحقيقة ليس الا الذنوب وعواقبها والعافية المطلقة
طاعات وعواقبها فاها للبلاء اها المعصية وان
ت الله انهم واهل العافية هم اهل الطاعة وان مرضت
م وقال بعض اهل العلم في الاثر المروي اذا رايتم اهل
سلوا الله العافية ان اهل البلاء هم المبتلون بمعاصي
عز وجل والاعراض والغفلة عنه وهذا وان كان

اعلم

اعلم البلاء اللفظ يتناول انواع المبتلين في ابدانهم واديانهم
والله اعلم الحادي عشر ان يعود ما عت الذي داعيه
مصارعا للاعي الهوى ومقاوما له علم المتدرج قليلا قليلا
حتى يتدرك لذة الظفر فتقوى بحيث همته فاصبر من ذاق لذة
شيء قويت همته في تحصيله والاعتياد لممارسة الاعمال الشا
قة تقوية القوى التي تصدر عنها تلك الاعمال ولذلك تجد قوي
الحالين وارباب الصنايع الشاقة تتزايد بخلاف البزاز والخيا
ونحوهما ومن ترك المجاهدة بالكلية ضعف فيبا عت الدين
وقوي فيه باعث الشهوة ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبه
متى اراد الثاني عشر كف الناطق عن حديث النفس واذا
مرت به الخواطر فلا يحدثها ولا يوجها وساكنها فتصير منا وهي روس
اموال المفاليس ومتى ساكن الخواطر صارت اماني ثم يقوى فتصير
همما ثم يقوى فتصير ارادات ثم يقوى فتصير عزما يقترن بها
المراد فرفع الخاطر الاول اسهل واليسر من دفع اثر المقدور وبعد
وقوعه وترك معاودته الثالث عشر قطع العلائق والا
التي تدعوه الى موافقة الهوى وليس المراد ان لايكون له هوى بل المراد
ان يصرف هواه الى ما ينفعه ويستعمله في تنفيذ مراد الرب
تعالى فان ذلك يدفع عنه شر استعمالة النفس له والشيطان وهذا فان
كل شيء من الانسان يستعمله لله فان الله يقيه شر استعمال النفس
وللشيطان وما لا يستعمله لله استعمله لنفسه وهواه ولا بد فا
تعلم ان لم يكن لله كان للنفس والهوى والعياذ بالله كان لله كان للرياء
والنفاق وللمال ان لم ينفق لله انفق في طاعة الشيطان والهوى
ويحك ان لم يستعمل لله استعمل صاحبه في هواه وحظوظه
والعقوبة ان لم يستعملها في امر الله استعملته في معصيته فمن
عود نفسه العمل لله لم يكن عليه اشق من العمل لغيره ومن

عود نفسه العمل لهوى ووحظه لم يكن عليه اشق من الاخلاص و
سره وهذا في جميع ابواب الاعمال فليس شيء اشق على المنفق لله
من الانفاق لغيره وكذا بالعكس الرابع عشر صرف الفكر الى
عجايب ايات الله التي تدب عباده الى التفكر فيها وهي اية غير
المتلوة واية المخلوقة فاذا استولى ذلك على قلبه دفع عنه
محاضرة الشيطان ومحادثته ووساوسه وما اعظم غبن
من امكنه ان لا يزال محاضر الرحمن وكتابه ورسوله واصحابه
فرغب عن ذلك الى محاضرة الشيطان من الانس والجان ولا
غبن يعدل هذا الغبن والله المستعان الخامس عشر التفكر
في الدنيا وسرعة زوالها وقرب انفصالها فلا يرضى لنفسه
ان يتزود منها الى دار بقائه وخلوده احسن ما فيها واقله
نفعا الا ساقه الهمة دنية المروة ميت القلب فان حسرته تشتد
اذا عاين حقيقة ما تزوده وتبين له حقيقة عدم نفعه له
فكيف اذا كان زاده ما يعذب به ويناله بسببه غاية الالم اذا
تزود ما ينفعه وترك ما هو انفع له منه كان ذلك حسرة عليه وغبنا
السادس عشر تعرضه الى من القلوب بيد اصبعين وازمة
الامور بيده وانتهاء كل شيء اليه على الدوام فلعله ان
يصادف اوقات النفحات كما جاء في الاثر المعروف ان لله في ايام
دهركم نفحات فتعرضوا لنفحاته وسلوا الله ان يستر عورتكم
ويؤمن روعاتكم ولعله في كثرة تعرضه ان يصادف ساعة
من الساعات التي لا يسأل الله فيها شيئا الا اعطاه ممن
اعطى منشور الدعاء اعطي الاجابة فانه لو لم يرد اجابته
لما الهمه دعاءه كما قيل

لولم ترد نيل ما ارجو واطلبه ... من جود كفك ما عودتني الطلبا

ولا يستوحش من ظاهر الكافي فان الله سبحانه يعامل عبده

معاملة من

معاملة من ليس كمثله شيء وهو الذي ليس كمثله شيء في صفاته

فانه ما حرم الا ليطيعه وما امر ضد الا ليثيبه وما انهاه الا ليعفيه
ولا اماته الا ليحييه وما اخرج ابويه من الجنة الا ليعيدهما اليها على
اكمل حال كما قيل يا آدم لا تخرج من قولي لذلك اخرج منها فلك خلقتها
وساعيد اليها فالرب تعالى ينعم على عبده بالتلاية ويعطيه بحرمانه
ويصح سقمه فلا يستوحش من حالة تسوءه اصلا الا اذا كانت
تغضبه عليه وتبعده منه السابع عشر ان يعلم العبد ان فيه
جاذبين متضادين ومحتدين جاذبي جاذب يجذبه الى الرفيق
الاعلى ليكون من اهل عليين وجاذب يجذبه الى اسفل سافلين فلما
انقاد مع الجاذب الاعلا صعد درجة حتى ينتهي الى حيث يليق
به من المحل الاعلى وكلما انقاد الى الجاذب الاسفل نزل درجة حتى
ينتهي الى موضعه من سجين ومتى اراد ان يعلم هل هو مع الرفيق الا
او الاسفل فليعتبر اين هو ومع من هو في هذا العالم فان الروح اذا
فارقت البدن يكون مع الرفيق الاعلى الذي كانت منجذبة اليه في هذه
الدار فهو اولى بها فالمرء مع من احب طبعا وعقلا وجزاء وكل امرئ
يصير الى ما هو منجذب اليه والى اهله بالطبع وكل امرئ يصبو الى من
يناسبه وقد قال تعالى كل يعمل على شاكلته فالنفوس العلوية
تنجذب بذاتها وهمتها واعمالها الى الاعلى والنفوس السافلة الى
اسفل السافلين من عشر ان يعلم العبد ان تزيغ المحل شرط لنزول
الغيث الرحمة وتنقيته شرط لكمال الزرع فمتى لم يزع
المحل لم يصادف الغيث الرحمة محلا فارغا قابلا للزرع فيه وان
فرغه حتى اصابه الغيث الرحمة لكنه لم ينقه من الدغل لم يكن
الزرع زرعا كاملا بل ربما غلب الدغل على الزرع فكان الحكم له

وهذا كالذي يصلح ارضه ويهيئها لقبول الزرع ثم يودع فيها البذر
ويتنظر نزول الغيث فاذا ظهر العبد قلبه وفرغه من الالتفات
السوء وخواطره وبذر فيه بذر الذكر والفكر والمحبة والاخلاص وعرضها لنفحات الرحمة وانتظر نزول غيث الرحمة في اوانه
كان جديرا بحصول المعلوم وما يقرب الرجا لنزول الغيث في وقته
كذلك يقوى الرجا لاصابة نفحات الرحمن جل جلاله في الاوقات الفاضلة والاحوال الشريفة ولاسيما اذا اجتمعت الهمم
وتساعدت القلوب وعظم الجمع لجمع عرفة وجمع الاستسقاء
وجمع اهل الجمعة فان اجتماع الهمم والانفاس اسباب نصبها
الشرع مقتضية لحصول الخير ونزول الرحمة كما نصب سائر
الاسباب مقتضية لمسبباتها بل هذه الاسباب في حصول الرحمة
اقوى من الاسباب الحسية في حصول مسبباتها ولكن العبد
لجهله يغلب عليه الشاهد على الغايب والحس على العقل والظلمة
يؤثر ما يحكم به هذا ويقتضيه على ما يحكم به هذا ويقتضيه
ولو فرغ العبد المحل وهيئه واصلحه لرأى العجايب فان فضل
الله لا يريده الا المانع الذي في العبد فلو ازال ذلك المانع نال
من البر الفضل من كل صوب فتامل حال نهر عظيم يسقي كل ارض
يمر عليها فخصل بينه وبين بعض الارض المعطشة الحدبة
سكر وسد كثيف فصاحب الارض يشكو اعطش ارضه وحولها
والنهر الى جانب ارضه الناس مع من يعلم العبد ان الله سبحانه
خلقه لبقاء لا فناء له ولعز لا ذل معه وحي لا موت معه ولذة
لا الم معها وكمال لا نقص فيه وامتحنه في هذه
الدار بالبقاء الذي يسرع اليه الفناء والعز الذي يقارنه الذل

وبعقبه الذل والامن الذي معه الخوف وبعده المخوف وكذلك
الغنا واللذة والفرحة والسرور والنعيم الذي هنا مشوب
بضده لانه يتعقبه ضده وهو سريع الزوال فغلط اكثر الناس
في هذا المقام اذ طلبوا النعيم والبقاء والعز والملك والجاه في غير
محله ففاتهم في محله والكثير هم لم يظفروا بما طلبوه من ذلك والذي ظفروا به
انما هو متاع قليل والزوال قريب فانه سريع الزوال عنهم
والرسل صلوات الله وسلامه عليهم انما جاؤا بالدعوة الى النعيم
المقيم والملك الكبير فمن اجابهم حصل له الدنيا والاخرة فكان الذي
عيشه فيها اطيب من عيش الملوك فمن دونهم فان الزهد
في الدنيا ملك حاضر والشيطان يحسد المؤمن على اعظم
حسد فيحرص كل الحرص على ان لا يصل اليه فان العبد اذا ملك
شهوته وغضبه فانقادا معه لداعي الدين فهو الملك حقا ان
صاحب هذا الملك حر والملك المنقاد لشهوته وغضبه عبد
شهوته وغضبه فهو مسخر مملوك في زي مالك يقوده زمام الشهوة
والغضب كما يقاد البعير فالمغرور المخدوع يقع نظره على الملك
الظاهر الذي صورته ملك وبالطبع يرق وعلى الشهوة التي اولها
لذة واخرها حسرة والبصير الموفق يعبر نظره من الاوايل الى
الاواخر ومن المبادي الى العواقب وذلك فضل الله يؤتيه من
يشاء والله ذو الفضل العظيم العشرون ان لا يغتر العبد باعتقاده
ان مجرد العلم بما ذكرنا كاف في حصول المقصود بل لا بد ان يضيف اليه
بذل المجهود في استعماله واستفراغ الوسع والطاقة فيه وملاك
ذلك الخروج عن العوايد فانها اعداء الكمال والفلاح فلا افلح
من استسلم مع عوايده ابدا ويستعين على الخروج عن العوايد
بالهرب عن مظان الفتنة والبعد عنها ما امكنه وقد

صلى الله عليه وسلم من سمع بالدجال فلينأ عنه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعثه به من الشهوات

تخلص من الشر بمثل البعد عن أسبابه ومظانه وههنا

غتر للشيطان لا يتخلص منها الا حاذق وهي ان يظهر له

طان الشر شيئا من الخير ويدعوه الى تحصيله فاذا قرب منه

ا في الشبكة والله اعلم الباب الثالث عشر

ان ان الانسان لا يستغني عن الصبر في حال من الاحوال

ما دام مكلفا لا يستغني عن الصبر في حال من الاحوال

ن بين امر يجب عليه امتثاله وتنفيذه وهي يجب عليه

ه وتركه وقدر يجري عليه اتفاقا ونعمة يجب عليه شكر

م عليها واذا كانت هذه الاحوال لا تفارقه فالصبر لازم

لمات فكل ما يلقى العبد في هذه الدار لا يخلو من نوعين

دهما يوافق هواه ومراده والاخر يخالف غرضه وهو محتاج

صبر في كل منهما اما النوع الموافق لغرضه فكالصحة و

لامة والجاه والمال وانواع الملاذ المباحة هو احوج شيء

صبر فيها من وجوه احدها ان لا يركن اليها ولا يغتر

ا تحمله على البطر والاشر والفرح المذموم الذي يحب الله

ر الثاني ان لا ينهمك في نيلها ويبالغ في استقصائها فانها

ب الى اضدادها فمن بالغ في الاكل والشرب والجماع انقلب

الى ضده وحرم الاكل والشرب والجماع الثالث ان يصبر

اء حق الله فيها ولا يضيعه فيسلبها الرابع ان يصبر عن

ع الحرام فلا يمكن نفسه من كل ما يريده منها فتقع

في احتراز من كل الاحتراز او وقعته في المكروه ولا

على البراء الا الصديقون قال بعض السلف البلاء

عليه المؤمن والكافر ولا يصبر على العافية الا صديق

وقال عبد الرحمن

وقال عبد الرحمن بن عوف ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم

نصبر ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والازواج و

الاولاد فقال تعالى يا ايها الذين امنوا انما اموالكم واولادكم فتنة

ذكر الله وقال تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا

لكم فاحذروهم وليس المراد من هذه العداوة ما يظهر لبعض

الناس من ان بعض الازواج والاولاد اعداء لهم بل انهم اعداء لهم في

الصادة للاباء عن الهجرة والجهاد وتعلم العلم والصدقة وغير

ذلك من امور الدين وفي البر كما في جامع الترمذي من حديث

اسرائيل ثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه

الآية يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم

قال هو الرجل يسلم من اهل مكة فاراد ان يأتي النبي صلى الله

عليه وسلم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا الناس قد فقهوا في

الدين هموا ان يعاقبوهم فانزل الله عز وجل هذه الآية قال الترمذي

هذا حديث حسن صحيح وما اكثر ما يفوت العبد من الكمال و

الصلاح والفلاح بسبب زوجته وولده وفي الحديث الولد مخلة

مجبنة وقال الامام احمد ثنا زيد بن الحباب ثنى زيد بن واقد

ثنى عبد الله بن بريدة قال سمعت ابي يقول كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان احمران يمشيان

ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحملهما فوضعهما

بين يديه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى

هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي

ورفعتهما وهذا من كمال رحمته ولطفه بالصغار وشفقته عليهم

وهو تعليم منه للامة الرحمة والشفقة واللطف بالصغار فصل

وانما كان الصبر على السراء شديدة لانه مقرون بالقدرة والجامع

عند غيبة الطعام اقدر منه على الصبر عند حضوره وكذلك
الشبق عند غيبة المرأة اصبر منه عند حضورها فصل
واما النوع الثاني المخالف للهوى فلا يخلو اما ان يرتبط باختيار
العبد كالطاعات والمعاصي اولا يرتبط اويرتبط اولد باختياره
كالمصائب اولا يرتبط ولكن لا اختيار لدفع اوليته بعد الدخول فيه
فههنا ثلاثة اقسام احدها ما يرتبط باختياره وهو جميع افعاله
التي توصف بكونها طاعة او معصية فاما الطاعة فالعبد يحتاج
الى الصبر عليها لان النفس تنفر بطبعها عن كثير من العبودية
اما الصلوة فلما في طبعها من الكسل وايثار الراحة ولا سيما اذا انضاف
مع ذلك قسوة القلب ورين الذنب والميل الى الشهوات ومخالطة
اهل الغفلة فلا يكاد العبد مع هذه الامور وغيرها ان يفعلها
وان فعلها مع ذلك كان متكلفا غائب القلب ذاهلا عنها طالبا
لفراغها كالجالس الى الكنيسة واما الزكاة فلما في الطبع النفس من
البخل والشح وكذلك الحج والجهاد والامر بجميعها فيحتاج العبد
ههنا الى الصبر في ثلاثة احوال احدها قبل الشروع فيها بتصحيح
النية والاخلاص وتجنب دواعي الرياء والسمعة وعقد العزم
على توفية المامور به حقه الحالة الثانية الصبر حال العمل
فيلازم العبد الصبر عند داعي التقصير فيه والتفريط ويلازم
الصبر على استصحاب ذكر النية وعلى حضور القلب بين يدي
المعبود وان لا ينساه في اثناء امره فليس الشان في فعل المامور به
انما الشان كل الشان في الاتيان به على الوجه الذي امر ان يكون هو
مستصحبا لذكره في اثناء امره فهذه عبادة العبد المخلص لله
فهو محتاج الى الصبر على توفية العبادة حقها بالقيام بها
دائما وامر كانها وواجباتها وسننها وعلى استصحاب

ذكر المعبود

ذكر المعبود فيها وان لا يشتغل عنه بعبادته فيعطله حضوره
مع الله بقلبه عن قيام جوارحه بعبوديته او لا يعطله قيامه
بالجوارح بالعبودية عن حضور قلبه بين يديه سبحانه بحالة
الثالثة الصبر بعد الفراغ من العمل وذلك من وجوه احدها
ان يصبر نفسه عن الاتيان بما يبطل عمله كما قال تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فليس الشان في
الاتيان بالطاعة انما الشان في حفظها مما يفسدها ويبطلها
الثاني ان يصبر عن رؤيتها والعجب بها والتكبر والتعاظم بها
فان هذا ضرعليه من كثير من المعاصي الظاهرة الثالث
ان يصبر عن نقلها من ديوان السر الى ديوان العلانية فان العبد
يعمل العمل سرا فيكتب في ديوان السر فاذا تحدث به نقل الى ديوان
العلانية فلا يظن ان نشاط الصبر انطوى على الفراغ من العمل

فصل واما الصبر عن المعاصي فامره ظاهر واعظم
ما يعين عليه قطع المالوفات ومفارقة الاعوان في المجالسة و
المحادثة وقطع العوائد فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضاف
الشهوة الى العادة تظاهر جندان من جند ابليس على جند الله
فلا يقوى باعث الدين على قهرها فصل القسم الثاني
مما لا يدخل تحت الاختيار وليس للعبد حيلة في دفعه كالمصائب
التي لا صنع للعبد فيها كموت من يعز عليه وسرقة ماله ومرض في
نحو ذلك وهذا نوعان احدهما ما لا صنع للادمي فيه والثاني
ما اصابه من جهة ادمي مثل كالسب والضرب وغيرها فا
النوع الاول يحتاج العبد فيه الى اربع مقامات احدها مقام الصبر وهو
مقام الجزع والشكوى والسخط وهذا لا يفعله الا اقل الناس

ة غنية الطعام اقدر منه على الصبر عنه حضوره وكذلك
شق عند غيبة المرأة اصبر منه عند حضورها فصل
وما النوع الثاني المخالف للهوى فلا يخلو اما ان يرتبط باختياره
عبد كالطاعات والمعاصي اولا يرتبط اويرتبط اولم باختياره
لمصائب اولا يرتبط ولكن لاختيار له في اوليته بعد الدخول فيه
بهذا ثلاثة اقسام احدها ما يرتبط باختياره وهو جميع افعاله
ي توصف بكونها طاعة او معصية فاما الطاعة فالعبد محتاج
الصبر عليها لان النفس تنفر بطبعها عن كثير من العبودية
الصلوة فانها في طبعها من الكسل وايثار الراحة ولا سيما اذا اتفق
ذلك قسوة القلب وريق الذنب والميل الى الشهوات ومخالطة
ل الغفلة فلا يكاد العبد مع هذه الامور وغيرها ان يفعلها
ي فعلها مع ذلك كان متكلفا غائب القلب ذاهلا عنها طالبا
انهاكا الى الجالس الى الكنيسة واما الزكاة فانها تطيع النفس من
بخل والشح وكذلك الحج والجهاد للامرين جميعا فيحتاج العبد
هما الى الصبر في ثلاثة احوال احدها قبل الشروع فيها بتصحيح
نية والاخلاص وتجنب دواعي الرياء والسمعة وتحقق العزم
توفية المامور به حقه الحالة الثانية الصبر حال العمل
بلازم العبد الصبر عن داعي التقصير فيه والتفريط ويلازم
صبر على استصحاب ذكر النية وعلى حضور القلب بين يدي
معبود وان لا ينساه في امره فليس الشان في فعل المامور به
ل في كمال الاتيان به وان لا ينسى الامر حال الاتيان بما مره يكون هو
ستصحبا لذكره في امره فهذه عبادة العبيد المخلصين سره
هو محتاج الى الصبر على توفية العبادة حقها بالقيام با
دابها واركانها وواجباتها وسننها وعلى استصحاب

ذكر المعبود

ذكر المعبود فيها وان لا يشتغل عنه بعبادته والتعطله حضور
مع الله بقلبه عن قيام جوارحه بعبودية ولا يعطله قيام
الجوارح بالعبودية عن حضور قلبه بين يديه سبحانه الحالة
الثالثة الصبر بعد الفراغ من العمل وذلك من وجوه احد
ان يصبر نفسه عن الاتيان بما يبطل عمله كما قال تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فليس الشان في
الاتيان بالطاعة انما الشان في حفظها مما يفسدها ويبطلها
الثاني ان يصبر عن رؤيتها والعجب بها والتكبر والتعاظم بها
فان هذا اصعب عليه من كثير من المعاصي الظاهرة الثالث
ان يصبر عن نقلها من ديوان السر الى ديوان العلانية فان العبد
يعمل العمل سرا فيكتب في ديوان السر فاذا تحدث به نقل الى ديوان
العلانية فلا يظن ان بساط الصبر انطوى عليه بالفراغ من العمل

فصل واما الصبر عن المعاصي فامره ظاهر واعظم
ما يعين عليه قطع المالوفات ومفارقة الاعوان في المجالسة و
المجاورة وقطع العوائد فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضاف
الشهوة الى العادة تظاهر جندان من جند ابليس على جند الله
فلا يقوى باعث الدين على قهرها فصل القسم الثاني
ما لا يدخل تحت الاختيار وليس للعبد حيلة في دفعه كالمصائب
التي لا صنع للعبد فيها كموت من يعز عليه وسرقة ماله ومرض
نحو ذلك وهذا نوعان احدهما ما لا صنع للادمي فيه والثاني
ما اصابه من جهة ادمي مثل كالسب والضرب وغيرهما فا
النوع الاول فالعبد فيه اربع مقامات احدها مقام الجزع
مقام الجزع والشكوى والسخط وهذا لا يفعله الا اقل الناس

ر عقلا ودينا ومروءة وهو اعظم المصيبتين المقام الثاني
الصبر امام الله والمروءة والانسانية المقام الثالث مقام
ر وهو اعلى من مقام الصبر فيه وجوب نزاع والصبر
على وجوبه المقام الرابع مقام التشكر وهو اعلا من
الرضى فانه يشهد البلية نعمة فيشكر المبتلى عليها
النوع الثاني وهو ما اصاب من مال الناس فللناس فيه هذه
ات وينضاف اليها اربعة اخر احدها مقام العفو والصفح
مقام سلامة القلب من ارادة التشفي والانتقام وراءه
مطالعة الجناية كل وقت وصفتها الثالث مقام الجود
ر وان ان كان ظالما بتصاله هذا الاذى اليك فالذي قدره
واجراه على يديه هذا الظالم ليس بظالم واذى الناس مثل
البرد لا حيلة في دفعه فالمتسخط من اذى الحر والبرد غير
م والكل جار بالقدر وان اختلفت طرقه واسبابه المقام
ع مقام الاحسان الى المسيء ومقابلة اساءته باحسانك
هذا المقام من الفوائد والمصالح ما لا يعلمه الا الله فان فا
د هذا المقام العالي فلا يرضى لنفسه باخس المقامات
حلها فصل القسم الثالث ما يكون ورود باختياره
ن لم يكن لاختيار ولا حيلة في دفعه وهذا كالعشق الذي
اختيار واخره اضطرار وكالتعرض لاسباب الامراض والا
ت لا حيلة في دفعها بعد مباشرة اسبابها كالاحيلة في دفع
سر بعد تناول المسكر فهذا القسم كان فرضية الصبر عنه
له فلما فاته بقي فرضية الصبر في اخرها وان لا يطيع داعي هواه
سر والشيطان ههنا دسيسة عجيبة وهي انه يخيل اليه

امثل

ان نيل ما بعض ما منع منه فيتعين عليه او يتاح له على سبيل التداوي
وغايته ان يكون كالتداوي بالخمر والميتة وقد احل هذا كثير
من الفقهاء وهذا من اعظم الجهل فان هذا التداوي لا يزيل
الداء بل يزيده ويقويه وكم ممن تداوى بذلك فكان هلاكه
دينه ونياه في هذا التداوي بل الدواء النافع لهذا الداء والصبر
والتقوى كما قال تعالى وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم
الامور وقال انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر
المحسنين فالصبر والتقوى دواء كل داء من الدين والدنيا
احدهما عند صاحبه فان قيل فهل يثاب العبد على الصبر
في هذا القسم اذا كان عاصيا من وجه آخر باتيانه اسبابه وهل يكون
معاقبا على ما تولد منه وهو غير اختياري له قيل نعم اذا صبر
لله تعالى وندم على ما تعاطاه من السبب المحظور اثيب على صبره
لانه جهاد منه لنفسه وهو عمل صالح فالله لا يضيع اجر من احسن
عملا واما عقوبته على ما تولد منه فانه يستحق العقوبة على
السبب وما تولد منه كما يعاقب السكران على ما جناه في حال
سكره واذا كان السبب محظورا لم يمكن السكران معذورا
فان الله يعاقب على الاسباب المحرمة وعلى ما تولد منها كما يثيب
على الاسباب المامور بها وعلى ما تولد منها وهذا كان من دعى
الى بدعة وضلالة عليه من الاوزار مثل اوزار من تبعه لان
اتباعهم له تولد عن فعله تولد ذلك كان على ابن آدم القاتل لاخيه
كفل من دمها لانه اول قاتل الى يوم القيمة وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة
يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وقال تعالى
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فان قيل فكيف التوبة
من هذا المتولد وليس من فعله والانسان انما يتوب

ملق باختياره قبل التوبة منه بالندم عليه وعدم اجابة
عليه ومع جنايته وحبس النفس عن ذلك فان كان المتولد
بالغير فقد تتبع مع ذلك بر فوعنا الغير بحسب
كان ولهذا كان من توبة الداعي الى البدعة ان يتبين انها
يكون السيئة وضلالة وان الهدى في ضده كما شرطه
توبة اهل الكتاب الذين كانوا يكتمون ما انزل الله
بينات والهدى ليضلوا الناس بذلك ان يصلحوا العمل
عليهم ويبينوا للناس ما كانوا يكتمونهم اياه فقال ان الذين
ون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للنا
في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين
واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب
حيم وهذا كما شرطه في توبة المنافقين الذين كان ذنبهم
د قلوب ضعفاء الايمان متين وتخبيرهم واعتصامهم
عود والمشركين اعداء الرسول واظهارهم الاسلام رياء و
قة ان يصلحوا بدل افسادهم وان يعتصموا بالله بدل
صامهم بالكفار من اهل الكتاب والمشركين وان يخلصوا
عمل بدل اظهارهم رياء وسمعة فهكذا يفهم شرائط
بة وحقيقتها والله المستعان

الباب الرابع

في بيان اشق الصبر على النفوس مشقة الصبر بحسب
باعث الداعي الى الفعل وسهولته على العبد فاذا اجتمع في الفعل
قوة الباعث وكان الصبر عنه اشق شيء على الصابرين وان
معاسبها الصبر عنه وان وجد احدهما وفقد الاخر سهل
ه من وجه وصعب من وجه فمن الاول داعي الرئاسة
فر وشرب المسكر وانواع الفواحش ولا هو سهل
فصبره عنه لهذا اسهل شيء وايسره ومن استقد

داعي الذكر

ولهذا كان صبر السلطان عن الظلم وصبر الشاب عن الفاحشة
وصبر الغني عن تناول الشهوات واللذات عند الله بمكان
وفي المسند وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم عجب ربك من
شاب ليست له صبوة لذلك استحق اولئك السبعة المذكورون
في الحديث ان يظلهم الله في ظل عرشه لكمال صبرهم ومشقة فان
صبر الامام المقسط على العدل في قسمه وحكمه ورضاه وغضبه
وصبر الشاب على عبادة الله ومخالفة هواه وصبر الرجل على ملازمة
المسجد وصبر المتصدق على اخفاء الصدقة حتى عن بعضه وصبر المدعو
الى الفاحشة مع كمال الداعي ومنصبه وصبر المتحابين في الله على
ذلك في حال اجتماعهما وافتراقهما وصبر الباكي من خشية الله على
كمان ذلك واظهاره للناس من اشق الصبر ولهذا كان عقوبة
الشيخ الزاني والملك الكذاب والفقير المختال اشد العقوبة لسهولة
الصبر عن هذه الاشياء الحرام عليهم ولضعف داعيها في نفوسهم فكان
ترکهم الصبر مع سهولته عليهم عنها دليلا على تمردهم على الله وعتوهم
عليه ولهذا كان الصبر عن معاصي اللسان والفرج من اصعب انواع
الصبر لشدة الداعي اليها وسهولتها فان معاصي اللسان كلها كذلك
الانسان كالنميمة والغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعرضا
وتصريحا وحكاية كلام الناس وما جرياتهم والطعن على من يبغضه
ومدح من يحبه ونحو ذلك فتشوق قوة الداعي او تيسير حركة اللسان
فيضعف الصبر ولهذا حال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ اذا مسك
عليه لسانه فقال وانا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال وهل

ب الناس في النار على مناخرهم الا حصايد السنتهم ولا سيما اذا
صارت المعاصي اللسانية معتادة للعبد فانه يعسر عليه الصبر
عنها ولهذا يجد الرجل يقوم الليل ويصوم النهار ويتورع عن
سفك داره الى وسادة حرير لحظة واحدة او يرى نظرة بغير
اختياره دنيا ولسانه يرتع في اعراض الناس غيبة ونميمة وربما
حصل اهل الصلاح والعلم بالسنتهم والدين ويتكلمون في اعراضهم ويقول
في ما لا يعلم وكثيرا ممن يجتنبه يتورع عن الدقايق من الحرام و
يقطع من الخمر ومثل راس الابرة من النجاسة ولا يبالي بما يكتسب
من الحرام كما يحكى ان رجلا خلى بامراة اجنبية حرام وقد سال
رجل عيسى بن عمر عن دم البعوض فقال انظروا الى هؤلاء يسالوني
عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعني قريبا من هذه الحكاية لما كنت في حال الاحرام اتاني قوم
من الاعراب المعروفين بقتل النفوس والاغارة على اموال الناس
يسالوني عن قتل المحرم القمل فقلت يا عجبا لهؤلاء القوم لا يتورعون
عن قتل النفوس المحرمة ويسالوني عن قتل القملة في الاحرام
فالمقصود ان اختلاف شدة الصبر في انواع المعاصي واجناسها
يكون باختلاف الدواعي الى تنقص المعصية في قوتها وضعفها

وقد ذكر عن علي رضي الله عنه انه قال الصبر ثلاثة انواع صبر
على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية فمن صبر
على المصيبة حتى يردها بحسن عزاها كتب الله له ثلثمائة
درجة ومن صبر على الطاعة حتى يؤديها كما امره الله كتب
الله له ستمائة درجة ومن صبر عن المعصية خوفا من الله
ورجاء ما عنده كتب الله له تسعمائة درجة وقال ميمون بن
مهران الصبر صبران فالصبر على المصيبة حسن وافضل منه
الصبر عن المعصية وقال الفضيل في قول لقمان السلام عليكم
يا صبر ثم قال صبروا على ما امروا به وصبروا عما نهوا عنه

وكما تجعل

وكما تجعل الصبر على المصيبة داخلا في قسم المامور به وانه يحمد
عليه الباب الخامس عشر في ذكر ما ورد في الصبر من نصوص
الكتاب العزيز قال الامام احمد ذكر الله الصبر في القرآن في تسعين
موضعا ونحن نذكر الانواع التي تسمى فيها الصبر وهي عشرة انواع
احدها الامر به كقوله وما صبرك الا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين
الثاني النهي عما يضاده كقوله ولا تستهنوا بالهم وقوله ولا تهنوا فلا تجزعوا
وقوله ولا تكن كصاحب الحوت وبالجملة فكل ما نهى عنه فانه يضاد
الصبر المامور به الثالث تعليق الفلاح به كقوله اصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فعلق الفلاح بمجموع هذه
الامور الرابع الاخبار عن مضاعفة اجر الصابر على غيره كقوله
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وقوله انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب قال السلمان سالقاسم كل عمل يعرف ثوابه الا
الا الصبر قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال كالماء
المنهمر الخامس تعليق الامامة في الدين به وباليقين قال تعالى وجعلنا منهم
ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون فالصبر
واليقين تنال الامامة في الدين السادس ظفرهم بمعية الله سبحانه
قال تعالى ان الله مع الصابرين قال ابو علي الدقاق فاز الصابرون
بعز الدارين لانهم نالوا من الله معيته السابع انه جمع لصابرين تلاثة
امور لم يجمعها لغيرهم وهي الصلوة منه عليهم ورحمته لهم وهدى
اياهم قال تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله
وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
واولئك هم المهتدون وقال بعض السلف وجدت جميع مصلحة
الدنيا والدين في ثلاث فقلت ما هي لا اصير وقد وعدني الله على الصبر عليها
ثلاث خصال كل خصلة منها خير من الدنيا وما عليها

الثامن انه سبحانه جعل الصبر عونا وعدة وامر بالاستعانة فقال
واستعينوا بالصبر والصلوة فمن الصبر له لا عون له التاسع
انه سبحانه علق النصر بالصبر والتقوى فقال بلى ان تصبروا
وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من
الملايكة مسومين ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم واعلم ان
النصر مع الصبر العاشر انه سبحانه جعل الصبر والتقوى جنة
عظيمة من كيد الاعداء ومكرهم فاستحق العبد من ذلك بحسب
حظه منها فقال تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا
الحادي عشر انه سبحانه اخبر ان ملايكته تسلم عليهم في الجنة بصبرهم
كما قال تعالى والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار الثاني عشر انه سبحانه اباح لهم ان يعاقبوا على
ما عوقبوا به ثم اقسم قسما مؤكدا لغاية التأكيد ان صبرهم خير
لهم فقال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو
خير للصابرين فتأمل هذا التأكيد بالقسم المدلول عليه بالواو
وبالام بعده ثم باللام التي في جواب الثالث عشر انه رتب
المغفرة والاجر الكبير على الصبر والعمل الصالح فقال الا الذين
صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير فهو لاء
ثلثة اصناف من نوع الانسان المذموم الموصوف بالياس والكفر
عند المصيبة والفرح والفخر عند النعمة والاخلاص من هذا الذم
الا بالصبر والعمل الصالح كما لا ينال المغفرة والاجر الكبير الا بهما
الرابع عشر انه سبحانه جعل الصبر على المصائب من عزم الامور
اي مما يعزم عليه من الامور التي ينبغي العزم عليها واشرفها فقال
ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقال لقمان لابنه وامر
بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم
الامور الخامس عشر انه سبحانه وعد المؤمنين بالنصر
والظفر

والظفر وهي كلمته التي سبقت لهم وهي الكلمة التي اخبر انها
لهم ذلك بالصبر فقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل
بما صبروا السادس عشر انه سبحانه علق تكثيرهم بالصبر وجعلها
لاهله فقال وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم
في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين السابع
عشر انه سبحانه اخبر عن خصال الخير انه لا يلقاها الا الصابرون
في موضعين من كتابه في سورة القصص في قصة قارون وان
الذين اوتوا العلم قالوا ويلكم ثواب الله
خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون وفي سورة حم
السجدة حيث امر العبد ان يدفع بالتي هي احسن فاذا فعل ذلك
صار الذي بينه وبينه عداوة كانه ولي حميم وقال وما يلقاها
الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم الثامن عشر
انه سبحانه وتعالى اخبر انه لا ينتفع بآياته ويتعظ بها الا الصابر
الشكور فقال تعالى ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان اخرج قومك
من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لآيات لكل
صبار شكور وذكر مثل ذلك في آخر سورة لقمان الم تر ان الفلك
تجري في البحر بنعمة الله الآية وقال تعالى في قصة سبا فجعلناهم
احاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور
وقال ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام الآية وفي سورة شورى
مهيدة اربع مواضع في القرآن قد دل على ان آيات الرب انما ينتفع
بها اهل الصبر والشكر التاسع عشر انه اثنى على عباده الموفين
باحسن الثناء على صبرهم فقال انا وجدناه صابرا نعم العبد انه
اواب فاطلق عليه قوله نعم العبد لكونه وجده صابرا وهذا
يدل على ان من ايصبر اذا ابتلي انه يفشل العشرون
انه سبحانه حكم بالخسران حكما عاما على كل من لم يكن من اهل الحق

وهذا يدل على انه لا ارجح سواهم فقال تعالى والعصر ان
سان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا
وتواصوا بالصبر وهذا قال الشافعي لو ان الناس اخذوا
لاية وفكروا فيها لوسعتهم ولذلك ان العبد تالد في
موتيه قوة العلم وقوة العمل وهما الباقيات والعمل الصالح وكما
حتاج الى تكميل نفسه فهو محتاج الى تكميل غيره وهو التواصي
والتواصي بالصبر واخيه ذلك كله وقاعدته وساقه
يقوم عليه انما هو الصبر الحادي والعشرون ان الله سبحانه
هل اليمنة بانهم اهل الصبر والرحمة الذين قامت بهم هاتان
حتان ووصف غيرهم فقال ثم كان من الذين امنوا وتواصوا
لصبر وتواصوا بالمرحمة اولئك اصحاب الميمنة وهذا
اب اليمنة ثم قام بدر هذان الوصفان والناس بالنسبة اليهما
ثة اقسام هؤلاء خير الاقسام وشرهم من لا صبر له ولا رحمة
يليه من له صبر ولا رحمة عنده ويليه القسم الرابع وهو
رحمة ورقة ولكن لا صبر له الثاني والعشرون انه سبحانه
صبر بار كان الاسلام ومقامات الايمان كلها فقرنه بالصلوة
واستعينوا بالصبر والصلوة وقرنه بالاعمال الصالحة
تقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات وجعله قرين
ى كقوله انه من يتق ويصبر وجعله قرين الشكر كقوله
ذلك لايات لكل صبار شكور وجعله قرين الحق كقوله
اصوا بالحق وتواصوا بالصبر وجعله قرين الرحمة
وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة وجعله قرين الصدق
نم والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات وجعله
محبته ومعيته وعونه ونصره وحسن ثوابه ويكفيه
ذلك شرفا وفضلا والله اعلم الباب السادس عشر
في ذكر ما ورد

في ذكر ما ورد فيه من نصوص [illegible] والسنة [illegible]
[illegible] عليه [illegible]
الامر به كقوله ما اصبرهم على النار الثاني الذي
عليه في الصحيحين من حديث انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتى على امراة تبكي على صبي لها فقال لها اتقي الله
واصبري فقالت وما تبالي بمصيبتي فلما ذهب قيل لها انه رسول
الله فاخذها مثل الموت فاتت بابه فلم تجد عليه بوابين فقالت يا
رسول الله لم اعرفك فقال انما الصبر عند الصدمة الاولى في لفظ عند
الصدمة الاولى وفي لفظ عند الصدمة الاولى مثل قوله ليس الشديد
بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب فان مفاجاة
المصيبة بغتة لها رقعة تزعزع القلب وتزعجه بصدمتها
فان صبر للصدمة الاولى انكسرها وضعفت قوتها فهان عليه
استدامة الصبر وايضا فان المصيبة ترد على القلب وهو غير موطن
لها فتزعجه وهي الصدمة الاولى واما اذا وردت عليه بعد ذلك
فقد توطن لها وعلم انه لا بد له منها فيصير صبره مشبها الاضطرار
وهذه المراة لما علمت ان جزعها لا يجدي عليها شيئا جاءت
تعتذر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانها تقول له فتصبرت فاخبرها ان الصبر عند الصدمة الاولى ويدل على هذا المعنى
ما رواه سعيد بن زرين عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بالتنعيع على امراة جالسة
على قبر تبكي فقال لها يا امة الله اتقي الله واصبري قالت يا عبد الله
اني لحزين ثكلى قال يا امة الله اتقي الله واصبري قالت يا عبد الله
لو كنت مصابا عنه شيء قال يا امة الله اصبري قالت يا عبد الله
قد اسمعت فانصرف عنها فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واتبعه رجل من اصحابه فوقف على المراة فقال لها ما قال

رجل الذاهب قالت قال لي كذا وكذا واحيته بكذا وكذا قال لها
قالت لا قال ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوثبت
حتى انتهت البر وهي تقول انا اصبر يا رسول الله
الصبر عند الصدمة الاولى الصبر عند القدمة الاولى
ابي الدنيا حدثنا بشر بن الوليد الكندي وصالح بن مالك
سعيد بن زيد فذكر فهذا السياق يبين معنى الحديث
ابو عبيد معناه ان كل ذي رزية فان مصيبة الى الصبر و
نفسه يحمد على صبره عند حدة المصيبة وحرارتها قلت وفي الحديث
من العلم احدها وجوب الصبر على المصائب والثاني
الثاني الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
شكوى المصيبة وشدتها الانقطاع عن الامر الناهي الثالث تكرار
النهي مرة بعد مرة حتى تعذر الامر الى رتبة الرابع انه
على جواز زيارة القبور للنساء فانه لم ينكر صلى الله عليه وسلم
الزيارة وانما امرها بالصبر ولو كانت الزيارة
هذا كان في آخر الامر فان ابا هريرة انما اسلم بعد السنة
واجيب عن هذا بان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ها يتقي الله والصبر وهذا انكار منه لها لما مات الزيادة
ويدل عليه انها لما علمت الامر هان بذلك رسول الله صلى الله
وسلم وهو من يجب طاعته افرغت مسرعة وايضا فابو هريرة
انما شهد هذه القصة فلا يدل الحديث على انها بعد
ولو شهدها فلعنته صلى الله عليه وسلم زايرات القبور
اتخذ عليها المساجد والسرج كان بعد هذا في مرضه الذي
فيه وفي عدم تغيرها انكر في تلك الحال التي لا تملك
نفسها شفقة منه ورحمة لها اذ لو غير عنها انكر في تلك
فربما سمع منه فتهلك وكان معصيتها له وهي لا تعلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخف من معصيتها له لو علمت

فهذا من

فهذا من كمال رأفته ورحمته صلوات الله وسلامه عليه وفي
مسلم عن ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول لما امره الله تعالى انا لله وانا اليه
راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا
اخلف له خيرا منها قالت فلما مات ابو سلمة قلت اي المسلمين
خير من ابي سلمة اول بيت هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اني قلتها فاخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى
حاطب بن ابي بلتعة يخطبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان لي بنتا وانا غيور
فقال اما ابنتها فادعوا الله ان يغنيها عنها وادعوا الله ان يذهب
بالغيرة فتزوجت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند ابي داود
في هذا الحديث عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
اصاب احدكم مصيبة فليقل انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك
احتسب مصيبتي فاجرني فيها وابدلني خيرا منها فلما احتضر
ابو سلمة قال اللهم اخلفني في اهلي خيرا مني فلما قبض قالت ام
سلمة انا لله وانا اليه راجعون عند الله احتسب مصيبتي فما
فانظر عاقبة الصبر والاسترجاع ومتابعة الرسول والرضى عن
الله الى ما اتت به ام سلمة نكاح اكرم الخلق على الله وفي جامع
الترمذي ومسند احمد وصحيح ابن حبان عن ابي موسى عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته قبضتم
ولد عبدي فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول
ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول ابنوا لعبدي
بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وفي صحيح البخاري من حديث انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا ابتليت عبدي بحبيبتيه

...بر عوضته منها الجنة يريد عينيه وعند الترمذي
...الحديث اذا اخذت كريمتي عبدي في الدنيا ثم
...اء عبدي الا الجنة وفي الترمذي ايضا عن ابي هريرة
...ال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل ما لعبدي
...حبيبتيه فصبر واحتسب لم ارض له ثوابا دون الجنة
...سنن النسائي من حديث عبد الله بن عمرو قال قال
...الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك لا يرضى لعبدي المؤمن
...هب بصفيه من اهل الارض واحتسب ثواب دون
...روي في صحيح البخاري من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
...قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل ما لعبدي
...جزاء اذا قبضت صفيه من اهل الارض احتسبه الا الجنة
...صحيحه ايضا عن عطاء بن ابي رباح قال قال لي ابن عباس
...بلى امرأة من اهل الجنة قلت بلى يا رسول الله اني اصرع
...اتكشف فادع الله لي قال ان شئت صبرت ولك الجنة
...شئت دعوت الله ان يعافيك قالت اصبر فقالت اني
...كشف فادع الله لي ان لا اتكشف فدعا لها وفي الموطأ من حديث
...بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مرض العبد
...ثم اتيم مكين فقال انظر ما ذا يقول لعواده فانه هو
...ومحق الله واثنى عليه رفعها ذلك الى الله وهو اعلم
...لعبدي على ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا شفيته
...له خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفنه يشائه
...بحفيفة عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله
...عليه وسلم اذا جمع الله الخلائق نادى مناد اين اهل الصبر

قال فيقوم

...قال فيقوم ناس وهم قليل فيتخللون سراعا الى الجنة فتلقاهم اهل
...سيئة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فمن انتم فيقولون نحن اهل
...الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا
...اسيئ الينا عفونا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم
...اجر العاملين وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم مالا
...فقال بعض الناس هذه قسمة لا اريد بها وجه الله فاخبر
...ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رحم الله موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر وفي الصحيحين من حديث الزهري
...عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
...من مصيبة تصيب المسلم الا كفر الله بها عن صاحبها حتى الشوكة
...يشاكها وفيها ايضا من حديث ابي سعيد ابي هريرة عن النبي صلى الله
...عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن
...ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه و
...في صحيح مسلم من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
...لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها الا رفعه الله بها درجة او حط
...عنه بها خطيئة وفي المسند من حديث ابي هريرة عن
...النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال البلاء بالمؤمن او المؤمنة
...في جسده وفي ماله وفي ولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة
...وفي الصحيح من حديث سعد بن ابي وقاص قال قلت يا
...رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الصالحون
...ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في
...دينه صلابة زيد في بلائه وان كان في دينه رقة خفف عنه و
...ما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الارض وليس عليه خطيئة
...وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال دخلت
...على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك وعكا شديدا

فقلت يا رسول الله انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك لان لك اجرين قال نعم
والذي نفسي بيده ما على الارض مسلم يصيبه اذى من
مرض فما سواه الا حط الله عنه به خطاياه كما تحط الشجرة اليابسة
ورقها وفي الصحيحين ايضا من حديث عائشة قالت
ما رايت الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي بعض المسانيد مرفوعا ان الرجل ليكون لبعض
درجة عند الله لا يبلغها بعمل حتى يبتليه ببلاء في
جسده فيبلغه اياها ويروى عن عائشة عنه صلى الله عليه
وسلم خلصه ذلك من الذنوب كما يخلص الكير الخبث من
الحديد وفي صحيح البخاري من حديث خباب بن الارت
شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد ببردة
له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال
ان من قبلكم ليوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها
فيجاء بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط
بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه
والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء
الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم
تعجلون وفي لفظ للبخاري اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين
جهدا فقلت الا تدعو الله فقعد وهو محمر وجهه فقال لقد
كان فيمن كان قبلكم ليمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما
يصده ذلك عن دينه وقد حمل بعض اهل العلم قول خباب
شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء فلم
يشكنا على هذا المحمل وقال شكونا اليه الرمضاء الذي كان يصيب

جباههم

جباههم والكفوم من تعذيب الكفار فلم يشكهم وانما دعا على الصبر
وهذا الوجه اشبه من تفسير من فسره بالسجود على الارض
واحتج به على وجوب مباشرة المصلي بالجبهة للارض وجهر احمد
انه لا دليل في اللفظ على ذلك الثاني انهم قد اخبروا انهم كانوا يصلون
النبي صلى الله عليه وسلم فكان احدهم اذا لم يستطع ان يسجد على الارض
بسط ثوبه فسجد عليه والظاهر انه هذا بلغه ويعلم به وقد اقرهم
عليه الثالث ان شكوة الحر في الجملة تمنع من شرع الجبهة
والكف للارض بل يباح ويشرع الوجه والكف فلا يتمكن من
الطمانينة في السجود ويذهب خشوع الصلوة وتضرر البدن
وتتعرض للمرض والشريعة لا تاتي بهذا فتامل رواية خباب
هذا والذي قبله واجمع بين اللفظين والمعنيين والله اعلم وتتمة
الاستيحاش من قوله فلم يشكنا فانه هو معنى اعراضه عن شكواهم
واخباره لهم بصبر من قبلهم والله اعلم وفي الصحيح من حديث
اسامة بن زيد قال ارسلت بنت النبي صلى الله عليه وسلم اليه ان
ابنا لي احتضر فائتنا فارسل يقرئ السلام ويقول ان لله ما اخذ
وله ما اعطى وكل شيء عنده باجل مسمى فلتصبر ولتحتسب فاعادت
رسولها اليه تقسم عليه لياتينها فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ
بن جبل وابي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال فرفع الصبي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقعده في حجره ونفسه تقعقع
كانها شن ففاضت عيناه فقال سعد يا رسول الله ما هذا
قال هذه رحمة جعلها الله في قلوب من شاء من عباده وانما
يرحم الله من عباده الرحماء وفي سنن النسائي عن ابن عباس
قال اختنفت بنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم صغيرة فامر
خذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغت ام ايمن فقالت

ين ورسول الله صلى الله عليه وسلم عندكي فقالت مالي لا ابكي
صلى الله عليه وسلم يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه
ست ابكي وكنتها رحمة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خير على كل حال تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله
وفي صحيح البخاري من حديث انس قال اشتكى ابن
حة فمات وابو طلحة خارج فلما رأت امرأته انه قد مات
ت شيئا ونحته في جانب البيت فلما جاء ابو طلحة قال
م قالت قد هدأت نفسه وارجو ان يكون قد استراح
طلحة انها صادقة فبات معها فلما اصبح اغتسل فلما
برج اعلمته انه قد مات فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بي صلى الله عليه وسلم بما كان منهما فقال رسول الله صلى الله
م لعل الله ان يبارك لكما في ليلتكما قال بن عيينة فقال
جل من الانصار فرأيت لهما تسعة اولاد كلهم قد قرأ القرآن
ء مالك عن القاسم ابن محمد قال هلكت امرأة لي فا
ن كعب القرظي يعزيني فقال انه كان في بني اسرائيل رجل فقيد
مد وكانت له امرأة وكان بهما معا فماتت فوجد عليها
ديدا حتى خلا في بيت واغلق على نفسه واحتجم
س فلم يكن يدخل عليه احد ثم ان امرأة من بني اسرائيل
م فجاءت فقالت ان لي اليك حاجة استفتيك فيها ليس
ا انا اشافهك بها فذهبت الناس ولزمت الباب فا
ذن لها فقالت استفتيك في امر قال وما هو قالت
سعرت من جارة لي حليا فكنت البسه واعيره
انهم ارسلوا الي فيه فاردده اليهم قال نعم والله قالت
انه قد مكث عندي زمانا فقال ذلك

احق

احق لرد اياه فقالت لبئس ما صنعت على ما اعارك
الله ثم اخذه منك وهو احق به منك فابصر ما كان فيه فقال
الله بقولها وفي جامع الترمذي عن شيخ من بني مرة قال
قدمت الكوفة فاخبرت عن بلال بن ابي بردة فقلت
ان فيه لمعبرا فاتيته وهو محبوس في دار الذي كان
بن وادا كل شيء منبر فقد تغير من العذاب والضرب واذا
هو في قشاش فقلت له الحمد لله يا بلال لقد رايتك
بنا وانت يمكنك انك من غير عذاب وانت في حالتك هذه
فكيف صبرك اليوم فقال لي ممن انت فقلت من بني مرة بن
عباد قال الا احدثك حديثا عسى ان ينفعك الله به قلت
هات قال حدثني ابو بردة عن ابي موسى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا ينصب عبد نكبة فما فوقها او دونها الا
بذنب وما يغفره الله اكثر قال وقرا وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وفي الصحيحين من حديث
عبد الله بن مسعود قال كاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي
نبيا من الانبياء ضربه قومه فادموه وهو يمسح الدم عن وجهه
ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فتضمنت هذه
الدعوة العفو عنهم والدعاء لهم والاعتذار عنهم ولا
ستغطاف بقوله لقومي وفي الموطا من حديث عبد الرحمن بن
القاسم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم المسلمين
في مصائبهم المصيبة لي وفي الترمذي من حديث بكر بن
وثاب عن شيخ من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن الذي يخالط
الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا

عنه ذا بر فعه وهذا يحط خطاياه وقال يزيد بن ميسرة
مرض المرض وما لم عند الله من عمل خير فيذكره الله
بعض ما سلف من خطاياه فيخرج من عينيه مثل رأس الذباب
من خشية الله فيبعثه الله ان بعد مطهرا او يقتضه ان
سرا والا يرد على هذا حديث ابي موسى الاشعري في ثواب من
ولده وثمرة فؤاده بان يبني له بيتا في الجنة ويسميه بيت
انما نال ذلك البيت بحمد الله واسترجاعه وذلك عمل اتحد
ب ولذلك سمي بيت الحمد وقال زياد بن زياد مولى
من بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلنا على
صلى الله عليه وسلم وهو من عوك ابن محموم فقلنا اخ اخ يا با
يا رسول الله ما اشد وعكك فقال انا معاشر الانبياء
سلينا البلاء تضعيفا قال قلنا يا سمان الله قال اقجحتان
شد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل
سمان الله قال اقجحتان كان النبي صلى الله عليه وسلم
ليقتله القمل قلنا يا سمان الله قال اقجحتان كانوا ليفر
يفرحون بالرخاء اخ بالكاء المهملة هو المعروف ومن
اله بالكاء المعجمة فقد غلط وذكر النسائي عن عبيدة
عن عمته فاطمة قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في
فاذا اسقاء معلقة يقطر ما فوقها عليه من شدة ما كان
فقلنا لو دعوت الله يا رسول الله ان يذهبها عنك
ما الناس بلاء الانبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم و
قالت عائشة ما رأيت احدا اشد وجعا من رسول
وسلم كان يشتد عليه اذا مرض حتى ربما عكث
ايام وكاه يا خنه غرق الكلية وهو لغة ضعيفة
الله لو دعوت الله فيكشف عنك قال انا هكذا

الانبياء شدة

الانبياء شدة عليا الوجع ليكفر عنا وفي المسند والنسائي من حديث
ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل يا رسول الله ما
هذه الامراض التي تصيبنا ماذا لنا بها قال كفارات فقال ابي بن كعب
يا رسول الله وان قلت قال شوكة فما فوقها قال فبكيت ابي على نفسه
عند ذلك ان لا يفارقه الوعك حتى يموت وعكه ولا يشغله عن حج ولا عمرة
ولا جهاد في سبيل الله ولا صلوة مكتوبة في جماعة قال فما مس رجل
جلده بعدها الا وجده هاجعا حتى مات وقال عبد الله بن عمر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل
للملك الموكل به اكتب له مثل عمله اذا كان طلقا او الغير الى بقال انا فك طلق
بفتح الطاء واللام اذا حل عقالها ويقال لغير اليد اذا ضمها اليد ذكره
ابن ابي الدنيا وذكر ايضا عن ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله ليحب احدكم وهو اعلم به كما يحب احدكم
النار ومنهم من يخرج كالذهب الابريز فذلك الذي نجاه الله من السيئات
ومنهم من يخرج كالذهب دون ذلك فذلك الذي شك بعضهم الشك ومنهم
من يخرج كالذهب الاسود فذلك الذي قد افتتن وذكر ايضا عن اسيل
الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليكفر عن المؤمن حتى الهم
كانوا يرجون في حمى ليلة كفارة ما مضى من الذنوب وذكر عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخل على رجل وهو يشتكي فقال اللهم اني اسألك
تعجيل عافيتك وصبرا على بليتك وخروجا من الدنيا الى رحمتك وقالت
عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمى حظ كل مؤمن من النار
وردها وقال ابو هريرة وقد عادهم ايضا فقال لها ابشري يا ام ملدم فان
عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول هي ناري اسلطها على عبدي المؤمن
في الدنيا ليكون حظه من النار في الآخرة وقال مجاهد الحمى

يحط كل مؤمن من النار ثم قرأ وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا
وهذا لم يرد به مجاهد تقرير الورود الذي في القرآن فان السياق
يأبى حمله على الحم قطعا وانما مراده ان الله سبحانه وتعالى عباده كلهم
يرى ورود النار فالحم للمؤمن تكفر خطاياه فيسهل عليه الورود ويوم
القيمة فينجو منها سريعا والله اعلم ويدل عليه حديث ابي ريحانة
عن النبي صلى الله عليه وسلم الحمى كير من كير جهنم وهو نصيب المؤمن
من النار وقد قال النبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن
كمثل البراءة وهي من مرض كمثل الورقة تنفع من الشاء في صفائها و
وبها ذكره بن ابي الدنيا وذكر ايضا عن ابي امامة بن سهل
عن مسلم يصرع صرعة من مرض الا بعث منها طاهرا وذكر عنه
صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن حين يصيبه الوعك مثل الكير يذهب
خبث النار فينهض خبثها ويبقى طيبها وذكر ايضا عنه صلى
الله عليه وسلم ان العبد اذا مرض أوحى الله الى ملائكته يا ملائكتي
قيدت عبدي بقيد من قيودي فان انا قبضته اعزلته وان
عافيته فخير مغفور له الذنب له وذكر عن سهل بن انس الجهني
عن ابيه عن جده قال دخلت على ابي الدرداء في مرضه فقلت
يا ابا الدرداء انا نحب ان نصح ولا نمرض فقال ابو الدرداء
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الصداع والمليلة
ليزالان بالمؤمن وان كان ذنبه مثل احد حتى لا يبقى عليه
من ذنبه مثقال حبة من خردل المليلة فعيلة من التململ
هي هذه الملة التي تخبز فيها وقلت ام سلمة عن النبي صلى
الله عليه وسلم ما ابتلى الله عبدا ببلاء وهو على طريقة يكرهها
الا جعل الله ذلك البلاء كفارة وطهورا مما ينزل ما اصابه
من البلا بغير الله الا ان يعفو عنه الله او يكفر غير الله في كفه

وقال عطية

وقال عطية بن قيس مرض كعب فعاده ورهط من اهل حمص
فقالوا كيف تجدك يا ابا اسحق قال تحرجت بنفسي منذ كذا وكذا
ربي عذبني وان شاء رحمني وان بعثه بعثه خلقا جديدا لا ذنب له
وقال سعيد بن وهب دخلنا مع سلمان الفارسي على رجل من كندة
نعوده فقال سلمان ان المسلم يبتلى فيكون كفارة لما مضى ومستعتبا
فيما بقي وان الكافر يبتلى ثم يدع كمثل البعير اطلق فلم يدر لم اطلق
ولم يعقل فلم يدر لم عقل وذكر ايضا عن ابي ايوب الانصاري قال
عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الانصار فاكب عليه فسأله
فقال يا نبي الله ما عمضت منذ سمع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي احر صبرا اي اخر اصبر تخرج من ذنوبك كما دخلت فيها وقال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعات الامراض تذهب ساعات الخطايا
وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لاعرابي هل اخذتك ام ملدم قال يا رسول الله ما ام ملدم قال
حر يكون بين الجلد واللحم قال لا ما وجدت هذا قال اما اعراب ابي هل
جربت هذا الصداع قال يا رسول الله وما الصداع قال عرق يضرب
على الانسان في راسه قالها ما وجدت هذا قط اما والذي نفسي بيده
عليه وسلم من احب ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا
قالت ام سليم مرضت فعاد في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ام
سليم اتوفيني النار والحديد وخبث الحديد قلت نعم يا رسول الله
قال فاكتوي يا ام سليم فانك تخلصين من وجعك هذا تخلصين منه
كما تخلص الحديد من النار ضحك وخرج بعض الصحابة وابرا
لرجل من اهل انه قد بلغه انه شاك قبل ان يدخل عليه فقال اتيتك
زائرا واتيتك عائدا ومبشرا قال كيف سمعت هذا قال خرجت
وانا ارى انه زيارتك فبلغني شكايتك فعدته عيادة وانبشرك

سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سبقت للعبد
من منزلة لم يبلغها او قال لم ينلها ابتلاه الله في جسده
او في ولده ثم صبره حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله
عز وجل وقال الحسن وذكر الوجع اما والله ما هو بشر ايام المسلم
ما رزت له فيها من راحلة وذكر فيها ما نسي من معاده وكفر بها
عنه اياه وقال بعض السلف لولا مصايب الدنيا لوردنا القيمة
مفاليس وقال انس يا مالك انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
ثابت وهو يوعك وعوده ما شاء الله قال المصايب والاوجاع
تحط ذنوب امتي اسرع مني في هذه الشجرة وذكر بن
ابي الدنيا عن ابي هريرة ما من مسلم الا وكل الله به ملكين
يمشيان الى الفار فاحتر يقتضي الله في امره يا جدي الحسنة
واما عياله فاذا قال لله العواد كيف تجدك قال الحمد
لله والله محمود بخير وان قال لله المكان الذي هو به هو خير
له وصحته هي خير من صحتك ومرضه خير من مرضك وان احد في بلاء
الا المكاتبة مجيبة لله بشر منه دمك وبلاؤه هو
شفاؤك والله ناقض هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في
سماه وتقول سعد يا رسول الله قد اشتد بي الوجع
وتقول عائشة وارأساه فان هذا انما قيل على وجه
الخبر المشكوى الى العواد فاذا احمد المريض الله ولم
يكن شكوى منه وان اخبر بها كبر ما وتسخطا
منه فالطامة الواحدة قد تأتي عليها وقد يعافى
منها وقال ثابت البناني ان الله ليطلع الحسنة الى الصغوان
فيغفرها له وقال هو مبطون لا تستطعمون
عليه وقال الحسن ان ابا بكر ان يؤخذ اليوم من لحمه
فيوجر فيه خير من ان يأكل التراب وقال ثابت

ايضا حدثنا

ايضا حدثنا علي بن سعيد بن بحر الجرجاني نزيل بغداد وهو ثقيل فقال ابن معين
في اول حالته هذه مائة الاجزة قلت وكانت الدنيا الصغير في عنقه
من ذباب وتذكر عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا مرض العبد
ثلاثة ايام خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وتذكر عنه صلى الله عليه وسلم
لا ترد دعوة المريض حتى يبرأ وذكر ابن ابي الدنيا عن ابن مسعود قال
كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حالسا فتبسم فقلنا يا رسول الله ما
تبسمت قال تعجبا للمؤمن ما خرج عنه من السقم ولو كان يعلم ما له في السقم
احب ان يكون سقيما حتى يلقى الله ثم تبسم ثانية ورفع راسه الى السماء فقلنا
يا رسول الله ما تبسمت ورفعت راسك الى السماء قال لحقت من ملكين
نزلا من السماء يلتمسان عبدا من امتي كان في الصلوة فضلي فلم يجداه
فرجعا الى الله عز وجل فقالا يا رب بعبدك فلان المؤمن معكنا نكتب له من
العمل في يوم وليلة كذا وكذا فيما حبسناه قد حبسته في حبالك فلم نكتب له
شيئا من عمله فقال اكتبا لعبدي عمله الذي كان يعمل في يومه وليلته والا
تنقصوا منه شيئا فعلى اثر ما حبسته ولداجر ما كان يعمل وتذكر عنه صلى
الله عليه وسلم من وعك ليلة فصبر ورضي بها عن الله عز وجل خرج من
ذنوبه كهيئة يوم ولدته امه ومن مراسيل يحيى بن ابي كثير قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان فسأل عنه فاخبر انه عليل فاتاه فقال
يعود فقال شفى الله سقمك وعظم اجرك وعفر ذنبك ولو قال العافية
في دينك وجسمك الى منتهى اجلك ان لك من وجعك خلا الا انا
اما احدى فتذكره من ربك يذكره بها واما الثانية فتمحص ما
سلف من ذنوبك وقال يزيد بن ابي مريم قال ابي بن كعب اية في كتاب الله
قد اخرتني فقال ما شئت واما الثالثة فادع بما شئت فان المبتلى مجاب الدعوة
وقال زياد بن الربيع قلت لابي بن كعب اية من كتاب الله اخرتني
قال ما هي قلت من يعمل سوءا يجز به قال ما كنت اراك الا فقيها قال

المؤمن لا تصيبه شوكة فما فوقها ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه
اكثر وسئلت عائشة عن هذه الآية فقالت ما سألني عنها
منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة هذه معاتبة
الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة والشوكة والخدش حتى
البضاعة يضعها في كمه فيفتقدها فيفزع لها فيجدها في ضبنه حتى
المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج الذهب الاحمر من الكير ضبن
انسان تحت يده فيقال اضبن كذا اذا حملت تحت يده وقال وهب
منبه لا يكون الرجل فقيها كامل الفقه حتى يعد البلاء نعمة ويعد
الرخاء مصيبة وذكر ان صاحب البلاء ينتظر الرخاء وصاحب
الرخاء ينتظر البلاء وفي بعض كتب الله سبحانه ان الله ليصيب
العبد بالامر يكرهه وانه ليحبه لينظر كيف تضرعه اليه وقال كعب
في التوراة لولا ان يحزن عبدي المؤمن لعصبت الكافر بعصابة من
حديد لا يصدع ابدا وقال معروف الكرخي ان الله ليبتلي عبده المؤمن
بالسقام والاوجاع فيشكو الى اصحابه فيقول الله تبارك وتعالى
لي وحدا لي ما ابتليتك بهذه الاوجاع والاسقام الا لاغسلك
من الذنوب قال تشكين وذكر بن ابي الدنيا ان رجلا قال يا رسول
ما الاسقام قال اوما سقمت قط قال لا فقال قم عنا فلست منا
ان بعض اصحاب له مسعود وقد اشتدت به العلة فدخل
عليه اصحابه يعودونه واهله يقولون له نفسي فداك ما نطعمك
فيكن فاخبارها بصوت ضعيف بليت اكارعي وطالت
سقمي والله ما يسرني ان الله نقصني منه قلامة ظفر وطلق
بعض الولد امراة له احسن عليها الثناء فقيل له ما انا سلمها
ولا طلقتها قالت ما طاقتها الامر وانني منها ولا اساني ولكن
كنت عندي بداء وبيلا كنت عند صلى الله عليه وسلم ما ضرب علي
عرق الا كتب الله له حسنة وحط عنه به سيئة ورفع
له درجة والاسقام هذا ما قدمناه من ان المصائب مكفرات

الا خير الله بخصوص الزاهر بصيرة الاختيار على ما هو
وعاد رجل من المهاجرين مريضا فقال ان المريض اذا برىء عنه
القلم ويكتب له من الاجر مثل ما كان يعمل في صحته ويتبع المريض كل خطيئة
من منفصل من مفاصله فيستخرجها فان عاش عاش مغفورا له واما
مات مغفورا له فقال المريض اللهم لا ازال مضطجعا وفي المسند عنه
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا
كان خيرا له ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء
صبر فكان خيرا له وليس الا للمؤمن وفي لفظ ان امر المؤمن كله عجب
ان اصابته سراء شكر فكان له خيرا له وان اصابته ضراء صبر
فكان خيرا له الباب السابع عشر في الآثار الواردة عن الصحابة وغيرهم
بعضهم في فضيلة الصبر قال الامام احمد ثنا وكيع عن عمارة بن مهدي
عن ابي السفر قال مرض ابو بكر رضي الله عنه فعادوه فقالوا الا ندعو
لك الطبيب فقال رآني الطبيب قالوا نعم قال فما قال لك قال اني
فعال لما اريد وقال الامام احمد ثنا ابو معاوية ثنا الاعمش عن مجاهد
قال قال عمر بن الخطاب وجدنا خير عيشنا بالصبر وقال ايضا افضل
عيشكم ادركناه بالصبر ولو ان الصبر كان من الرجال كان كريما وقال
علي بن ابي طالب رضي عنه الا ان الصبر منه الايمان بمنزلة الرأس من
الجسد فاذا قطع الرأس عفن الجسد وقال الصبر عند المكروه
انه الايمان لمن لا صبر له وقال الصبر عند النكبة وقال احمد الصبر
كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله الا لفضل كرم عنده وقال عمر بن عبد
العزيز ما انعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر
الا ما عوضه خيرا مما انتزع منه وقال ميمون بن مهران ما نال

شيئا من جسيم الخير فادونه الا بالصبر وقال سليمان بن القا
م كل عمل يعرف ثوابه الا الصبر قال الله تعالى انما يوفى الصابرون
رهم بغير حساب قال كالماء النهر وكان بعض العارفين في
سبيله رقعة يخرجها كل وقت فينظر فيها وفيها واصبر لحكم ربك فانك
عيننا وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر والشكر بعيرين
ال ايهما ركبت وكان محمد بن شيرمه اذا نزل به بلاء قال
ت ثم تنقشع وقال سفيان بن عيينة في قوله تعالى وجعلنا هم
يهدون بامرنا لما صبروا لما اخذوا براس الامر جعلناهم رؤسا
ن للاحنف بن قيس ما الحلم قال ان يصبر على ما يكره قليلا وقال
ب مكتوب في التوراة الحكمة قصر السفه النصب وقصر الحلم الراحة
ر الصبر الظفر قصر الشر وقصاراه غياته وثمرته وقد م
رة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد وكان
حسن الناس وجها فدخل به ما على الوليد في ثياب وشي
ر ثياب وهو يضرب بيده فقال الوليد هكذا يكون فتيان
ن فعانقه فخرج من عنده متورما فوقع في اصطبل الدواب فلم
دواب تطاوه بارجلها حتى مات ثم ان الاكلة وقعت في رجل
فبعث اليه الوليد الاطباء فقالوا له ان لم يقطعها سرت الى باقي
فيهلك فعزم على قطعها فنشروها بالمنشار فلما صار
ر الى القصبة وضع راسه على وسادة ساعة فغشي عليه
والوف يتحدر على وجهه وهو يهلل ويكبر فاخذها
وجعل يقلبها في يده ثم قال اما والذي حملني عليك
علم اني ما مشيت بها الى حرام ولا الى معصية ولا آلى

ما الا يرضي الله

ما الا يرضي الله ثم امر بها فغسلت وطيبت ولفت في تقليعة ثم
بعث بها الى مقابر المسلمين فلما قدم من عند الوليد المدينة تلقاه
اهل بيته واصدقاؤه يعزونه فجعل يقول لقد لقينا من سفرنا
هذا نصبا ولم نر بعده عليه ثم قال لا ادخل المدينة انما انا بها بين
شامت بنكبة او حاسد لنعمة فمضى الى قصره بالعقيق
فاقام هناك فلما دخل قصره قال لعيسى بن طلحة لا ابا
لشانيك اري هذه المصيبة التي نعزيك عنها فكشف له عن ركبته
فقال لعيسى اما واسر ما كنا نعدك للصراع فما بقرا لله
اكثر عقلك ولسانك وسمعك وبصرك ويديك واحبري
رجليك فقال لعيسى ما عزاني احد بمثل ما عزيتني به ولما
اراد ان يقطع رجله قالوا له نسقيك شيئا كيلا تشعر بها فرجع فقال
انما ابتلاني ليرى صبري ففي اي عارض امره وسئل ابن هشام
كيف كان ابن ابي يصنع برجله التي قطعت اذا توضا قال كان يمسح
عليها وقال الامام احمد ثنا عبد الصمد ثنا سلام قال سمعت
قتادة يقول لقمان الحكيم وسأله رجل اي شيء خير قال
صبر لا يتبعه اذى قال فاي الناس خير قال الذي يرضى بما
اوتي قال فاي الناس اعلم قال الذي ياخذ من علم الناس الى
علمه قيل فما خير الكثير من المال او من العلم قال سبحان الله بل
المؤمن العالم الذي ان ابتغى عنده خير وجد وان لم يكن عنده
كف نفسه ويحسب المؤمن ان يكف نفسه وقال الحسن

ي جبلة من بث فلم يصبر ورواه ابن ابي الدنيا مرفوعا الى النبي
ى الله عليه وسلم وان صح فمعناه من بث الى المخلوق لا من بث
ه وقال حسان بن ابي جبلة ايضا في قوله تعالى وصبر جميل
شكوى فيه ورفعه بن ابي الدنيا ايضا وقال مجاهد
ر جميل في غير جزع وقال عمرو بن قيس فصبر جميل قال
بالمصيبة والتسليم وقال بعض السلف فصبر جميل
ى فيه وقال هشام عن قتادة في قوله تعالى وابيضت
من الحزن فهو كظيم قال كظم على الحزن فلم يقل الا خيرا
يحيى بن المختار عن السلف الحسن للكظيم الصبور وقال
ن كظيم اي كميد الحزن وقال الحسن ما جرعتين احب
من جرعة مصيبة موجعة محزنة يردها صاحبها
عزا وصبر وجرعة غيظ يردها بحلم وقال عبد الله بن
ا اخبرنا عبد الله بن لهيعة عن عطاء بن دينار ان
ن جبير قال الصبر اعتراف العبد لله بما اصاب منه
ابه عند الله ورجائه ثوابه وقد يجزع الرجل وهو
ا يرى الا ان الصبر فقوله اعتراف العبد لله بما اصاب
خير وقوله انا لله فعترف انه ملك لله يتصرف فيه
ما يريد وقوله واحتسابه عند الله كانه تفسير
ت اليه راجعون اي يرد اليه فيجزينا على صبرنا
اجر المصيبة وقوله وقد يجزع الرجل وهو متجلد

اي ليس

اي ليس الصبر بالتجلد وانما هو حبس القلب عن التسخط على
المقدور وورد اللسان عن الشكوى مع تجلد وقلبه ساخط على
القدر فليس بصابر وقال يونس بن يزيد سالت ربيعة
ابا عبد الرحمن ما منتهى الصبر قال ان يكون يوم تصيبه المصيبة مثله
قبل ان تصيبه وقال قيس بن الحجاج في قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا
قال ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يعرف من هو وكان ثابت
اذا عزى مصابا قال اصبر لما حكم ربك وقال ابن عقيل رايت سالم
بن عبد الله بن عمر بيده سوط وعليه ازار في موت واقد بن
عبد الله بن عمر لا يسمع صارخة ينالها الصوت الا ضربها فقال ابن
ابي الدنيا حدثني محمد بن جعفر بن مهران قال قالت امراة من
قريش اما والذي لا يخلد الا الوجه ومن ليس في العز المنيع له كفو
لان كان نذر الصبر لمذاقه ٥ لقد يجتني من عيشه الثمر الحلو
قال وانشد لي عمرو بن بكير

صبرت وكان الصبر خير مغبة ... وهل جزع مجد علي فاجزع
ملكت دموع العين حتى رددتها ... الى ناظري فالخير في القلب اجمع
قال وانشدني احمد بن معن بن سعد الثقفي

بليت خلة من قد حرعت ... من ان تبوت نوائب الدهر اجزع
لاجزعني يا خول واصطبري ... ان الكرام بنو على الصبر
قال وحدثني عبد الله بن محمد بن اسحاق النيسابوري قال اجزعني رجل عن

الدنيا يستوجب على الله وعده من صبر له بحقه فلا يجزع الى ما اصبت
به من المصيبة الجميعة بالاجر فانها اعظم المصيبتين عليك وعليكما
رحمة يثيبك الله والسلام وعزى ابن السماك رجلا فقال عليك بالصبر فانه يعمل من احتسب واليه يصير من جزع وقال عمر بن
عبد العزيز اما الرضى فمنزلة عزيزة او منيعة ولكن قد جعل الله
في الصبر معولا حسنا ولما مات عبد الملك ابنه صلى عليه ثم قال
ملك الله لقد كنت لي وزيرا وكنت لي معينا قال والناس يكون
بما يقطر من عينه دمعة واصيب مطرف بن عبد الله بابن له
فاتاه قوم يعزونه فخرج اليهم احسن ما كان قبل ثم قال اني
لستحيي من الله ان اتضعضع لمصيبة وقال عمر بن دينار قال
يزيد بن عمير ليس الجزع ان تدمع العين ويحزن القلب ولكن
الجزع القول السيئ والظن السيئ وقال ابن ابي الدنيا حدثني
حسين بن عبد العزيز الحروي قال مات ابن لي نفيس فقلت
لامه اتقي الله واحتسبيه واصبري فقالت مصيبتي اعظم من
ان تذهلها بالجزع قال ابن ابي الدنيا واخبرني عمرو بن بكير
شيخ من قريش قال مات الحسن بن الحصين ابو عبيد الله
حسن وحبيب الله يومئذ قاض على البصرة وامر بكثير
يعزيه فمن اكرم ما يثيبه به جزع الرجل من صبره فاجمعوا
ان يتركوا شيئا مما كان يصنعه فقد جزع وقال خالد بن ابي

كثير عن سعيد بن جبير يعزي رجلا فقال ان
بالبيت متقنعا فكشف القناع عن رأسه وقال الا هذه
من الجزع فصل واما قول كثير من الفقهاء وجمهور اصحابنا وغيرهم
لا بأس ان يجعل المصاب على راسه ثوبا يعرف به قالوا الا ان الشريعة
سنة وفي ذلك تغيير لمعرفته حتى يعزى فنهيه وانكره سخطا
ولا ريب ان السلف لم يكونوا يفعلون شيئا من ذلك والله اعلم
هذا القول وقد كره اسحق بن راهويه ان يترك لبس ما عادته لبسه وقال هو من
التسلب وبالجملة فعادتهم انهم لم يكونوا يغيرون شيئا من زيهم قبل
المصيبة ولا يتركون ما كانوا يعملونه فهذا كله مناف للصبر والله اعلم
الباب الثامن عشر في ذكر امور تتعلق بالمصيبة من البكاء والندب
وشق الثياب ودعوى الجاهلية ونحوها فمنها البكاء على الميت
ومذهب احمد وابي حنيفة جوازه قبل الموت وبعده واختاره
اسحق الشيرازي وكرهه الشافعي وكثير من اصحابنا بعد
الموت ورخصوا فيه قبل خروج الروح واحتجوا بحديث جابر
بن عتيك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يعود عبد الله
بن ثابت فوجده قد غلب فصاح به فلم يجبه فاسترجع وقال
غلبنا عليك يا ابا الربيع فصاح النسوة وبكين فجعل ابن عتيك

يسكتهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهن فاذا وجب فلا
تبكين باكية قالوا وما الوجوب يا رسول الله قال الموت رواه ابو
داود والنسائي قال ابو في الصحيحين من حديث عمر رضي
الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت ليعذب ببكاء
اهله عليه وهذا لفظ ابو داود والمراد قال فلما مات عمر ذكرت ذلك
بن عمر رضي الله عنهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالت
أخذ سمع سماء بني عدي الا شق عليها هذا فقد رأيت
حمزة ابو اكيل له ولم يبك ولم يكن عمر ولا
سيئة فقال ما بعد الموت من هذه يبكين حتى الا مروهن بنيه
ولا يبكين على هالك بعد اليوم وقال الامام احمد وهذا
مع سنة الا المتقدمة وقد ثبت بما قبل الموت وبعده ان قبل موت
يرجع فيكون البكاء عليه حينئذ اذا مات انقطع الرجاء وابرم
القضاء لا ينفع البكاء ولا النحو وقال جابر بن عبد الله
رضي الله عنه اصيب ابي يوم احد فجعلت اكفه فجعلوا ينهوني
ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهاني فجعلت عمتي فاطمة تبكي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تبكين او لا تبكين ما زالت الملائكة
تظله باجنحتها حتى رفعتموه متفق عليه وفي الصحيحين ايضا
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فا
تاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد

بن ابي وقاص وعبد الله بن مسعود فلما دخل عليه وجده في
غشيته فقال قد قضى قالوا لا يا رسول الله فبكى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما رأى القوم بكاءه بكوا فقال الا تسمعون
ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب
بهذا واشار الى لسانه او يرحم وفي الصحيحين ايضا من حديث
اسامة بن زيد رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انطلق الى ابن ابنته وهو في الموت ففاضت عيناه فقال سعد ما هذا
يا رسول الله قال هذه رحمة جعلها الله في قلوب
عباده او يرحم الله من عباده الرحماء وفي مسند الامام احمد من
حديث ابن عباس قال ماتت رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبكت النساء فجعل عمر رضي الله عنه يضربهن بسوطه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم دعهن يا عمر يبكين واياكن ونعيق الشيطان
ثم قال انه مهما كان من العين ومن القلب فمن الله ومن الرحمة
ومهما كان من اليد واللسان فمن الشيطان وفي المسند ايضا
عن عائشة رضي الله عنها ان سعد بن معاذ رضي الله عنه لما مات حضره
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهم قالت فوالذي
نفسي بيده اني لاعرف بكاء ابي بكر من بكاء عمر وانا في
حجرتي وفي المسند ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما

يبكين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهن فاذا وجب فلا
تبكين باكية قالوا وما الوجوب يا رسول الله قال الموت رواه ابو
داود والنسائي قال وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي
الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت ليعذب ببكاء
اهله عليه [illegible]
[illegible] ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] حتى [illegible]
رضي الله عنه [illegible] الى يوم احد فجعلت اكشف [illegible]
ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهاني فجعلت عمتي فاطمة تبكي فقال
النبي صلى الله عليه وسلم تبكين او لا تبكين ما زالت الملائكة
تظله باجنحتها حتى رفعتموه متفق عليه وفي الصحيحين ايضا
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فاتاه
النبي صلى الله عليه وسلم يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد

ابن ابي وقاص

بن ابي وقاص وعبد الله بن مسعود فلما دخل عليه وجده
في غشية فقال قد قضى فقالوا لا يا رسول الله فبكى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما راى القوم بكاءه بكوا فقال الا تسمعون
ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن
يعذب بهذا واشار الى لسانه او يرحم وفي الصحيحين ايضا
[illegible] رسول الله صلى الله عليه
[illegible] في الموت فرفع اليه الصبي
[illegible] فقال سعد
[illegible] رحمة جعلها الله في قلوب
عباده [illegible] الرحماء وفي مسند الامام احمد
حديث ابن عباس قال [illegible] رقية ابنة رسول الله صلى الله
[illegible] فبكت النساء فجعل عمر رضي الله عنه يضربهن بسوطه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهن يا عمر [illegible] يبكين واياكن ونعيق الشيطان
ثم قال انه مهما كان من العين ومن القلب فمن الله ومن الرحمة
وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان وفي المسند ايضا
عن عائشة رضي الله عنها ان سعد بن معاذ رضي الله عنه لما مات
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما قالت
فوالذي نفسي بيده اني لاعرف بكاء ابي بكر من بكاء عمر وانا في
حجرتي وفي المسند ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال

على النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة يبكى عليها وانا معه ومعه
عمر بن الخطاب فانتهر عمر اللاتي يبكين عليها فقال النبي صلى الله
عليه وسلم دعهن يا بن الخطاب فان النفس مصابة وان العهد
دامعة والعهد قريب وفي جامع الترمذي عن جابر بن عبد
الله رضي الله عنه قال اخبر صلى الله عليه وسلم بيد عبد الرحمن
بن عوف فمطلق الى ابنه ابراهيم وهو يجود بنفسه فاخذه
النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره فلما فارقته نفسه قال
نهيت عن البكاء فقال لم ينه عن صوتين احمقين فاجرين
صوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان قال
الترمذي هذا حديث حسن وقد صح عنه انه صلى الله عليه وسلم
زار قبر امه وبكى من حوله وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال عثمان
يبعث مظلوما حتى تسيل دموعه على وجهه وصح عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو ميت وبكى فهذه
اثنى عشر حجة تدل على عدم كراهة البكاء فتعين حمل احاديث النهي
عن البكاء الذي معه ندب ونياحة ولهذا جاء في بعض الفاظ
حديث عمر الميت يعذب ببعض بكاء اهله عليه وفي بعضها
يعذب بما نيح عليه وقال البخاري في صحيحه قال عمر دعهن يبكين
على ابي سليمان يعني خالد بن الوليد رضي الله عنه مالم يكن نقع
او لقلقة والنقع التراب على الراس واللقلقة الضرب واما دعوى
النسخ في حديث حمزة فلا يصح ان معناه لا يبكين على هالك

بعد اليوم

بعد اليوم من قبل احد ويدل على ذلك ان نصوص الاباحة
اكثرها متاخرة عن عمر وقد احد منها حديث ابي هريرة اذ
اسلامه وصحبته كانا في السنة السابعة ومنها البكاء على جعفر وا
صحابه وقد استشهدوا في السنة الثامنة ومنها البكاء على زينب
وقد توفيت في السنة الثامنة ايضا ومنها البكاء على سعد بن
معاذ رضي الله عنه وقد توفي بعد مرجعه من غزوة بني قريظة
وكانت في السنة الخامسة ومنها البكاء عند
صلى الله عليه وسلم وكان عام الفتح في الثامنة وقولهم
اخيرا فلما وجبت جنوبها تحلل ما بعد الموت جواب لسؤال الباكي
فانه لما سمع خبر الموت بعد الموت اشد فهو اول رخصة
السكاء من الميت بعد موته وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم
الى ذلك بقوله تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط
الرب وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون فصل واما الندب
حتة فنص احمد على تحريمها قال في رواية حنبل النوحة معصية وقال
اصحاب الشافعي وغيرهم النوح حرام وقال ابن عبد البر اجمع العلما
على ان النياحة لا تجوز للرجال ولا للنساء وقال وكره الندب
والنياحة وخمش الوجوه وشق الجيوب والتحزي والصواب المقول
بالتحريم لما في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود
وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية وفي الصحيحين ايضا
عن ابي بردة رضي الله عنه قال فوجع ابو موسى ووجعا

فغشي عليه وراسه في حجر امراة من اهله فلم يستطع ان يرد
عليها شيئا فلما افاق قال انا بريء ممن برئ منه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم برئ من الصالقة
والحالقة والشاقة وفي الصحيحين ايضا عن المغيرة بن شعبة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه من ينح عليه يعذب
بما نيح عليه وفي الصحيحين ايضا عن ام عطية قالت اخذ
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيعة ان لا ننوح قالت
فما فت منا امراة الا خمس نسوة في صحيح البخاري عن عمر
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الميت ليعذب
في قبره بما نيح عليه وفي صحيح مسلم عن ابي مالك الاشعري
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع في امتي
من امر الجاهلية لا يتركونهن الفخر بالاحساب والطعن في
الانساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة وقال النائحة
اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيمة وعليها سربال من
قطران ودرع من جرب وفي سنن ابي داود عن اسيد
ابن ابي اسيد عن امراة من المبايعات رضي الله عنهن قالت
كان فيما اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف
الذي اخذ علينا ان لا نعصيه فيه ان لا نخمش وجها ولا ندعو
ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا وفي مسند الامام
احمد عن انس قال اخذ النبي صلى الله عليه وسلم على النساء

حين

حين ما يعلم ان لا ينحن فقلن يا رسول الله نساء اسعدننا
في الجاهلية فاسعدهن في الاسلام فقال لا اسعاد في الاسلام
وقد تقدم قوله ما كان من العين واللسان فمن الشيطان وفي
قوله بعث عن صوتين احمقين فاجرين صوت عند مصيبة
وخمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان وفي مسند
الامام احمد من حديث ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال الميت يعذب ببكاء الحي اذا قالت النائحة واعضدا
وناصراه وا كاسياه جبذ الميت وقيل له انت عضدها
انت ناصرها انت كاسيها وفي صحيح البخاري عن النعمان
ابن بشير رضي الله عنه قال اغمي على عبد الله بن رواحة
فجعلت اخته عمرة تبكي وتقول واجبلاه واكذا واكذا
كذا تعدد عليه فقال حين افاق ما قلت لي الا قيل
لي انت كذلك فلما مات لم تبك عليه وكيف ولكن ر
هذه الخصال ممدوحة وهي مشتملة على التخطي على الرب عز
وفيها ينافي الصبر في الامراد بالنفس من لطم الوجه وخ
الشعر ونتفه والدعا عليها بالويل والثبور والتظلم من
الله سبحانه واتلاف المال بشق الثياب ونحو ذلك وذكر ما
ليس فيه ولا ريب ان التحريم الشديد يثبت ببعض هذا

قال المجوز لمجرد الندب والنياحة مع كراهتهم له قد روى
حرب عن أثلة بن الاسقع وابي وائل رضي الله عنهما انهما قالا
يسمعان النوح وبكيتان قالوا وفي الصحيحين عن ام عطية
رضي الله عنها قالت ما نزلت هذه الاية يا ايها النبي اذا
جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه
بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف كان منه النياحة
فقلت يا رسول الله الا آل فلان فانهم كانوا اسعدوني في
الجاهلية فلا بد لي من اسعادهم فقال فلان وفي رواية
الا آل فلان فانطلقت ثم رجعت فبايعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
ام عطية ولم يقل انه لا نوح فقد صح ان المرأة ما يدها
شيء ولا تنهى عن النياحة فقد صح ان المرأة ما يدها
قالت فلانة اسعدوني فاذا اوفيان اخبرها فما قالت لها شيئا فمضت
ثم انطلقت ثم رجعت فبايعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
هذا الاذن لبعضهن في فعل بعض على ان النهي عنه نهي تنزيه لا
تحريم ويتعين حمله على المجرد من تلك المفاسد جمعا بين الادلة قال
المجوزون لا تعارض سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد من الناس
بايما كان والتضرب سنته بعضها ببعض وما ذكرتم من النصوص
صحيحة صريحة لا تحتمل تاويلا وقد اتفق عليها الرواة واما المرأة
التي قال لها الا آل فلان والمرأة التي سكت عنها فذلك خاص بهما
لوجهين: احدهما انه قال لغيرها فما سالنه ذلك لاسعاد في
الاسلام والثاني انه اطلق لها ذلك وهما حديثا عهد في الاسلام

وهم يميزا

وهم يميزا بين المجاز من ذلك وبين المحرم وناخر البيان عن
وقت الحاجة لا يجوز فعلم ان الحكم لا يعدوهما الى غيرهما
فصل واما الكلمات الكبيرة اذا كانت صدقا لا في
حد النوح والتحوط فلا تحرم ولا اثم في الصبر الواجب نص عليه
احمد لما روى مسند من حديث انس ان ابا بكر دخل على
النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فوضع فمه بين عينيه ووضع
يديه على صدغيه وقال وانبياه واخليلاه واصفياه وفي صحيح
البخاري عن انس ايضا لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل
يتغشاه الكرب فقالت فاطمة واكرب اباه فقال ليس على ابيك
كرب بعد اليوم فلما مات قالت يا اباه اجاب ربا دعاه
جنة الفردوس ماواه يا اباه الى جبريل ننعاه فلما دفن
قالت فاطمة يا انس اطابت انفسكم ان تحثوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم التراب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا بن فاطمة بابن يوم
المجزوزون وهذا ونحوه من القول الذي ليس فيه تظلم للمتقدم
ولا سخط على الرب تعالى ولا اسخاط له وقد كبر وابكاء فصل وا
اما قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الميت يعذب بالنياحة عليه فقد
فقد ثبت عنه من رواية عمر بن الخطاب في بنت رضي الله عنهما
المغيرة بن شعبة رضي الله عنهم وروى كثوم عتيبة عن ابيها

فغشي عليه وراسه في حجر امراة من اهله فلم يستطع ان يرد
عليها شيئا فلما افاق قال انا بريئ ممن برئ منه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بريئ من الصالقة
والحالقة والشاقة وفي الصحيحين ايضا عن المغيرة بن شعبة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه من يناح عليه يعذب
بما نيح عليه وفي الصحيحين ايضا عن ام عطية قالت اخذ
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيعة ان لا ننوح قالت
فما منا امراة الا خمس سوة وفي صحيح البخاري عن عمر
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الميت يعذب
في قبره بما نيح عليه وفي صحيح مسلم عن ابي مالك الاشعري
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع في امتي
من امر الجاهلية لا يتركونهن الفخر بالاحساب والطعن في
الانساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة وقال النائحة
اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيمة وعليها سربال من
قطران ودرع من جرب وفي سنن ابي داود عن اسيد
ابن ابي اسيد عن امراة من المبايعات رضي الله عنهن قالت
كان فيما اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف
الذي اخذ علينا ان لا نعصيه فيه ان لا نخمش وجها ولا ندعو
ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا وفي مسند الامام
احمد عن انس قال اخذ النبي صلى الله عليه وسلم على النساء

حنين

حنين يا بعت ان لا ينحن فقلن يا رسول الله ان نساء اسعدننا
في الجاهلية فاسعدهن في الاسلام فقال لا اسعاد في الاسلام
وقد تقدم قوله ما كان من العين واليد واللسان فمن الشيطان و
قوله ليست من ضوتين اي صفقتين فاجرين صوت عند مصيبة
وخمش الوجوه وشق الجيوب وصوت الشيطان عند المعصية
الا ما جاء من حديث ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لبيت يعذب ببكاء اهلي اذا قالت النائحة واعضدا
وناصراه وا كاسياه جبذ الميت وقيل له انت عضدها
انت ناصرها انت كاسيها وفي صحيح البخاري عن النعمان
ابن بشير رضي الله عنه قال اغمي على عبد الله بن رواحة
فجعلت اخته عمرة تبكي وتقول واجبلاه واكذا واكذا
كذا تعدد عليه فقال حين افاق ما قلت لي الا قيل
لي انت كذلك فلما مات لم تبك عليه وكيف لا يكون
هذه الخصال محرمة وهي مشتملة على التسخط على الرب عز
وجل وقد امرنا بتلقي المصيبة بالاسترجاع والصبر والرضا
الشعر ونتفه والدعا عليها بالويل والثبور والتظلم من
الله سبحانه واتلاف المال بشق الثياب ونحو يقها وذكر ما
ليس فيه ولا ريب ان التحريم اشد ويثبت بعض هذا

حصين وابو موسى رضي الله عنهما فاختلفت طرق الناس
فقالت فرقة يتصرف الله في خلقه بما شاء وفعاله
تعلل والفرق بين التعذيب بالنوح عليه والتعذيب
ومنسوب اليه لان الله خالق الجميع والله تعالى يؤلم الا
والبهايم والمجانين بغير عمل وقالت فرقة هذا الحد
الاصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انكر ترد
عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها واحتجت بقوله تعالى
وازرة وزر اخرى ولا بلغها رواية عمر وغيره قالت
تحديث غير كاذبين ولا متهمين ولكن السمع يخطئ وقا
مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبر يهودي فقال انه صا
هذا القبر يعذب واهله يبكون عليه وفي رواية متفق
عنها انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليزيد
تعذيبا ببكاء اهله عليه وقالت حسبكم القرآن ولا
وازرة وزر اخرى وقالت في فرقة اخرى منهم المزني و
ان محمول على من اوصى بذلك اذا كانت عادتهم ذلك و
ترك اشعارهم كشق طرفة

وشقي علي الجيب يا ابنة معبد
تعنيني بانها اهلها

وقول لبيد

الا بالذي قد علمتنا هلا تخشاوجها ولا تحلقا شعرا

وقولا

وقول لا هم المرء الذي لا صديقه ٥ اضاع ولا خان ولا غدر
الكرام ولا تسلم عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
وقالت طائفة هو محمول على من سنته وسنة قومه ذلك فاذا لم
يعلم عنه ان تركه نهيه دليل على رضاه به وهو قول ابن المبارك
وغيره قال ابو البركات ابن تيمية وهو اصح الاقوال كلها لانه
متى علم على فعلهم لزوم بوصيهم بتركه فقد رضي به و
صار كمن ترك النهي عن المنكر مع القدرة عليه فاما اذا اوصاهم
بتركه فلم يفعلوه فانه لم يرض بذلك وقد حصل
بذلك الاية مع اخرى الحديث على عدم عذاب في اكثر المراد وان كان
عائشة رضي الله عنها لذلك بعد رواية الثقات لا يعول عليه
فانهم قد يحضرون ما لا تحضره ويشهدون ما تغيب عنه و
حمل السهو والغلط بعيد خصوصا في حق جملة من اكابر الصحا
رضي الله عنهم وقوله في اليهودي لا يمنع ان يكون قد قال ما رو
عنه هو في الحسنة او وقعات اخر لهم في محض جدر وايتها عنه انه
قال ان الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء اهله عليه فاذا لم يمتنع
زيادة الكافر عذابا بفعل غيره مع كونه مخالفا للظاهر الاولى
لم يمتنع ذلك في حق المسلم الا ان الله سبحانه كما لا يظلم عبده المسلم
لا يظلم عبده الكافر والله اعلم فصل ولا يحتاج هذه

الاحاديث التي من هذه التكلفات وليس فيها بحمد الله اشكال
ولا اعجمة لظاهر القرآن ولا لقاعدة من قواعد الشرع
ولا تقتضي عقوبة الانسان بذنب غيره فان النبي صلى
الله عليه وسلم لم يقل ان الميت يعاقب ببكاء اهله عليه
ونوحهم وانما قال انه يعذب بذلك وفرق بين الامرين
ويعذب بمعنى العذاب هو الالم الذي يحصل له وهو اعم من
العقاب والاعم لا يستلزم ما اخص وقد قال النبي صلى الله عليه
لسعد لعله من العذاب وحضر العذاب يحصل به الالم وقد
حمل ان الميت ليعذب في قبره بما ينوح عليه اهله على
ما ذكر الاحياء في الدنيا يشاهد من عقوبة من عصى امره
الميت عليه البكاء المحرم وهو البكاء الذي كان ظاهره
يفعلونه والبكاء على الميت عند هؤلاء وهو معروف في بعضهم
وشرهم فالمراد الميت بذلك في عصره فهذا العام هو عندنا البكاء
عليه وهذه طريقة شيخنا وهو الذي ذكره البخاري في
الباب التاسع عشر في ان الايمان الصبر نصف الايمان
عمار نصفان نصف صبر ونصف شكر قال غير واحد من السلف
الصبر نصف الايمان وقال عبد الله بن مسعود الايمان نصفان نصف
صبر ونصف شكر ولهذا جمع الله سبحانه بين الصبر والشكر
في قوله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور في سورة ابراهيم وفي
سورة حم عسق وفي سورة سبا وفي سورة لقمان وقد ذكر
لهذا التنصيف اعتبارات احدها ان الايمان اسم لمجموع القول

والعمل والنية

والعمل والنية فهي ترجع الى شطرين فعل وترك فالفعل
هو العمل بطاعة الله وهو حقيقة الشكر والترك هو الصبر
عن المعصية والدين كله هذين الشيئين فعل المامور وترك
المحظور فالاعتبار الثاني ان الايمان مبني على اركان
يقين وصبر وهما الركنان المذكوران في قوله تعالى وجعلنا
منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بايتنا يوقنون
فاليقين يتعلم حقيقة الامر والنهي والثواب والعقاب
والصبر ينفذ ما امر به ويكف نفسه عما نهى عنه ولا يحصل
له التصديق بالامر والنهي انه من عند الله وبالثواب والعقا
ب الا باليقين ولا يمكنه الدوام على فعل المامور وكف النفس
عن فعل المحظور الا بالصبر فصار الصبر نصف الايمان
والنصف الثاني الشكر بفعل ما امر به وترك ما نهى عنه
الاعتبار الثالث الايمان قول وعمل والقول قول القلب
واللسان والعمل عمل القلب والجوارح وبيان ذلك ان ما
عرف بقلبه ولم يتلبس به لم يكن معه منه ما كما قال عن قوم
فرعون وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وكما قال عن قوم
عاد وثمود وقوم صالح وعاد وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم و
زين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين
وقال موسى لفرعون لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب

السموات والارض بصائر فهذا حاصل امر القلب وهو المعرفة
والعلم ولم يكن بد لذلك من مؤمنين ولذلك من قال بلسانه ما ليس
في قلبه لم يكن بذلك مؤمنا مثل كان من المنافقين وكذلك تعرف
بقلبه واقر بلسانه لم يفده مجرد ذلك مؤمنا حتى يأتي بعمل القلب
من الحب والبغض والموالاة والمعاداة فيحب الله ورسوله و
يوالي اولياء الله ويعادي اعداءه ويستلزم ذلك حب
جده ويقاد لما بعد رسوله وما جاء به والتزام شريعته
ظاهرا وباطنا واذا فعل ذلك لم يبق في قلبه حاجز يمنعه
امر به فهذه الاركان الاربعة هي اركان الايمان التي قام
عليها بناءه وهي ترجع الى علم وعمل وعمل في اصل كف النفس
الذي هو متعلق النهي وهذا لا يحصل الا بالصبر فصار الايمان
نصفين احدهما الصبر والثاني ما تولد عنه من العلم والعمل
الاعتبار الرابع ان النفس لها قوتان قوة الاقدام وقوة الاحجام
وهي دايما وهي تتردد بين احكام هاتين القوتين فتقدم على
ما تحبه وتحجم عما تكرهه والدين كله احجام واقدام اقدام
على طاعة الله واحجام عن معصية الله وكل منهما لا يمكن حصوله
الا بالصبر الاعتبار الخامس ان الدين كله رهبة ورغبة
فالموعد من هو الراغب والراهب قال تعالى انهم كانوا يسارعون
في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وفي الدعاء عند النوم الذي
رواه البخاري في صحيحه اللهم اني اسلمت نفسي اليك ووجهت

وجهي اليك

وجهي اليك وفوضت امري اليك والجاءت ظهري اليك رغبة
ورهبة اليك فلا تجد المؤمن منه بدا الا اعتبارا هبا والرغبة
والرهبة لا تقوم الا على ساق الصبر فرهبته تحمله على الصبر
ورغبته تقوده الى الشكر الاعتبار السادس ان جميع ما
يباشره العبد في هذه الدار لا يخرج عما ينفعه في
الدنيا والاخرة او يضره في الدنيا والاخرة او ينفعه في
احدى الداريين ويضره في الاخرى واشرف الاقسام ان يفعل
ما ينفعه في الاخرة ويترك ما يضره فيها وهو حقيقة الايمان
ففعل ما ينفعه هو الشكر وترك ما يضره هو الصبر الا
الاعتبار السابع ان العبد لا ينفك من امر يفعله ونهي يتركه
وقد يجري عليه وفرضه في الثلاثة الصبر والشكر ففعل
المامور هو الشكر وترك المحظور والصبر على المقدور وهو
الصبر الاعتبار الثامن ان العبد فيه داعيان داع
يدعوه الى الدنيا وشهواتها ولذاتها وداع يدعوه
الى الدار الاخرة وما اعد فيها لاوليائه المتقين المقيم
فعصيان داعي الشهوة والهوى هو الصبر واجابة داعي
الله والدار الاخرة هو الشكر الاعتبار التاسع ان الدنيا

ده على اصلين العزم والثبات وهما الاصلان المذكوران
يث الذي رواه احمد والنسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم
بالمسالك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد واصل
بعة العزيمة واصل الصبر قوة الثبات ممتى اتد العبد
بة وثبات فقد اتى بالمعونة والتوفيق الاعتبار العاشر
ي مبني على اصلين الحق والصبر وهما المذكوران في قوله
سوا بالحق وتواصوا بالصبر وبما كان المطلوب من العبد
هد بالحق وبه يعدل في الناس وكان هذا هو حقيقة الشكر
ذلك الا بالصبر عليه وكان الصبر نصف الايمان الباب
ي في بيان تاريخ هذه المسألة في الافضل بين الصبر والشكر حكى
مراح من الجزم في ذلك ثلاثة اقوال احدها ان الصبر افضل
في ان الشكر افضل والثالث انهما سواء كما قال عمر بن الخطاب
الله عنه لو كان الصبر والشكر بعيرين ما بالت ايهما ركبت و
ذكر ما احتج به كل فرقة وما لها وعليها في احتجاجها
الله وتوفيقه قال الصابرون قد اثنى الله سبحانه على الصبر
ه ومدحه وامر به وعلق عليه خير الدنيا والاخرة وقد ذكره
ه في نحو تسعين موضعا وقد تقدم في النصوص في الاحا
ما فيه وفي فضله ما يدل على انه افضل من الشكر ويكفي
عليه قوله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم
اس فقد ذكر ذلك في معرض تفضيل الصبر ورفع درجته

على الشكر

على الشكر فانه لحق الشاكر بالصابر وشبهه به ورتبته
المشبه به اعلى من رتبة المشبه وهذا كقوله من صبر لعابين
ويشرب ونظائر ذلك قالوا واذا وازنا بين النصوص الواردة
في الصبر والواردة في الشكر وجدنا نصوص الصبر اضعاف
اضعافها ولهذا لما كانت الصلوة والجهاد افضل الاعمال كانت
الاحاديث فيها اكثر من الاحاديث في سائر الابواب فلو جمعت
الاحاديث النبوية في باب الصلوة وفي باب الصبر لرأيتها
قالوا وايضا فالصبر يدخل في كل باب بل في كل مسئلة
من مسائل الدين ولهذا كان من الايمان بمنزلة الرأس من
الجسد قالوا وايضا فان الله سبحانه علق على الشكر الزيادة فقال
واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم وعلق على الصبر الجزاء
بغير حساب وايضا فانه سبحانه اطلق جزاء الشاكرين
الصابرون اجرهم بغير حساب وايضا فانه سبحانه اطلق الجزاء
جزاء الشاكرين وثنى جزاء الصابرين بالاحسان وقال في
لنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون قالوا و
قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى كل عمل
ابن ادم له الا الصوم فانه لي وانا اجزي به وفي لفظ كل عمل ابن
ادم يضاعف الحسنة بعشر امثالها قال الله تعالى الا الصوم
فانه لي وانا اجزي به وما ذاك الا لانه صبر النفس ومنعها
من شهواتها كما في الحديث نفسه يدع شهوته وطعامه

وشرابه من اجلي ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا
عن افضل الاعمال عليك بالصوم فانه لا عدل له وقال الصبر
حبس النفس عن اجابة داعي الهوى وكان هذا حقيقة الصوم
فانه حبس النفس عن مباشرة دواعي شهوة الطعام والشراب والجماع
فسر الصبر في قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة انه
الصوم وسمى شهر رمضان شهر الصبر وقال بعض السلف
الصوم نصف الصبر وذلك ان الصبر حبس النفس عن مباشرة
داعي الشهوة والغضب فالصوم تشتهي النفس فيه كثيرا من
المأكل والمشرب وتغضب لتركه من الصوم فيصبر عنه
منتضى الشهوة فقط وهو شهوة البطن والفرج دون منتضى
الغضب ولكن من تمام الصوم وكماله صبر النفس عن اجابة
داعي الامرين وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح وهو قوله اذا كان يوم صوم احدكم فلا يجهل ولا يصخب
فان احد سابه او شاتمه فليقل اني صائم فامره النبي صلى الله
عليه وسلم الى التعديل قوى الشهوة والغضب فان الصابر يتبين
له ان يحترز من افساد هذا الصوم فسده تنقصه وهو ان
يخطه اجره كما قال في الحديث الاخر من لم يدع قول الزور والعمل
به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه فقالوا وكيف
فضل الصبر على الشكر بقوله تعالى اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم
هم الفائزون فجعل فوزهم جزاء صبرهم ولم يقل له تعالى بما
شكروا والصابرين في الاخرة بغير حساب كما قال بعض العارفين

ذهب الصابرون بخير الدنيا والاخرة لانهم نالوا
وقوله واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وهذا يتضمن الرعاية
والكفاية والحفظ للصابر لحكمه وقد وعد الصابرين
بمعية الله وكفى بها خيرا من الدنيا وما عليها وكل
صلوته عليهم ورحمته هو تخصيصهم بالهداية قوله
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون
وهذا مذهب لخصر يدل فيها خبران الصبر من عزم
الامور في اية من كتاب امر رسوله صلى الله عليه وسلم
ان يتشبه بصبر اولوا العزم من الرسل وقد تقدم ذكر
ذلك قالوا وقد دل الدليل ان الزهد في الدنيا والتقلل
منها ما يمكن افضل من الاستكثار منها والزهد فيها حال
الصابر والاستكثار منها حال الشاكر قالوا وقد سئل
المسيح صلوات الله وسلامه عليه عن رجلين مر ابتر فتخطاه
احدهما ولم يلتفت اليه واعرض عنه فاي الرجلين افضل
وبدل على صحة هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم عرضت عليه
مفاتيح كنوز الارض فلم ياخذها وقال اجوع يوما واشبع يوما
فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك
فاقر مقام الصبر عليها والزهد فيها قالوا وقد جعل الله الكمال

الانسان في ثلاثة امور علوم يدركها واعمال يعمل بها واحوال
تترتب له على علومه واعماله واعلى العلوم وافضل العلوم وكمال العلم
بالله واسمائه وصفاته وافعاله والعلم بمسافة الطريق
القلب السائر
والعلم بالعمل
والعلم بالحال
والعلم بالمعاد
تفاوت
المعلوم في قصده بحسب قرب الطريق الى هذه
المعرفة وبعده فكل علم كان اقرب افضاء الى العلم بالله
واسمائه وصفاته فهو اعلى ما دونه وكذلك حال القلب
فكل حال كان ادنى الى المقصود الذي خلق له فهو اشرف
ما دونه وكذلك الاعمال فكل عمل كان اقرب الى تحصيل هذا
المقصود كان افضل من غيره فلهذا كانت الصلوة
والجهاد من افضل الاعمال اذ افضلها القرب افضاء بها الى

هذا المقصود

هذا المقصود وهكذا يجب ان يكون فان كل ما كان الشيء
اقرب الى الغاية كان افضل من البعيد عنها فالعلم المعد
للقلب الذي له المعرفة بالله واسمائه وصفاته ومحبته
وخوفه ورجائه افضل مما ليس كذلك واذا اشتركت
عدة اعمال في هذا الاقتضاء وتفاضلها اقربها الى هذا
المقصود وهذا اشتركت الطاعات في هذا الاقتضاء
لكنها متفاوتة فرائض النوافل المعاصي بحسب القلب
وقعه من هذه الغاية فكانت منها عنها و
تأثير الطاعات والمعاصي بحسب درجاتها وقد نبه
امر بشغل التفكر لدوام ذكره فيكون العمل المعين
افضل في حق شخص وغيره افضل منه في غيره فالغني
الذي له مال كثير ونفس لا تسمح ببذل شيء منه
فصدقته وايثاره افضل له من قيام الليل وصيام
النهار نافلة والشجاع الشديد البأس الذي يهاب
العدو سطوته وقوته في الصف ساعة وجهاده بعناء
اشد افضل له من الحج والصوم والصدقة والتطوع
والعالم الذي تتكرر في السنة او الخلاد والحرام مرارا

الخير والشر ومعالطته للناس وتعليمهم وتصحيح دينهم
افضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلوة وقراءة
القرآن والتسبيح وولي الذي قد نصبه الله لتحكم بين
عباده جل ساعة للنظر بامعاء والقصد معلوم
من العالم ان ساعة احدهما تعدل دهرا فكم فاتهم فضل
من عبادة ستين سنة فغيره ومن عدل عليه ساعة واحدة
فصومه لنفسه وقصره من ذكر عيوبه وقصد لقدوة
ولية الذي صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب وخالد
بن الوليد رضي الله عنهم امر رشيد وعزله وترك توسعة
الى ذر رضي الله عنه بل قال اني اراك ضعيفا واني
احب لك ما احب لنفسي لا تامرن على اثنين ولا توليين
مال يتيم وامره وغيره بالصيام وقال عليك بالصوم
فانه لا عدل له وامر اخر بان لا يغضب وامر اخر
بان لا يزال لسانه رطبا من ذكر الله ومثل اراد الله به
خيرا الا وفقه لاستفراغ وسعه فيما هو مستعد
له قابل له فتهيئ له فاذا استفراغ وسعه فيه بر من
على غيره وفاق الناس فيه وصار كما قيل
ما زال يسبق حتى قال حاسده لطريق الى العليا مختصر
وهذا كالمريض الذي يشكو وجع البطن مثلا

اذا استعمل

اذا استعمل دواء ذلك الداء انقطع به واذا استعمل
دواء وجع الراس لم يصادف داء فالشح المطاع
متلف من المهلكات ولا يزيله صيام مائة عام ولا قيام
ليلها وكذلك داء اتباع الهوى والاعجاب بالنفس
وعدم كثرة قراءة القرآن واستراع الوسع في العلم و
الدين والزهد وما يزيله اخر من القلب يصدئ
ويوبرها فتصير كالمرآة الملطخة بالطين اعراب ان هذا
موضع الفصل وهذا موضع الفصل واذا عرفت
هذه القاعدة فالشح يبذل المال على صالح يجب
به للقلب حال وهو زوال البخل والشح بسبب
الدنيا منه فينتهي المعرفة اسره ومحبته فهو ضد
للداء الذي في القلب يمنعه من المقصود واما
الزاهد فقد استراح من هذا الداء والدواء
وتوفرت قوته على استفراغ الوسع في حصول المقصود
ثم اورد واعلم انفعهم سؤالا فقالوا فان قيل فقد
حث الشرع على الاعمال وانفصلوا عنه بانا قالوا

الطبيب اذا اثنى على الدواء لم يدل على ان الدواء يراد
لعينه وانما افضل من الشفاء في نفسه ولكن الاعمال
بالخواتيم ومرض المقربين من الله تعالى
ربما وقع شفاؤهم [illegible]
لتقرب الى الله تعالى [illegible]
كالمحب يستوحش من [illegible]
لهذا ان يحب [illegible]
التوفيق وهذا [illegible]
دوية لدرجة [illegible]
لقد تقدم [illegible]
منه وقد مثل [illegible]
على المطلوب لغيره
على المطلوب لنفسه وهذا لما علم ان العامل
على الافضل ولم يتعرفوا لشكر حقه ولا وفوه
مرتبته وقد قرن تعالى ذكره الذي هو المراد
من الخلق بشكره وكلاهما هو المراد بالخلق والامر
والصبر خادم لهما ووسيلة اليهما وعون عليهما قال
تعالى فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون

وقرن

وقرن سبحانه الشكر بالايمان واخبر انه لا غرض له
في عذاب خلقه ان شكروه وامنوا به فقال تعالى
ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم اي ان
قمتم ما حملتم له وهو الشكر والايمان فاصبح بعذابكم
بعد هذا واخبر سبحانه ان اهل الشكر لم يحصروا
ممن يستحقهم من بين عباده فقال تعالى وقليل
بعضهم بعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من
بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين وقسم الناس الى
شكور وكفور فابغض الاشياء اليه الكفر واهله
واحب الاشياء اليه الشكر واهله قال تعالى في الانسان
انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وقال نبيه
سليمان هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام
اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان
ربي غني كريم وقال تعالى واذ تاذن ربكم لئن شكرتم
لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وقال

تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر
وان تشكروا يرضه لكم وهذا كثير في القرآن يقابل
سبحانه بين الشكر والكفر فيوصف به وقال تعالى وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او
قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن
يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين والشاكرون
هم الذين تقوى بهم الايمان ولن ينقلبوا على اعقابهم
بهم وعنهم سبحانه يزيد بالشكر ويزيد به الهبة
له كما ان الهبة تشكره وقد وصف سبحانه كثيرا
من الجزاء بالمشيئة كقوله فسوف يغنيكم الله من
فضله ان شاء وقوله في الاجابة فيكشف ما تدعون
عنه ان شاء وقوله في الرزق ويرزق من يشاء
وفي المغفرة يغفر لمن يشاء وفي التوبة ويتوب الله
على من يشاء واطلق جزاء الشكر اطلاقا حيث ذكر كقوله
تعالى وسنجزي الشاكرين وسيجزي الله الشاكرين
ولما عرف عدو الله ابليس قدر مقام الشكر وانه
اجل المقامات واعلاها جعل غايته ان يسعى في

قطع الناس

قطع الناس عنه فقال ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن
خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم
شاكرين فوصف الله سبحانه الشاكرين بما وصف به
عباده فقال تعالى وقليل من عبادي الشكور
الامام احمد رحمه الله عن عمر بن
انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من
ما هذا قال يا امير المؤمنين ان
معه الا قليل وقال وقليل من عبادي الشكور
الا الذين امنوا وعلموا الصالحات وقليل ما هم
عمر رضي الله عنه ما اعلم ما
على الرسول بعثه الى اهل الارض يشكر
ذريته من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا
تخصيص نوح ههنا بالذكر وخطاب العالم
وتنبيه اشارة الى الاقتداء بسنته فانه ابو هم الثاني فان
الله تعالى جعل بعد الغرق للخلق نسلا الا من
ذرية كما قال تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فامر الذرية

ان يتشبهوا بالهم في الشكر لله فانه كان عبدا شكورا و
قد اخبر الله سبحانه آنما يعبده من شكره ومن لم يشكره
لم يكن من اهل عبادته فقال تعالى واشكروا لله ان كنتم
اياه تعبدون وقال عبده موسى عليه السلام ان تكفروا
انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد وقال
تعالى يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي
فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وقال وصى
وصى الله به ان شكر له ولوالديه حملته امه وهنا على وهن
وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير
واخبر سبحانه عن خليله ابراهيم عليه السلام شكر نعمه
فقال تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من
المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم
واخبر سبحانه عنه بانه امتثل قدوة يؤتم به في الخير وانه
قانت لله والقانت هو المطيع القيم على طاعته والحنيف هو
المقبل على الله المعرض عما سواه ثم اخبر له هذه الصفات
بانه شاكر لانعمه فجعل الشكر غاية خليله صلى الله عليه وسلم
واخبر سبحانه ان الشكر هو الغاية من خلقه وامره بل

هو الغاية

هو الغاية التي خلق عبيده لاجلها فقال واسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة وقال لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والا
بصار والافئدة لعلكم تشكرون فجعل غاية الخلق
والامر هذا وقال لعلكم بلقاء ربكم توقنون وانتم اذلة
فاتقوا الله لعلكم تشكرون وتعوذ ان يكون قوله لعلكم تشكرون
غاية للقضاء والقدر والامر والنهي والثواب والعقاب
وهو ظاهر وتشكر غاية الحمد والامر وقد صرح بهذه
الغاية في قوله ويتم نعمته عليكم وارسلنا فيكم رسولا
منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا
لي ولا تكفرون فقابل الشكر بالكفر اذ الكفر والصبر مراد
لغيره والصبر انما حمد لاقتضائه وايصاله الى الشكر فهو
خادم الشكر وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قام حتى تفطرت قدماه فقيل له اتفعل هكذا
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال
افلا اكون عبدا شكورا وثبت في المسند والترمذي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ والله اني لاحبك
فلا تنس ان تقول في دبر كل صلوة اللهم اعني على ذكرك

وشكرك وحسن عبادتك قال ابن ابي الدنيا ثنا اسحق ابن
اسمعيل ثنا ابو معوية وجعفر بن عون عن هشام بن عروة
قال كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعني على ذكرك
وشكرك وحسن عبادتك قال وحدثنا محمود بن غيلان ثنا
المؤمل بن اسمعيل ثنا حماد بن سلمة ثنا حميد الطويل عن طلق
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اربع من اعطيهن فقد اعطي خير الدنيا والاخرة قلبا
شاكرا ولسانا ذاكرا وبدنا على البلاء صابرا وزوجة
لا تبغيه حوبا في نفسها ولا في ماله وذكر ايضا من حديث
القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما انعم الله على عبد نعمة فعلم انها
من عند الله الا كتب الله له شكرها وما علم الله من
عبده ندامة على ذنب الا غفر الله له قبل ان يستغفره
وان الرجل ليشتري الثوب بالدينار فيلبسه فيحمد الله
فما يبلغ ركبتيه حتى يغفر له وقد ثبت في صحيح عن
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليرضى عن العبد يأكل
الاكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها
وكان هذا الجزاء العظيم الذي هو اكبر انواع الجزاء

كما قال

كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر فجعل مقابلة شكره بما
لحمد وقال الحسن البصري ان الله ليمتع بالنعمة ما شاء
ذا لم يشكر عليها قلبها عذابا ولهذا كان ابن آدم من الشكر
احافظ فانه الذي يحفظ النعم الموجودة ويجلب
يجلب النعم المفقودة وذكر ابن ابي الدنيا عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه انه قال لرجل من همدان ان النعمة
موصولة بالشكر والشكر متعلق بالمزيد وهما مقترنان
في قرن فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر
من العبد وقال عمر بن عبد العزيز قيدوا نعم الله بشكر الله
وكان يقال الشكر قيد النعم وقال مطرف بن عبد الله
لان اعافى فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر وقال الحسن
اكثروا ذكر هذه النعم فان ذكرها شكر وقد امر الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحدث بنعمه فقال واما بنعمة
ربك فحدث والله تعالى يحب من عبده ان يرى عليه
اثر النعمة فان ذلك شكرها بلسان الحال وقال علي بن
الجعد سمعت سفيان الثوري يقول اذا ذكر عليه السلام
قال الحمد لله حمدا كما ينبغي لكرم وجهه ولعز جلاله

فاوحى الله اليه يا داود اتعبت الملائكة وقال شعبة ثنا
المنذر بن نضالة عن ابي رجاء العطاردي قال خرج
علينا عمران بن حصين رضي الله عنه وعليه مطرف فحز
لم نره عليه قبل ولا بعد فقال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا انعم الله على عبد نعمة يحب ان يرى اثر نعمته
على عبده وفي صحيفة عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلوا واشربوا و
تصدقوا في غير مخيلة ولا سرف فان الله يحب ان
يرى اثر على نعمته عبده وذكر شعبة عن ابي اسحق
عن ابي الاحوص عن ابيه قال اتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانا قشف الهيئة فقال هل لك من
مال قال قلت نعم قال من اي المال قلت من كل المال قد
اتاني الله من الابل والخيل والرقيق والغنم قال فاذا
اتاك الله مالا فلير عليك وفي بعض المراسيل ان الله يحب
ان يرى اثر نعمته على عبده في ماكله ومشربه وروى
عبد الله بن يزيد المقري عن ابي معشر عن بكر بن عبد الله
يرفعه من اعطي خيرا فرئي عليه سمي حبيب الله

محدثنا

محدثنا بشعة الله ومن اعطي خيرا فلم ير عليه سمي بغيض الله
معاديا لنعمة الله قال فضيل بن عياض كان يقال شكر
نعمة الله بقلبه وحمده بلسانه لم يستتم ذلك حتى يرى
عليه الزيادة يقول الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم و
قال من شكر الحمد ان يحدث بها وقال الله تعالى يا ابن
ادم اذا كنت تتقلب في نعمتي وانت تتقلب في معصيتي
فاحذرني ان اصرعك بين معاصي يا ابن ادم اتقني ولم
حيث شئت وقال الشعبي الشكر نصف الايمان والصبر
نصف الايمان واليقين الايمان كله وقال ابو قلابة لا
تقصركم ذنوبكم اذا شكر تموها وقال الحسن اذا انعم الله
على قوم سالهم عن الشكر فاذا شكروه كان قادرا على
ان يزيدهم واذا كفروه كان قادرا على ان يقلب نعمته عليهم
عذابا وقد ذم الله سبحانه الكفور وهو الذي لا يشكر
نعمه وقال الحسن ان الانسان ليتبع الكوز فيعد المصاب
ويكسى النعم وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان النساء
هن اكثر اهل النار لهذا السبب قال ولو الحسنت ان احداهن
الدهر ثم رات منك سوءا قالت ما رايت خيرا منك قط

فاوحى الله اليه يا داود اتعبت الملائكة وقال شعبة ثنا
المنذر بن نضالة عن ابي رجاء العطاردي قال خرج
علينا عمران بن حصين رضي الله عنه وعليه مطرف فخر
لم نره عليه قبل ولا بعد فقال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا انعم الله على عبد نعمة يحب ان يرى اثر نعمته
على عبده وفي صحيفة عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلوا واشربوا و
تصدقوا في غير مخيلة ولا سرف فان الله يحب ان
يرى اثر نعمته على عبده وذكر شعبة عن ابي اسحق
عن ابي الاحوص عن ابيه قال اتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانا قشف الهيئة فقال هل لك من
مال قال قلت نعم قال من اي المال قلت من كل المال قد
اتاني الله من الابل والخيل والرقيق والغنم قال فاذا
اتاك الله مالا فلير عليك وفي بعض المراسيل ان الله يحب
ان يرى اثر نعمته على عبده في مأكله ومشربه وروى
عبد الله بن يزيد المقرئ عن ابي معمر عن بكر بن عبد الله
من اعطي خيرا فرأى عليه سمي حبيب الله

محدثنا

محدثنا شعبة اسمعت عمرو بن مرة يحدث عن رجل عن ابي هريرة
سمعه يقول نعمة الله وقال فضيل بن عياض كان يقال شكر
نعمة الله بقلبه وحمده بلسانه لم يستتم ذلك حتى يرى
عليه الزيادة يقول الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم و
قال من شكر الحمد ان يحدث بها وقال الله تعالى يا ابن
آدم اذا كنت تتقلب في نعمتي وانت تتقلب في معصيتي
فاحذرني فلا صبر عندي بين معاصي يا ابن آدم اتقني كم
حيث شئت وقال الشعبي الشكر نصف الايمان والصبر
نصف الايمان واليقين الايمان كله وقال ابو قلابة لا
تقصركم ذنوبكم اذا شكرتم عليها وقال الحسن اذا انعم الله
على قوم سألهم عن الشكر فاذا شكروه كان قادرا على
ان يزيدهم واذا كفروه كان قادرا على ان يقلب نعمته عليهم
عذابا وقد ذم الله سبحانه الكفر وهو الذي لا يشكر
نعمة وقال الحسن ان الانسان ليبتر لكفره ويعد المصائب
ويكسي النعم وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان النساء
اكثر اهل النار بهذا السبب قال لو احسنت الى احداهن
الدهر ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت خيرا منك قط

فلذا كان هذا بترك شكر نعمة الزوج وهي في الحقيقة من
الله فكيف بمن يترك شكر نعمة الله

يا ايها الظالم في فعله والظلم مردود على من ظلم
الى متى انت وحتى متى تشكو المصيبات وتنسى النعم

وذكر ابن ابي الدنيا من حديث ابي عبد الرحمن السلمي
عن الشعبي عن النعمان ابن بشير رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التحدث بالنعم شكرها
وتركها كفرها وما لا يشكر القليل لا يشكر الكثير ومن لا
يشكر الناس لا يشكر الله والجماعة بركة والفرقة عذاب
وقال مطرف بن عبد الله نظرت في العافية والشكر
فوجدت فيهما خير الدنيا والآخرة ولان اعافى فاشكر
احب الي من ان ابتلى فاصبر وروى بكر بن عبد الله
المزني في حال الاهلية جملة وهو يقول الحمد لله استغفر الله
قال فانتظرته حتى وضع الجملة وقلت له ما تحسنه غير ذا
قال بلى احسن خيرا كثيرا قرأت كتاب الله العزيز ابن
الفقير الى ربه قد تبت فاحمد الله على نعمة التابعة
استغفره لذنبي واتوب اليه بحال افقر من يكون وكم اشتهي

من حديث

من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال خرج رسول الله
الله عليه وسلم على اصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من اولها الى
اخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة فكانوا احسن
ردا منكم كلما اتيت على قوله فبأي الاء ربكما تكذبان
من شكر ربنا لك الحمد قال وقال اسمعوا لما قيل لآل داود
اعملوا آل داود شكرا لم يأت على الغرض الا وفيهم متصل
بن عبد الله قال بعض الفقهاء اني رأيت في امر
لا شر معه الا المعافاة والشكر فرب شاكر في بلاء
شاكر فما اصاب الله فسلوه جميعا وقال ابو امامة
ليس عمر بن الخطاب رضي الله عنه قميصا فاما بلغ ترقوته
الذي كان في ما اوار بن عوف بن ثعلبة واتجمل به في حياتي
فنظر الكل شيء يزيد على بدنه فقطعه ثم انه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس ثوبا جديدا
فقال الحمد لله الذي رزقني ما اواري به عورتي واتجمل به في حياتي
عمد الى ثوبه الخلق فكساه مسكينا كان في جوار الله
الله وفي كنف الله حيا وميتا حيا وميتا ومثله
الثوب سلكه عن بن عبد الله ليس رجل في
واصر فقر لرقا رجل للا رجع حتى
واصاب ابيه قال لشريح ما اصبت عن
عليه فيها لا شيء الا كيس كانت في

سنة داود عليه السلام انه قال يا رب كيف لي ان اشكرك
... الى شكرك الا بنعمتك قال فاتاه الوحي يا داود الان علمت
سنة النعم مني قال بلى يا رب قال فاني ارضى بذلك منك
ـ عبد الله بن احمد ثنا ابن موسى الانصاري ثنا الوليد
ـ عبد العزيز قال قرئ على داود سليمان مستهل الشكر
ـ ترجع الدعاء باللقاء وقال ابو عاصم احمد ثنا ابن معبد بن
ـ سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير قال اوحى الله الى داود
ـ عبادي وحبيبي ان عبادي قالوا يا رب هذا حبيبك واحب
ـ احبك الى عبادك قال تذكرني في عبدهم فانهم لا يذكرون
ـ الحمد لله رب العالمين سمع وتعالى جده وتقدست
ـ اسماؤه ولا اله غيره وقال احدثنا عبد الرزاق اخبرنا
ـ معمر وهاشم قال وحدثني كتاب ال داود يعني ان الله
ـ قال كان داود اشمل اهل زمانه برا وارضى من نفسه فيما
ـ بينه وبين ربه عز وجل ومن يعتدي فاني اقطع يديه
ـ سماء واخسف به من تحت قدميه الارض فاجعله
ـ ال نفسه كفى لي لعمري بذلك ان كان عبدي في طاعتي
ـ يسألني واستجيبه له قبل ان يسألني واني اعلم
ـ رفق به من نفسه وقال احدثنا سابق ثنا جعفر بن
ـ داود قد جزأ ساعات الليل والنهار على اهله وكان
ـ الليل والنهار الا ونسان من ال داود قائم يصلي
ـ تبارك وتعالى في هذه الايات اعملوا ال داود شكرا وقليل
ـ شكور وثنا عبد الرحمن ثنا حاتم بن اسماعيل المغيرة
ـ قال داود يا رب هل بات احد من خلقك الليلة
ـ فاوحى الله عز وجل اليه نعم الضفدع وانزل الله

عليه اعملوا ال

عليه اعملوا ال داود شكرا وقليل من عبادي الشكور فقال يا رب كيف
اطيق شكرك وانت الذي تنعم علي ثم ترزقني على النعمة الشكر
تزيدني نعمة بعد نعمة فالنعم منك والشكر منك فكيف اطيق شكرك فقال
الان عرفتني يا داود وثنا عبد الرحمن ثنا الربيع بن صبيح عن الحسن قال
قال يا رب اسألك يا داود لعل لسانا من لساني يسبحك الليل والنهار
والدهر فما قضيت حق نعمة واحدة فاوحى الله اليه يا داود
ابو عمر اكمل عن ابي الخلد قال قال موسى عليه السلام يا رب
كيف لي ان اشكرك واصغر نعمة وضعتها عندي من نعمك لا تجازى
بها على كله قال فاتاه الوحي يا موسى الان شكرتني وقال بكر بن
عبد الله ما قال عبد قط الحمد لله الا وجد عليه نعمة يقول الحمد لله
فجزاه تلك النعمة ان يقول الحمد لله فما له من نعمة اخرى فلا تنفع نعم الله
الله وقال الحسن سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول الحمد لله رب العالمين
وقال انكل تحمد الله على نعمة عظيمة وقال خالد بن معدان سمعت عبد الملك
بن مروان يقول ما قال عبد كلمة احب الى الله ولا الجق في الشكر عنده ان يقول
الحمد لله الذي انعم علينا وهدانا للاسلام وقال سليمان التيمي ان الله سبحانه
انعم على العباد على قدرته وكلفهم الشكر على قدرتهم وكان احسن ما خلقنا
ورزقنا وهدينا وعلمنا واغنانا وفرجت عنا لك الحمد بالاهل والمال والعافية كثرت عددنا وبسطت رزقنا
والقرآن ولك الحمد بالاهل والمال والعافية كثرت عددنا وبسطت رزقنا
واظهرت امننا وحسنت معافاتنا واحسنت معافاتنا ومن كل ما سألناك
ربنا اعطيتنا فلك الحمد على ذلك حمدا كثيرا لك الحمد على كل نعمة انعمت بها علينا
في قديم او حديث او سر او علانية او خاصة او عامة او حي فيميت

سعد او غايب لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد اذا رضيت وقال
يا موسى يا رب كيف يستطيع آدم ابا البشر شكر ما صنعت
بيدك ونفخت فيه من روحك واسكنته جنتك وامرت
الحمد وآله فقال يا موسى عرف ذلك مني الحمد لي عليه فكان
شكرا لما صنعت اليه وقال محمد بن سيرين شكر آدم نوح عبد
الله لا ندم يلبس جديدا فيقول الحمد لله وقال علي بن
رضي الله عنه اذا خرج من الخلاء مسح بطنه بيده وقال
نعمة وبعلم العباد شكرها وقال محمد بن كعب ان الحمد
شكر الشاكرين وقال وهب ما انعم الله على عبد نعمة فعرف انها من الله
حمد وذلك سليمان داود عليهما السلام ورث ملكه وقال محمد بن زيد
عن ابي بردة قال قدمت المدينة فلقيت عبد الله بن سلام
فقلت اريد ان ادخل النبي صلى الله عليه وسلم واسمع حديثه
النبي صلى الله عليه وسلم وتعلم سورة وكذا ثم قال لي
جمع الناس عند ذكرهم ما انعم عليه فقل يا محمد يا
سرا واذكرني كنت في كربة كذا وكذا فدعوتني فكشفتها وانت
كنت في سفر كذا وكذا فاستصحبتني فصحبتك قال
متى يذكر فيقول اية ذاك انك خطبت الى ابنة فلان
ما معك خطاب فرددتك ورددتهم تتلف عنده بين
حمد شعر عليه نعمة فبكاهم بكاء ثم قال اني لارجو ان لا
الله عبدا يبتدئ فيحمد ربه وروى ليث بن ابي سليم عن
مالك بن سعير بن عمرة بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
النعم يوم والحسنات والسيئات فيقول الله عز وجل لنعمة
القيمة

من نعمة خذ بحقك من حسناته فاتترك له حسنة الا ذهبت به
وقال بكر بن عبد الله المزني ينزل بالعبد الامر فيدعو الله فيصرف
عنه فيأتيه الشيطان فيضعف شكره فيقول ان الامر كان اشد مما
ما يذهب اليه قال او لا يقول العبد كان الامر اشد مما ذهبت اليه
ولكنا لله صرفه عني وذكر ابن ابي الدنيا عن صدقة بن يسار قال
بينا داود عليه السلام في محرابه اذ مرت ببرذونه فنظر اليها وفكر في
خلقها وعجب منها وقال ما يعبأ الله بهذه قال فانطقها الله
عز وجل فقالت يا داود ما تعجب نفسك فوالذي نفسي بيده
لان على ما اتاني الله من فضله شكر منك على ما اتاك الله من
فضله وقال ابن سيرين ان من نعمة الله على عبده ان يكون ما مونا على
ما اعانه عليه صلى الله عليه وسلم وقال سفيان الثوري كان يقال
ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة وقال رزاذان
ما يجب لله على ذي النعمة يحق نعمته ان لا يتوصل بها الى معصيته
وقال بعض الادباء انشدني محمود الوراق

اذا كان شكري من نعمة الله نعمة ... على الرء فضلها يجب الشكر عليه
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ... وان طالت الايام وانفق العمر
اذا مس بالسراء عمر سرورها ... وامس بالضراء عقبى الاجر
ومامنها الا لله عليه منة تضيق بها الاوهام والبر والبحر

وقد روى الدراوردي عن عمرو بن ابي عمرو عن سعيد المقبري عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئين قال الله عز وجل ان المنع من عندي بمنزلة كل خير

[illegible] جنبيه ومحمد بن المنكدر يقول [illegible]
[illegible] جزاء نعم الله عبد وقال حماد بن سلمة عن [illegible]
[illegible] الى الارض ان لا يهلك عبد بين ظهرانيها [illegible]
[illegible] ذنب يستغفر منه وكتب ابن السماك الى [illegible]
[illegible] فقضاء بالغ فيما بعد فلتكن النعمة [illegible]
[illegible] خوف الله من كل نعمة انعم بها عليك من نعمة [illegible]
[illegible] فان في النعمة حجة وفي بعضها فما [illegible]
[illegible] فيه فقلة ان شكر عنه فعند الله عنه [illegible]
[illegible] من ذنب فقصر من حق ومن [illegible]
[illegible] نعمة فحسب بحمد الله ومنه فقيد له ما يبقى
[illegible] على الله فشبهت [illegible] قال [illegible]
[illegible] ذلك الذي [illegible] وقد روى ابو هريرة رضي
[illegible] عليه وسلم اذا احب احدكم ان يعلم قدر نعمة
[illegible] نعمته ولا ينظر ومن هو فوقه قال عبد
[illegible] بكير بن عبد الله قال سمعت ابي قال سمعت
[illegible] قال عبد الله بن المبارك شاب يذنب ذنوبا هم
[illegible] الدرداء من لم يعرف نعمة الله عليه الا في
[illegible] قل علمه وحضر عذابه قال اخبرنا ابن ابي ذئب
[illegible] عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس
[illegible] الخطاب رضي الله عنه سلم على رجل فرد عليه السلام
[illegible] انك قال الرجل احمد اليك الله قال عمر هذا
[illegible] قال ابن المبارك واخبرنا معمر عن علقمة بن يزيد
[illegible] سمعت عنها قال لعلنا نلتقي في اليوم مرارا يسأل
[illegible] بن ثور بن لك الا يحمد الله عز وجل وقال مجاهد
[illegible] عليكم نعمة ظاهرة وباطنة قال لا اله الا الله

وقال ابن عيينة

وقال ابن عيينة ما انعم الله على العباد نعمة افضل من ان عرفهم لا اله
الا الله قال وان لا اله الا الله اعلم في الاخرة كالماء البارد في الدنيا وقال
بعض السلف في خطبته في يوم عيد اصبحتم زهرا واصبح الناس
غبرا اصبح الناس يبكون وانتم تلبون واصبح الناس يعطون
وانتم تأخذون واصبح الناس يفتحون وانتم تزكون واصبح الناس
يزرعون وانتم تأكلون بكوا بكاهم وقال عبد الله بن المبارك قرأت الا
زدي وكان من الصالحين بعد المبرد في يوم اصحو وراك على الوان
على الشباب الحامل من نعمة ما سفها ومن نعمة ما ظهرها ما زال
عن قوم شيء من نعمة الا استضعفوا ردها وما ثبتت
النعمة على قوم الا شكروا وقال سفيان الثوري ان رجلا بسط
له من الدنيا وشرع ما في يديه فجعل يحمد الله ويثني عليه حتى
لم يبق له فراش ولا مرية قال فجعل يحمد الله ويثني عليه وبسط آخر
منه الدنيا فقال لصاحب المرية اراك قد اعطيت ما تحمد الله قال
احمده على ما لو اعطيت به ما اعطى لخلق كثير اعظم اياه به قال وما
ذاك قال رأيت بصري ورأيت لساني رأيت يديك ورأيت رجليك
وجاء رجل الى يونس بن عبيد يشكو ضيق حاله فقال له يونس
ايسرك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة الف قال الرجل لا قال
فبيديك مائة الف قال لا قال فبرجليك مائة الف قال لا قال فقد
كرم نعم الله عليك قال يونس اذا عندك ستين الوف وانت
تشكو الحاجة وكان ابو الدرداء رضي الله عنه يقول الصحة الملك
وقال جعفر بن محمد فقدت بعض بغلة له فقال ان ردها الله علي لاحمدنه
بحمد يرضاها فالبث ان اتي بها بسرجها ولجامها فركبها فلما

نعمة من الله

سر عند الله منزلة فحفظها وابق عليها شكر الله بها اعطاك
اشرف منها واذا هو ضيع الشكر استدرجه الله وكان
مستدرجا واجاز وقال ابو حازم نعمة الله على فيما رزقني
دنيا اعظم من نعمته فيما اعطاني منها الى رايته اعطاها
سوائي وكل نعمة لا تقرب من الله فهي بلية واذا رايته الله
سبحانه نعمة وانت تعصيه فاحذره وذكر كاتب الليث
سلاما ورأى اسرى وعظهم فقال يا من عظمته ايها الناس
النعم التي اصبحتم فيها على شفا جرف من نار الله موقدة
على الافئدة وانكم في دار الهوان فيها قيل وانتم فيها مرحوم
بعد القرون التي استفنيتم من الدنيا بعدها وزهرتها لهم
منكم اعمارا وامدادا جساما واعظم اثارا فقطعوا بكم
بحور وتقوا في البلاد موتدين بغير شديد واجسام كالعدد
والليالي ان طوت مدتهم وعفت اثارهم واخرت
بعد ذكرهم فانحس منهم من احد ولا تسمع لهم ركزا
امنين كبيات قوم غافلين او كصباح قوم نادمين ثم
ثم الذي ينزل بساحتهم بيانا من عقوبة الله فاصبح كثير
رهم حاثمين واصبح الباقون ينظرون في ديارهم واثارهم تقشعر
ومساكن خاوية فيها اية للذين يخافون العذاب
عبرة لمن يخشى واصبحتم من بعدهم في احل منقوص و
غبطة في زمان قد دلى عن عراه وذهب رخاوه فلم يبق
شرباتها وصابة كدر يرداها وبيل عبر وعقوبات تغير
فتن وتتابع زلازل فيا لها خلف بهم ظهر الفساد

في البر

في البر والبحر فلا تكونوا اشباها لمن خدعه الامل وغره طول
الاجل وبلغ بالاماني نيل الله ان يجعلنا واياكم ممن وعى انذاره
وعقل بشراه فمهد لنفسه وكان يقال الشكر ترك المعصية
وقال ابن المبارك قال سفيان ليس بفقيه من لم يعد البلاء والرخاء
معصية وكان مروان بن الحكم اذا ذكر الاسلام قال نعمة ربي و
صلت اليه ما قدمت يدي ولا بارادتي ان كنت خاطبا كم من مهد
حل لوحته سعادتي العشيرة

وقيت السوء وثيرة فيه ... درجت نعمة منير كبيرم
وكم من نعمة لله تمس وتصبح في العيان وفي السريرم

وذكر عثمان بن عفان رضي الله عنه القوم على ريبة فانطلق اليا
حتى تفرقوا فجاء ان بينهم فاعتق رقبة شكرا لله ان لا يكون
جرى على يديه مسلم وقال يزيد بن هارون اخبرنا صبيغ
بن زيد ان عليا عليه السلام كان اذا خرج من الخلاء قال
الحمد لله الذي اذاقني لذته وابقى منفعته في جسدي واذهب
عني اذاه فسمع عندا شكورا وقال يا ابا الدنيا حدثني
العباس بن جعفر نا هارون بن فياض عن الحرث بن مسكين قال
حدثنا النعمان عن عائشة رضي الله عنها حديثا عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه لم يتم خلاء قط الا قال وقال رجل لابي حازم
ما شكر العينين يا ابا حازم قال ان رايت بها خيرا اعلنته
وان رايت بها شرا استرته قال فما شكر الاذنين قال ان سمعت
بها خيرا وعيته وان سمعت بها شرا دفنته قال فما شكر اليدين

بها ما ليس لها ولا يمنع حتى هو سد فيها قال فاشكر النعم
اسفله طعاما واعلاه علا قال فاشكر الزرع كما قال
بهم لمرجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
مبيا قال ابتغى وراء ذلك قال ولئك هم العادون قال
سن قال ان علمت فيما بصفة استعنت به على ما
من عمله وان شاكر سه وامامن شكر بنعمه ولم
عصاه فمثله مثل رجل له ثلثة اولاد فاخذ بقرة ودم بنعمه
من نهر والبر والتعلم والطرد ذكر عبد سه بن
حاضر رسل داته يوم الى جعفر واصحابه فدخلوا
بيته عليه فلم يجد في بيته الا زوجته قال لجعفر
حين رايناه عرف ذلك فقال ما راى ما في وجوه
بابيكم اني لاراني من بين اظهركم عيني فاخبر فاني
سه صلى سه عليه وسلم وهلك عدوه وتسرى وقال
قال له بدر كثير الزرع هلك اني انظر اليه كثير الزرع
بمصرة فقال لجعفر ما ترى هذا جاءنا بمتاع ليس
وعلك هذه الاخلاق قال انا نجد فيما امرنا سه به
صلى سه عليه وسلم ان جماع عباد سه ان يحمدوا سه
ما احدث سه هم من نعمة فلما احدث سه في نصر نبيه
احدث سه هذا التواضع وقال حبيب بن
سه عبد بلاء الا كان سه عليه فيه نعمة الا يكون اشد منه
سئل ابن الجزار ما ما الناس الا مبتلى بعافية لينظر كيف شكره
كيف صبره وقال سفيان الثوري لقد انعم سه على
حتى اكثر من تضرعه اليهم فيها وكان رسول سه صلى سه عليه

اذا جاءه

اذا جاءه امر يسره خر ساجدا شكرا سه عز وجل ذكره احمد وقال
عبد الرحمن ابن عوف خرج علينا النبي صلى سه عليه وسلم فتوجه نحو
صدقة فدخل فاستقبل القبلة فخر ساجدا فاطال السجود فقلت
يا رسول سه لقد سجدت سجدة خشيت ان يكون سه قد قبض نفسك
فيها فقال ان جبريل اتاني فبشرني ان سه تعالى يقول لك من صلى عليك
صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت سه شكرا اذكره
احمد وعن سعد بن ابي وقاص رضي سه عنه قال خرجنا مع النبي صلى
سه عليه وسلم من مكة نريد المدينة فلما كنا قريبا من عزوراء نزل ثم
رفع يديه فدعا سه عز وجل ساعة ثم خر ساجدا فمكث طويلا ثم قام فرفع
يديه ساعة ثم خر ساجدا فعل ثلاثا وقال اني سالت ربي وشفعت لامتي فاعطاني ثلث امتي فخررت ساجدا شكرا لربي ثم
رفعت راسي فسالت ربي لامتي فاعطاني ثلث امتي فخررت ساجدا شكرا لربي رواه ابو داود وذكر محمد بن اسحق في كتاب الفتوح قال
لما جاء الخبر يوم قتل ابي جهل استخلف رسول سه صلى سه عليه وسلم
ثلاثة ايام يا سه الذي لا اله الا هو لقد رايته قتيلا فحلف له فخر رسول
سه صلى سه عليه وسلم ساجدا وذكر سعيد بن منصور انا بكر الصديق
رضي سه عنه سجد حين جاءه قتل مسيلمة وذكر احمد ان عليا رضي
سه عنه سجد حين وجد ذا الثدية في الخوارج وسجد كعب بن
مالك رضي سه عنه في عهد النبي صلى سه عليه وسلم لما بشر بتوبة سه
عليه والقصة في الصحيحين فان قيل نعم سه دائما مستمرة على
العبد فالذي اختص بخصوص الحادثة بالشكر دون الدائمة وقد
يكون المستدام اعظم فصل الجواب من وجوه احدها
ان النعمة المتجددة تذكر المستدامة والانسان موكل بالادنى

الثاني ان هذه النعمة المتجددة تستدعي عبودية تجدده وكان
اسهلها على الانسان واحبها الى الله السجود شكرا لله الثالث ان
المتجددة لها وقع في النفس حلو والقلوب بها تعلق وهذا يهناء بها
ويعزى بفقدها الرابع ان حدوث النعم توجب فرح النفس و
انبساطها وكثيرا ما يجر ذلك الى الاشر والبطر والسجود ذل لله وعبودية
وخضوع فذا تلقى نعمة كسرية فرح السر واساطها لكن
جدير ابدوام تلك النعمة واذا تلقاها بالفرح الذي يليق بالعبد الله تعالى
والاشر والبطر كان بها بحيث ما يحدث الله هم من النعم كانت
سريعة الزوال وشيكة الانتقال وانقلبت نعمة وعادت استدراجا
وقد تقدم اثر النبي صلى الله عليه وسلم اذا احدث احدكم بعده نعمة احب ان
يحدث لها تواضعا وقال العلماء ما معناه لشرف الحسن بن
الحجاج وهو مختف لحرمة ساجدا فقصر ومن وفق لنعم
الله على العبد التي لا يكاد يخلو احد ان يتعلق عليه بها فيسر له امر اليد
من يطرق عليه الباب بدرهم من القوت ليعرف نعمته عليه وقال
سلام بن مسكين دخلت على مريض اعوده فاذا هو ثمان فقلت له
اذكر المطر وحين على الطريق اذكر الذين لا ماوى لهم ولا لهم من يخدمهم
قال ثم دخلت عليه بعد ذلك فسمعته يقول لنفسه اذكر المطر وحين
في الطريق اذكر من لا ماوى له ولا له من يخدمه وقال عبد الله بن
ابي نوح قال لي رجل على بعض السواحل لم اعاملك تبارك اسمك يا
كريم فعاملك بما تحب فقلت ما احصر ذلك كثرة قال فهل قصدت
الي امر كريم فخذلك فقلت لا والله ولكنه احسن الي وعافاني فنسي
قال فهل سألته شيئا فاعطاكه قلت وهل منعني شيئا سألته ما سألته
شيئا قط الا اعطاني وقال استحييت به الا اعطائي قال ارايت لو ان

بعض بني آدم فعل بك بعض هذه الخلال ما كان جزاؤه عندك
قلت ما كنت اقدر له على مكافاة ولا جزاء قال فربك احق واحرى
ان تذيب نفسك له في اداء شكره وهو المحسن قديما وحديثا
اليك والله لشكره ايسر من مكافاة عباده انه تبارك وتعالى يرضى
من العباد بالحمد شكرا وقال سفيان الثوري ما كان الله لينعم
على عبد في الدنيا فيمنعه في الاخرة ويحق على المنعم ان يتم النعمة
على من انعم عليه وقال اسماعيل الحوراني قلت لابي معاوية ما اعظم
النعمة عليك في حبيب سال الله ان لا يسلبناه قال يحق على المنعم
ان يتم النعمة على من انعم عليه والله اكرم من ان ينعم نعمة الا اتمها
ويستعمل بعض اهله وقال ابو ابي الحوراني قالت لي امراة ابي
بيس قد شغل قلبي قلت وما هو قالت اريد ان اعرف نعمة
الله علي في طرفة عين واعرف تقصيري عنه شكر النعمة علي في
طرفة عين فقلت ترديدين ما لا تهتدي اليه عقولنا وقال ابن
زيد ليس يكون في المجلس الرجل الواحد يحمد الله عز وجل فيقضي
لاهل ذلك المجلس حوائجهم كلهم قال وفي بعض الكتب التي نزل
الله انه قال سر واعبدي المؤمن فكان لا ياتيه شيء يحبه الا
قال الحمد لله على ما شاء الله قال وعن عبدي المؤمن فكان
لا يطلع عليه طليعة من طلايع المكروه الا قال الحمد لله فقال
الله تبارك وتعالى ان عبدي يحمدني حيث يعتقر كما يحمدني حيث
سر ثم قال ادخلوا عبدي دار الخزن كما يحمدني على حال

ن وهب عبد الله عن عابد حسين عاما فاوحى الله اليه اني قبضت
ب لك قال اي رب وما تغفر لي ولم اذنب فاذن الله لعز
ه ضرب عليه فلم ينم ولم يصل ثم سكن ونام فاتاه ملك
ليه فقال ما لقيت من ضربان العرق فقال الملك ان
ضو عبادتك خمسين سنة تعدل سكون العرق وذكر نحو
ن داود عليه السلام قال يا رب اخبرني ما الذي عندك
ح الله اليه داود نفس يتنفس فالهذا الذي تعتر
فصل وهذا بين الحديث بن ابي الدنيا ابو
حديث يزيد بن ثابت وابن عمر رضي الله عنهم
ن عفان هذا سمر بن ذاهر ارصد هذا بهرام وهو عند
ه رحمه الله ثابت رحمه خير الهم من عرفه وكتبه
صحيح لو يسمع احد منكم عليه قالوا وانت يا رسول
ه ان يتغمدني الله برحمته منه وفضله و
ه لا نزال في نعمة من الله عليه واما قول بعض
سمعنا حلف ان يحمد الله ما قضا انواع الحمد كان من
ت الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده وهذا
ت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه احمد
ت وانما هو امر ايلي عن ادم واصح مسند محمد بن عمر
سعود ولا مستغنى عنه ربنا ولا يمكن حمد العبد ويشكر
ي نعمة من نعم الله فضلا عن موافاة جميع نعمه ولا يكون
د وحمده لكافيا للمزيد ولكن يحمل هذا على وجه يصح و
ك يستحقه الله سبحانه من احمد حمدا يكون موافيا لنعمه
بعد اكم يقدر العبد انا يأتي بهذا اذا قال الحمد لله

ملء السموات وملء الارض وما بينهما وملء ما شئت من شيء
بعد وعدد الرمال والتراب والحصا والقطر وعدد انفاس
الخلايق وعدد ما خلق الله وما هو خالق فهذا اخبار عما
يستحقه من الحمد لما يقع من العبد من الجهد فصل وقال ابو
اسامة قال موسى صلى الله عليه وسلم يا رب ما افضل الشكر قال
ان تشكرني على كل حال وقال كعب ما عبد الله قط لاخ لي الا
صبي فقال ما ادري ما تولبغيه ثم ينعم هذا العبد الا
ويشكر من بعد ما استعبر قال ما دام بين نعمة وذنب ولا
تنفك نعمة الا بالذنب ولا يستلم الذنب الا بالذي يتولى الاستغناء
فاوحى بعضهم ما شئت وقال بعضهم لعزير يا ابا درايت
في يد محمد بن واسع قرحة فلما رآت ما شق عليها منها فقال لي تدري
ما اذا سر في هذه القرحة من نعمة حيث يحملها في حدقتي
والاطرف لساني والاعلى اطرف ذكري فهانت قرحته وردي
الحسن البصري عن ابي الدرداء عن الخلاء عن معاذ بن جبل رضي الله
عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى على رجل وهو يقول اللهم
اني اسالك تمام النعمة فقال ايها الداعي هل تدري ما تمام النعمة
قال يا رسول الله دعوة دعوت بها ارجو بها الخير فقال
ان من تمام النعمة فوزا من النار ودخول الجنة وقال سهم بن منجاب
حدثت ان الرجل اذا ذكر الله على اول طعامه وحمده على اخره لم
يسئل عن نعيم ذلك الطعام فصل ويدل على فضل

الشكر ان الله سبحانه يحب ان يسأل العافية وما سئل شيئا احب
اليه من العافية كذا في المسند عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال ابو بكر رضي الله عنه على المنبر ثم قال سلوا الله
العافية فانه لم يعط عبد بعد اليقين خيرا من العافية وفي
حديث اخر الناس لم يعطوا في الدنيا شيئا افضل من العفو والعا
فية يسألوه الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس
يا عم اكثر الدعاء بالعافية وفي الترمذي عن عمر قلت يا رسول الله
علمني شيئا اسأله سبحانه تعالى به قال سل ربك العافية قلت ثم اتيته
فقلت علمني شيئا اسأله سبحانه وتعالى به قال يا عمر يا عم رسول الله
العافية في الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم في دعاء يوم
الطائف انه من لك عفوك اذا لي غير ان عافيتك اوسع
لي فاسألك بعافيتك استعذت بك فيا مسور اعوذ برضاك من سخطك
واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك وفي حديث
اخر سلوا الله العفو والعافية والمعافاة وهذا السؤال متضمن
للعفو والعافية وعدم المضار والعافية في المآل والمعافاة في المستقبل
بدوام العافية واستمرارها وكان عبد الله بن عمر التيمي يقول اكثروا
من سؤال الله العافية فان امتلئ وان اشتد بلاؤه ليس باحد
بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء وما المبتلون اليوم الا من اهل
العافية بالامس وما المبتلون بعد اليوم الا من اهل العافية اليوم
ولو كان البلاء يحرز الخير ما كنا من رجال البلاء انزل بلاء
قد اجهد في الدنيا واخرى في الاخرة كما في يوسف من حال

المقام

المقام على معصية الا ان يكون قد تاب لله في بقية عمره من
البلاء ما يجهده في الدنيا وينضجه في الاخرة ثم يقول عند
الحمد لله الذي ان تعد نعمه لا تحصيها وان تتزايد له على الايزيدها
وان يعمر فيها الا تبلها ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يسأل
الله الصبر فقال له لقد سألت البلاء فاسأل الله العافية وفي
صحيح مسلم انه صلى الله عليه عاد رجلا قد خفت وصار مثل الفرخ
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشيء او
تسأله اياه قال نعم كنت اقول اللهم ما كنت معاقبني به في الاخرة
فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله
لا تطيقه ولا تستطيعه افلا قلت اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي
الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فدعا الله له فشفاه وفي الترمذي
من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال دعاء حفظته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ادعه اللهم اجعلني اعظم
شكرك واكثر ذكرك واتبع نصيحتك واحفظ وصيتك وقال
شيبان كان الحسن اذا جلس مجلسا يقول لك الحمد بالاسلام و
لك الحمد بالقرآن ولك الحمد بالاهل والمال بسطت رزقنا واظهرت
امننا واحسنت معافاتنا ومن كل ما سألناك اعطيتنا فلك الحمد
كثيرا كما تنعم كثيرا اعطيت خيرا كثيرا او صرفت شرا كبيرا فلوجهك
الجليل الباقي الدائم الحمد وكان بعض السلف يقول اللهم ما اصبح
بنا من نعمة او عافية او كرامة في دين او دنيا جرت علينا فيما مضى
وهي جارية علينا فيما بقي فانها منك وحدك لا شريك لك

فلك الحمد بذلك علينا ولك المن ولك الفضل ولك شكر ما انعمت
به علينا وعلى جميع خلقك لا اله الا انت وقال مجاهد كان ابن عمر
رضي الله عنهما اذا كان في سفر فطلع الفجر رفع صوته وناد كي
سمع سامع بحمد الله ونعمه وحسن بلائه علينا ثلاثا اللهم صاحبنا
فافضل علينا عائدا بالله من النار وخوف النار ولا قوة الا بالله
وذكر الامام احمد ان الله تعالى اوحى الى موسى بن عمران يا موسى بن
يقظانا من رقاد العبيد احذرا وهم جلوس يوم يتبع مسيء
فلا يستحي ان يعود وهو يعصي قبيح وكثر ذكري حتى يسبق
حب الشكر لسانك مريد وقال محمد بن حنين اسرة حسنة
خرج اهل مكة من صخرة اليمن وخرج اهل الشام من صخرة ليس
فيها موطئ وحفر الارض مدة عام والناس ينظرون فقال آدم يا رب
الاسوبت بيتا ولدي ذرية اني اريد ان اشكرك في بيتك
عند صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح اللهم ما اصبح بي من نعمة او
باحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر
الا ادى شكر ذلك اليوم ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد ادى
شكر ليلته ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم من ابتلي فصبر واعطي
فشكر وظلم فغفر وظلم فاستغفر اولئك لهم الامن وهم مهتدون ويذكر
عنه صلى الله عليه وسلم انه اوصى رجلا ثلاث فقال اكثر ذكر الموت
يشغلك عما سواه فان الشكر زيادة ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني وسقاني وهداني وكل بلاء
حسن ابلاني الحمد لله الذي لا يكفر نعمه المتين اللهم لا تنزع منا
صالحي اعطيتنا ولا تصلها بمكاره فتشقينا وجعلنا لك من الشاكرين ويذكر
عنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعم وسقى

وسوغه

وسوغه وجعل له مخرجا وكان عروة ابن الزبير اذا اتى بطعامه
لم يزل يحمد الله حتى يقول هذه الكلمات الحمد لله الذي هدانا
واطعمنا وسقانا ونعما الله اكبر اللهم الفتنا نعمتك وكفنا بكل شر فانا
صبحنا وامسينا منها بخير بنائك تمامها وشكرها الاخير الاخير ك
ولا اله غيرك اله الصابحين ورب العالمين الحمد لله لا اله الا الله
ما شاء الله لا قوة الا بالله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار
وقال وهب بن منبه رؤس النعم ثلاثة فاولها نعمة الاسلام
التي لا تتم الا به والثانية نعمة العافية التي لا تطيب الحياة
الا بها والثالثة نعمة الغنى التي لا يتم العيش الا به وقد سمع
بعض بني من الحج فجعل يقول لا نعم الله علينا في سفرنا بكذا وكذا
ثم قال تعداد النعم من الشكر ومر وهب بمبتلى اعمى مجذوم
مقعد عريان به وضح وهو يقول الحمد لله على نعمه فقال رجل
كان معه وهل ابتلي بشيء تبقى معك من النعمة تحمد الله عليها
فقال له المبتلى ادم ببصرك الى اهل المدينة فانظر الى كثرة اهلها
الا احمد الله انه ليس فيها احد جيرانه غيري ويذكر عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا انعم الله على عبد نعمة فحمده
عندها فقد ادى شكرها وذكر علي بن ابي طالب ان بخت
نصر اتى بدانيال فامر به فحبس ثلاثة اعوام ثم خلى سبيله فاذا
بينه ثم فتح عنه بعد خمسة ايام فوجده قائما يصلي والاسد الى
ناحية الحب لم يعرض له فقال له ما قلت حتى دفع عنك قال
قلت الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب

من رجاه واحمد الله الذي لا يكل من توكل عليه الى غيره والحمد لله
الذي هو يقيناً حين ينقطع عنا الحيل والحمد لله الذي هو
رجاؤنا حين يسوء ظننا بأعمالنا والحمد لله الذي يجزي بالصبر
النجاة ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا نظر في المرآة قال
الحمد لله الذي حسن خلقي وخلقي وزان مني ما شان من غيري
وقال بن سيرين كان ابن عمر رضي الله عنهما يكثر النظر في المرآة
ويكون معنى الاستبشار فقلت له ولم قال انظر فما كان من وجهي
زين فيّ وحمدت غيري شيئاً احمد الله عليه وسئل ابو بكر بن
ابي الدنيا عن معنى النعمة قال ان تصنع رجلك في الغرز طوراً و
جلاً في الحفرة وقال بكر بن عبد الله يا ابن آدم انك لا تدري ان
تعلم قدر نعم الله عليك حتى تعترف عليك وقال مقاتل في قوله
تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال اما الظاهرة فالاسلام
والصحة وما الباطنة فستره عليك بالمعاصي وقال بن عيينة
ان لعبد الله بعينين اذا سعد ان الله على اهل النار ومنعه لو شاء
ان يعذبهم بأشد من عذاب النار لعذبهم وقال ابو سليمان
الداراني في جلد الرحمن يوم القيمة من جعل فيه خصالاً الكرم
السخاء والحلم والرحمة والرافة والشكر والبر والصبر وقال
ابو هريرة رضي الله عنه من رأى صاحب بلاء فقال الحمد لله
الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً
فقد ادى شكر تلك النعمة وقال عبد الله بن وهب سمعت
عبد الرحمن بن زيد يقول الشكر يأخذ بحذم الحمد واصله
من عمر قال ينظر في نعمة الله في بدنه وسمعه وبصره ويديه و

ورجليه وغير ذلك ليس من هذا شيء الا فيه نعمة من الله
على العبد فان يعمل بالنعمة التي هي في بدنه لله في طاعته ونعمة
اخرى في الرزق وحق عليه ان يعمل لله فيما انعم به عليه من
الرزق طاعته لمن عمل بهذا كان قد اخذ بحذم الشكر من
اصله وفرعه وقال لعض ما انعم الله على عبده من نعمة في الدنيا
فشكر لها ما مرة واضع رأسه الا اعطاه الله بشكرها في الدنيا و
في الآخرة درجة في الآخرة وما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا
فلم يشكر لها ما مرة ولم يتواضع برأسه الا منعه الله بشكرها في الدنيا
وفتح له فتحة من النار يعني بدل ماء او شجاوز عنه وقال
اكثر من ترى لله عليه نعمة الا في مطعم ومشرب او لباس فتلا
قصر عليه وحفر عذابه وقال الحسن يا ابن آدم المزني هات
يا ابن آدم دعوات اخوانك فحمد الله واثن عليه وصلى على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم قال والله ما ادري اي النعمتين افضل علي
وعليكم النعمة المسلك ام نعمة المخرج اذ اخرجه ما قال الحسن انا لنأكل
نعمة الطعام وقال عائشة رضي الله عنها ما من عبد يشرب الماء
القراح فيدخل بغير ادى ويخرج بغير ادى الا وجب عليه
الشكر وقال الحسن يا لها نعمة ناكلها لذة ونخرجها مضرة حالقين
كان ملك متحملون هذه القذرة ويرى الغلام من غلمانه يأتي
الخلاء فيكتال منه ثم يخرج فيأكل يا لتني لمثلك ما تشرب
حتى يتطعم عنقير بالعطش فاذا شربه كان له في تلك الشربة شفاء
يا لها من نعمة وكتب بعض العلماء الى اخ له اما بعد فقد

قد اصبح بنا من نعم الله ما لا نحصيه مع كثرة ما نضيعه فلا
ر بها شكرا جميلا ما يسر ام قبيح ما ستر وقال لبعضهم
بها رجل لا يجالس الناس فسأله عن ذلك فقال
امسي واصبح بين ذنب ونعمة فرأيت ان اشغل نفسي
الناس بالاستغفار من الذنب واشكر النعمة فقال
حسن ايت افقر من قنبر فقال ما رأيت عسرا وقال
سمعت عن صام يقول في قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ
اي من طاعتي والتحقيق ان الزيادة من النعيم وغيره
اهل نعمة وذكر بن ابي الدنيا ان محارب بن دثار
ل بالليل ويرفع صوته نحمدك ربنا نحمدك ربنا
وابا الصفيف الذي نبتة فلك الحمد ولك الحمد
يته فلك وان الصفوف الذي من لتمر فلك الحمد ولك
ب الذي رضعته فلك الحمد ولك الحمد والساعب الذي اشعته
الحمد ولك الحمد والعارض الذي لبسته فلك الحمد ولك الحمد
ته فلك الحمد ولك الحمد والغائب الذي رددته فلك الحمد ولك الحمد
شيته فلك الحمد ولك الحمد والسائل الذي اعطيته فلك الحمد ولك
ي الذي اجبته فلك الحمد ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا وكان
ن الخطاب يقول في خطبته احتط لك الآلف في تامه وانمه
ن تامر وتفلك من طبقة الطبقة وحنن عليك الوالدة بر
ومقر نعمه عليك من رقه وايادية بك محدقة وكان بعض
ء يقول في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ما سمى
جعل لعبد معرفة نعمه الا الاعتراف بالتقصير عن معرفتها كما لم
لعباد ادراكه اكثر من العلم انه لا يدرك فجعل معرفة نعمه
تقصير عن معرفتها شكرا كما شكر علم العالمين انهم لا يدركونه

فجعله ايمانا

فجعله ايمانا منه انا العباد لا يتجاوزون ذلك وقال عبد الله بن المبارك
اخبرنا المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لخصلتان من لا تتابع فيهما كتبه
الله صابرا شاكرا ومن لم تكن فيه اكتبه صابرا شاكرا من نظر في دينه
الى من هو فوقه فاقتدى به ومن نظر في دنياه الى من هو دونه فحمد الله
على ما فضله به عليه كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر في دينه الى من هو
دونه ونظر في دنياه الى من هو فوقه فاسف على ما فاته منه لم يكتبه
الله صابرا ولا شاكرا وبهذا الاسناد عن عبد الله بن عمرو بن العاص
اربع خصال من كن فيه لم يبتل الجنة من كان عصمة امره
لا اله الا الله وكان اصابته مصيبة قال انا لله وانا اليه راجعون واذا
اعطي شيئا قال الحمد لله واذا اذنب ذنبا قال استغفر الله و
قال ابن المبارك عن شبل عن ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى
انه كان عبدا شكورا قال لم يأكل شيئا قط الا حمد الله عليه ولم يشرب
شيئا ولم يشرب شرابا قط الا حمد الله عليه ولم يمش شيئا قط الا
حمد الله عليه ولم يبطش شيئا قط الا حمد الله عليه فسمي الله عليه انه
كان عبدا شكورا وقال محمد بن كعب كان نوح عليه السلام اذا اكل قال
الحمد لله واذا شرب قال الحمد لله واذا لبس قال الحمد لله واذا ركب قال
الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا وقال ابن ابي الدنيا بلغني عن بعض
الحكماء انه قال لم يعذب الله على معصيته لكان ينبغي ان لا يشكر على نعمته
فصل وسنتكلم ان شاء الله على عبوده من عامة الخلق ولا
ينكر منها احد احدها امره وزجره الذي هو محض حقه عليهم
الثاني شكر النعمة التي انعم بها عليهم فمن سجاياه ان يعطيهم شكر نعمه

بالقيام بامره فمشهد الواجب عليه لا يزال يشهده بتقصيره
في يطيه وانه محتاج الى عفو الله ومغفرته فان لم يتداركه بذ
هلك فكلما كان افتقر في دين الله كان شهوده للواجب
حيه اتم وشهوده لتقصيره اعظم وليس الدين بمجرد ترك
رمات الظاهرة بل بالصيام مع ذلك بالاوامر المحبوبة
وكثر الديانين لا يعرفون منها الا اسمها وارسمها فيه عموم النا
الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة لله
سوله وعباده ونصرة امره ورسوله وكتابه ودينه فهذه
حيات لا يخطر بالهم قصدها امر عن ان يريدوا فعلها
ن يفعلوها وافل الامر ترديد وامقتهم الى الله من ترك هذه
حيات وان زهد في ترك جميعها او قال ان ترك منهم
مر وجهد وبمره في الله وبغض فرماته وسد اعراضه
مرة دينه واصحابه الكبائر خير حالا عند الله من هؤلاء
ذكر ابن عمر وغيره ان الله تعالى امر ملكا من الملائكة ان يخسف
قرية فقال يا رب ان فيهم فلانا العابد فقال به فابدا
بمعصيتي طرفة عين وجهه في يوما قط فضل وا
شهوده النعمة فانه للشكر يدعو لذوبة حسنة من حسناته
ولو عمل اعمال الثقلين فان نعم الله سبحانه عليه اكثر من اعماله
ن نعمة من نعمه تستغرق عمله فيبقى للعبد ان لا يزال ينظر
ق الله عليه قال الامام احمد ثنا حجاج قال ثنا جرير بن
م عن وهب قال بلغنا ان نبي الله موسى عليه السلام مر
يقول ويتضرع فقال يا رب ارحمه فان قدر حمله فا
الله اليه لو دعاني حتى يتقطع قواه ما استجبت له حتى

حتى ينظر

حتى ينظر في حق عليه فمشاهدة العبد النعمة والواجب لا
تدع له حسنة يراها ولا يزال من رأى نفسه ذا مالها وما اقرب به
من الرحمن اذا اعتبر هذين المشهدين حقهما والله المستعان
الباب الحادي والعشرون في العلم بين الطريقين والفصل بين الطائفتين
فنقول كل امر به طلبت المواربة بينهما ومفارقة الراجح منهما
على المرجوح فان دلك ايمن الامر معرفة كل واحد منهما و
قد ذكرنا حقيقة الصبر واقسامه وانا نعيد هنا ذكر حقيقة
الشكر وما هيته قال في الصحاح الشكر الثناء على المحسن
بما اولاك من المعروف يقال شكرته وشكرت له والام افصح و
قوله لا مر بهم ان يشكروا له شكورا يحتمل ان يكون مصدرا كالكفور
والقعود وان يكون جمعا كالرسول والنكير والشكور ان خلاف
الكفران وشكرت لمن شكرت له والشكر من الدواب
ما يكتفي العلف القليل واشكرت السماء اشتد وبيع مطرها و
اشتكر الضرع امتلأ لسان قول عمر شكرت الناقة بالكسر تشكر
شكرا فهي شكرة فهو شكرة الثمرة تشكر شكرا فهي شكرة وشكرت
الثمرة تشكر شكرا خرج منها الشكير وهو ما ينبت حول
الثمرة من اصلها فتامل هذا الاشتقاق وطابق بينه وبين
الشكر المامور به وبين الشكر الذي جزاء الرب الشكور كيف تجد
في الجميع معنى الزيادة والنماء ويقال ايضا دابة شكور اذا اظهرت
من السمن فوق ما تعطى من العلف وشكر العبد يدور على ثلاثة
ارکان لا يكون شكورا الا بجمعها احدها اعترافه بنعمة الله عليه
الثاني تحدثه بها عليه الثالث الاستعانة بها على مرضاته

واما قول الناس في الشكر فقالت طائفة هو الاعتراف بنعمة
المنعم على وجه الخضوع وقيل الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه
اليه فشكر العبد سبحانه وتعالى عليه بذكر احسانه اليه وقيل شكر
النعمة مشاهدة المنة ورفع الهمة بالدوام والقيام بالخدمة وقيل
شكر النعمة ان ترى نفسك فيها خليا وقيل الشكر معرفة
العجز عن الشكر وقال الشكر على الشكر اتم من شكر وذلك
ما ترى شكرك توفيقه وذلك التوفيق من جملة النعم عليك
وتشكره على الشكر نعمة اخرى فشكرك الشكر ما زلت عاجزا
وقيل الشكر الصافي شهود المنعم دون رؤية النعمة وقيل
الشكر ان لا ترى نفسك بالنعمة اهلا وقيل الشكر ظهور
الطاعة في الطاعة وقيل الشكر الذي لا شكر عليه هو الموجود و
الشكور الذي يشكر على المفقود وقال الشكر الذي يشكر على
الورود والشكور الذي يشكر على الرد وقيل الشكر الذي يشكر
على العطاء والشكور الذي يشكر على المنع والشكور الذي يشكر
على البلاء وقال الجنيد كنت بين يدي السري العلوي وابن سمع
سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام
ما الشكر فقلت ان لا يعصى الله بنعمه فقال يوشك ان يكون
حظك من الله لسانك فلا ان لا يكبر على هذه الكلمة التي قالها
السري وقال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعم وهذا
ليس بجيد بل من تمام الشكر ان تشهد النعمة من المنعم وقيل الشكر
قيد الموجود وصيد المفقود وقال ابو عثمان شكر العامة على
المطعم والملبس وشكر الخاصة على ما يرد على قلوبهم من المعاني

وحبس السلطان

وحبس السلطان رجلا فارسل اليه صاحبه اشكر الله فضرب
فارسل اليه اشكر الله لجيء بمجوسي مبطون فقيده وجعل حلقة
من قيد في رجله وحلقة في قيد الرجل المذكور فكان المجوسي
يقوم بالليل مرات فيحتاج الرجل ان يقف على راسه حتى يزعج
فكتب اليه صاحبه اشكر الله فقال لدالى متى تقول اشكر
الله واي بلاء اعظم من هذا فقال لو وضع الزنار الذي في و
سطك في وسطك وحل القيد الذي في رجلك في رجلك لعلمت
كنت تصنع فاشكر الله وحل رجل على سهل بن عبد الله فقال
ان اللص دخل داري واخذ متاعي فقال اشكر الله فلو
خلا اللص قلبك وهو الشيطان لم تسعه عليك التراجيع ما كنت
تصنع فاشكر الله وحل رجل على سهل بن عبد الله فقال ان
اللص دخل داري وحمل متاعي وقيل الشكر الملذ وبثنائه
على مالم تستوجبه من عطائه وقيل اذا قصرت يدك عن المكافاة
فليطل لسانك بالشكر وقيل اربعة لا تمرفها مساءة الاصم
ووضع النعمة عند من لم يشكرها والبذر في السباخ والسراج
في الشمس والشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح فالقلب
للمعرفة والمحبة واللسان للثناء والحمد والجوارح لاستعمالها
في طاعة المشكور وكفها عن معاصيه قال الشاعر

افادتكم النعماء عندي ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

والشكر اخص بالافعال والحمد اخص بالاقوال وسبب الحمد
اعم من سبب الشكر ومتعلق الشكر واسباب الشكر اعم من اسباب الحمد

يحمد الرب تعالى عليه اعم مما يشكر عليه يحمد على اسمائه وصفاته
فعاله ونعمه ويشكر على نعمه وما يحمد به اخص مما يشكر به فانه
ر بالقلب واللسان والجوارح ويحمد بالقلب واللسان
عمل اذا عرفت هذا فكل من الصبر والشكر داخل
حقيقة الاخر لا يمكن وجوده الا به وانما يصير عند احد هذا
الخاص به باعتبار الاغلب عليه والاظهر منه والحقيقة
شكر انما يلتئم منها الصبر والارادة والعمل فان الشكر هو
عل بطاعة الله تعالى وتركه ومتركل معصيته والصبر اصل
ن فالصبر على الطاعة وعن المعصية هو عين الشكر واما
الصبر ما مور به فاداؤه هو الشكر فان قيل لم جعلتم
ن اتحاد الصبر والشكر وهما اسمان متغايران مفهوما واحد وهذا
ن عقلا ولغة وعرفا وقد فرق الله سبحانه بينهما قيل بل هما
ان متغايران وانما بينا تلازمهما وافتقار كل واحد منهما
جود ماهيته الى الاخر ومتى تجرد الشكر عن الصبر بطل
شكرا واذا تجرد الصبر عن الشكر بطل كونه صبرا اما
ظاهر واما الثاني اذا تجرد عن الشكر كان كفرا ومنا
كفر للصبر اعظم من منافاة السخط فان قيل بل ههنا
خر وهو ان لا يكون كفرا ولا شكرا بل صابرا عن مقتضى
هته شديدة فلم يات بحقيقة الشكر ولا خرج عن ماهيته
صبر قيل كلامنا في الصبر المامور به الذي هو طاعة لا في الصبر
هو تجلد كصبر البهائم وصبر الطاعة لا ياتي به الا شاكر

ولكن اندرج

ولكن اندرج في شكره في صبره فكان الحكم للصبر كما اندرج صبره
الشكور في شكره فكان الحكم للشكر فتمامات الايمان لا عدم بل
لسفل فهابل تندرج وينغي الادنى في الاعلى كما يندرج الايمان
في الاحسان ولا يندرج الصبر في مقام الرضى لان الصبر يزول
ويندرج الرضى في التفويض ويندرج الخوف والرجاء في الحب
لانهما يرفقان فالمقدور الواحد يتعلق به الشكر والصبر
سواء كان محبوبا او مكروها فالفقر مثلا يتعلق به الصبر وهو
اخص به لما فيه من الكراهة ويتعلق به الشكر لما فيه من النعمة
من غلب عليه شهود نعمته وتلذذه واستراحه واطمانينته اليه عده
نعمة يشكر عليها ومن غلب عليه شهود ما فيه من الابتلاء والضيق
والحاجة عده بلية فصبر عليها وعكس الغني على ان الله سبحانه
ابتلى العباد بالنعم كما ابتلاهم بالمصايب وعد ذلك كله ابتلاء
فقال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال فاما الانسان
اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمني واما اذا ما
اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا وقال
انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقال
تعالى الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وقال
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على
الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فاخبر سبحانه انه خلق العالم

علوي والسفلي وقدر اجل الخلق وخلق ما على الارض للابتلاء
والاختبار وهذا الابتلاء انما هو ابتلاء صبر العباد وشكرهم
بالخير والشر والسراء والضراء فالابتلاء بالنعم من الغنى والعا
فية والجاه والقدرة وتاتي الاسباب اعظم الابتلاءين والصبر
على طاعة الله فيها اشق الصبرين كما قال العلماء رضي الله عنهم
الصبر على البلاء بالضراء فصبر واتبلينا بالسراء فلم نصبر وبالغنى با
لفقر والمرض وقبض الدنيا واسبابها وادى الخلق قد يكون
مع النعمتين وفرض الشكر عليها اوجب من الشكر مع اضدادها
فان الرب تعالى يحب منعمه ويتم ما بتلاه عبده بالصبر والشكر وذلك
مرتبتان للعبد في كل ما يامر به وينهى عنه وفضائله وقدره لا يستغني
عن واحدة منهما طرفة عين والصبر عليها افضل من جميع حظوظ العبد وهي افضل
من السوال بكسر وتركه فيها افضل من جميع الطعام والشراب
وهي افضل من جميع حظوظ العبد وجاريه وهي افضل فالامور لا يؤدى
الا بصبر وشكر والمحظور لا يترك الا بصبر وشكر واما
المقدور الذي يقدر على العبد من المصايب فلم يصبر عليها
يدرج شكره في صبره كما يندرج صبر الشاكر في شكره وما
يصح هذا ان الله سبحانه امتحن العبد بنفسه وهواه وامر
عليه جهادهما في امره فهو في كل وقت في مجاهدة نفسه حتى
يكون من الشاكر الحامد ربه ويصبر عن الهوى المنهي عنه طاعة
ينفك العبد عنها طرفة عين كان او فقيرا معافى او مبتلى وهذه

هي مسئلة الغنى

هي مسئلة الغنى الشاكر والفقير الصابر ايهما افضل وللناس
فيها ثلاثة اقوال وهي التي حكاها ابو الفرج بن الجوزي وغيره في
عموم الصبر والشكر ايهما افضل وقد احتجت كل فرقة بحجج
وادلة على قولها والتحقيق ان يقال افضلهما اتقاهما لله فان قرض
استواهما في التقوى استويا في الفضل فان الله سبحانه لم يفضل
بالفقر والغنى كما يفضل بعض بالعلم والعبادة وانما يفضل بالتقوى كما
قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال صلى الله عليه وسلم لا فضل
لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى الناس بنو ادم وادم
من تراب والتقوى متعلقة على اصلين الصبر والشكر وكل من
الغني والفقير لا بد لهما من كان صبره وشكره اتم كان افضل
فان قيل فان كان صبر الفقير اتم وشكر الغني اتم فايهما افضل
قيل اتقاهما لله في نفسه ومقتضى حاله ولا يصح التفضيل بغير
هذا البتة فان الغني قد يكون اتقى لله في شكره من الفقير في
صبره وقد يكون الفقير اتقى لله في صبره من الغني في شكره
فلا يصح ان يقال هذا بغنائه افضل ولا هذا بفقره افضل ولا
يصح ان يقال هذا بالشكر افضل من هذا بالصبر ولا بالعكس لا
نهما مطلوبتان للايمان لا بد منهما بل الواجب ان يقال اقومهما بالواجب
والمندوب هو الافضل فان التفضيل تابع لهذين الامرين كما
قال تعالى في الاثر الالهي وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت

عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني فيقول كيف أعودك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني فيقول كيف أسقيك وأنت رب العالمين فيقول استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني فيقول كيف أعودك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني فيقول كيف أسقيك وأنت رب العالمين فيقول استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني فيقول كيف أعودك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني فيقول كيف أسقيك وأنت رب العالمين فيقول استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني فيقول كيف أعودك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني فيقول كيف أسقيك وأنت رب العالمين فيقول استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني فيقول كيف أعودك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني فيقول كيف أسقيك وأنت رب العالمين فيقول استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي

من الشكر على الغنى ما لم يحصل الغنى سواه ومن تامل سيرته
ه الله عليه وسلم وجد الامر كذلك فكان صلى الله عليه وسلم اصبر
حق في مواطن الصبر واشكر الخلق في مواطن الشكر وبه
ت كل له مراتب الكمال فجعله في اعلى مراتب الاغنياء الذين وفي
م مراتب الفقراء الصابرين قال تعالى ووجدك عائلا فاغنى
جمع العيل وان العيل هو الفقير يقال عال الرجل يعيل اذا
قر واعال يعيل اذا صار ذا عيال مثل لبن واتمر وترك ادا
ن ذا لبن وتمر وثروة وعال يعول اذا جار ومنه قوله تعا
ما ادنى ان لا تعولوا اي تميلوا لكن لا تجوروا والقول هو اول
جوه احدها انه لا يعرف في لغة عان يعول وانما عال يعيل
ا المعروف في ذلك اعال يعيل واما عال يعول فهو بمعنى جار
ى الاحد الذي ذكره اهل اللغة قالوا الثاني ان سحيانه
ن ذلك بالعدل الذي هو تقديم محتوم من قدره الى الو
ة او الشريعة بما شاء وامر بمصالحهم ولا يحسن هنا التعليل
م العيال بوجه الوجه الثالث انه سبحانه تقدم عند
ف من عدم القسط في نكاح اليتامى الى جوازهم نكاح الواحدة
سواهن من النساء ليلا يقعوا في ظلم ازواجهم اليتامى وجوز
نكاح الواحدة فما فوقها الى الاربع ثم تقدم عند خوف الجور
عدم العدل في القسمة الى الواحدة او النوع الذي لا فسحة عليهم
الاستمتاع بهن وهن الاماء فاقتضت الاية بيان الجائز من
كاح اليتامى في البوالغ والاول من ذينك القسمين عند خوف

الظلم والجائز

الظلم والجائز من نكاح الواحدة وما فوقها والاولى من هذين
القسمين عند خوف العول فالكثرة العيال مدخل ههنا البتة
ي صحة الوجه الرابع لو كان التحذير لكثرة العيال لما تقلم الى
ما شاؤا من الاماء بلا عدد فان العيال كما يكثر من الزوجات من
الاماء ولا فرق فانهم ينقلهم الى اماء الاستخدام بل الى املاء الاستمتاع
بوجه ما وجه الى من ان كثرة العيال ليس امرا محذورا منهيا عنه
للرب تاكيد وجه هذه الامة اكثر مما سواها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم فامر بنكاح الولود ليحصل
منها مكاثرة الامم به القيمة والمة صح انه سبحانه جعل نبيه صلى
الله عليه وسلم عائلا فاغنى للطائفة الاخرى ان تحتج بهذا ايضا لحالها فان قيل فقد
كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من اكابر التجار وقال الامام احمد
في مسنده ثنا عبد الصمد قال ثنا عمارة عن ثابت عن انس قال
بينما عائشة رضي الله عنها في بيتها سمعت صوتا في المدينة فقالت ما
هذا فقال لها عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من
كل شيء قال وكانت سبعمائة بعير فارتجت المدينة من الصوت
فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لرايت عبد الرحمن بن عوف يحبوا فلقي ذلك عبد الرحمن
فقال ان استطعت لادخلنها قائما فجعلها بافتابها واحمالها في
سبيل الله ثم قيل لقد قال الامام احمد هذا الحديث كذب
منكر قال وعمارة يروي احاديث مناكير وقال ابو حاتم

ري عارة من زاذان لا يحتج به قال ابو الفرج وقد روى
رج بن منهال باسناده عن عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى
عليه وسلم قال له يا ابن عوف انك من الاغنياء وانك لا تدخل
ة الا زحفا فاقرض ربك يطلق قدميك قال ابو عبد الرحمن
ي هذا حديث موضوع والفرج متروك الحديث وقال
ليس حديث الفرج بشئ وقال ابن المديني لا يكتب حديثه
ن حبان كان يكذب وقال الدار قطني متروك
قيل فما تصنعون بالحديث الذي رواه البيهقي من حد
حمد بن عدي ابنا اسمعيل بن محمد ثنا سليمان بن عبد الرحمن
خبرني خالد بن يزيد بن ابي مالك عن ابيه عن عطاء بن
رباح عن ابن هبيرة بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن رسول
صلى الله عليه وسلم انه قال يا ابن عوف انك من الاغنياء ولن
دخل الجنة الا زحفا فاقرض الله يطلق لك قدميك قال وما
ي اقرض يا رسول الله قال تنتزه مما امسيت فيه قال امر كله
يا رسول قال نعم فخرج ابن عوف وهو يهم بذلك فاتاه
يل عليه السلام فقال مر ابن عوف فليضف الضيف وليطعم
ئيس وليسد الجوع ويعود وليعط السايل فاذا فعل ذلك كان تزكية
عوف فيه قيل هذا حديث باطل لا يصح عن رسول الله صلى
عليه وسلم فان احمد واتى خالد بن يزيد بن ابي مالك قال
ام احمد قدس الله روحه ليس بشئ وقال ابن معين واه
ل النسائي غير ثقة وقال الدار قطني ضعيف وقال يحيى
معين لم يرض ان يكذب على الله حتى كذب على الصحابة

فان قيل

فان قيل فما تصنعون في الحديث الذي رواه الامام احمد
ثنا هذيل بن ميمون عن مطرح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر
عن علي بن يزيد عن القاسم عن ابي امامة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت فيها خشفة بين يدي
فقلت ما هذا قال بلال فمضيت فاذا اكثر اهل الجنة فقراء
المهاجرين ودراري المسلمين ولم ار فيها احدا اقل من الا
غنياء والنساء قيل له اما الاغنياء فهم بالباب يحاسبون
ويعصون وما اراه ها هنا من الاحمران الذهب والحرير ثم خرجنا
من احد الوجهين فاذا انا بقصر فقلت لمن هذا القصر ياء
فوصفت فيها ووصفت امتي في الكثرة فرجعت بهم اتى بكر فوضع
في كثرة وجمع امتي فوصفت في القلة فرجح ابو بكر ثم اتى بعمر
فوضع في كثرة ووضع جميع امتي في كثرة فرجح عمر وعرضت على
امتي رجلا رجلا فجعل يمر واستطاعت عبد الرحمن بن عوف
ثم جاء بعد الياس فقلت عبد الرحمن فقال بابي وامي يا رسول الله
والذي بعثك بالحق ما خلصت اليك حتى ظننت اني لا اصل
اليك ابدا الا بعد المشيات قلت وما ذاك قال من كثرة مالي
احاسب فاتحص قيل هذا حديث لا يحتج باسناده وقد
ادخله ابو الفرج بن الجوزي هو الذي قلده في كتب الموضوعات
وقال امام عبيد الله بن زحر فقال يحيى ليس بشئ وعلي بن يزيد متروك
وقال ابن حبان عبد الله بن زحر يروي الموضوعات عن الاثبات واذا
روى عن علي بن يزيد اتى بالطامات واذا اجتمع في الاسناد خبر
عبد الله بن زحر والقاسم ابو عبد الرحمن علم ان يكن متنه ذلك الخبر
الا ما علمت ايديهم قال ابو الفرج وبمثل هذا الحديث

الباطل تتعلق جهلة المتزهدين ويرون ان المال مانع من السبق
الى الخير ويقولون اذا كان ابن عوف يدخل الجنة زحفا لاحل ماله
كيف ذلك في ذم المال والحديث لا يصح وحوش عبد الرحمن
المشهور له بالجنة ان يسبقه ماله من السبق لان جمع المال
مباح وانما المذموم كسبه من غير وجهه ومنع حق الواجب
فيه وعبد الرحمن منزه عن هذا كله وقد خلف ابو طلحة رضي
الله عنه ثلثمائة حمل من المال ذهب وفضة من الربيع فتعجبوا ولم
علموا ان ذلك مذموم لا خروج الكل وكم قاصر يتسور بمثل هذا
الحديث يحث على الفقر ويذم الغنى فليدر العلماء المدبر
يميزون الصحيح ويتفهمون اصول الشرع كما مر قلت وقد بالغ
في رد هذا الحديث وتحامل في رده الى احاديث ما ثبت صحته
المختلفة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يستعظم احتباس
عبد الرحمن ابن عوف وهو احد الثمانية الاولين المشهود لهم
بالجنة عن السبق الى دخولها بجنة حبوا وزحفا ذلك ما قضاه
لسبقه ومنزلته التي اعدها الله له في الجنة وهذا وهم منشؤه قلة
وهب انه وجد السبيل الى الطعن في هذين الحديثين الصحيحين الى
القدح في حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة
عام قال الترمذي حديث حسن صحيح وفي حديث ابن عمر المذكور
رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان فقراء المهاجرين
يسبقون الاغنياء يوم القيمة باربعين خريفا وفي مسند الامام
احمد عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم هل تدرون اول من يدخل
الجنة قالوا الله ورسوله اعلم قال فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم

المكاره ويموت احدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء
وفي جامع الترمذي من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يدخل فقراء امتي الجنة قبل الاغنياء باربعين خريفا فهذه
الحديث وامثاله صحيح صريح في سبق فقراء الصحابة الى الجنة لاغنيائهم
وهم في السبق متفاوتون فمنهم من يسبق بخمسمائة عام ومنهم من
يسبق باربعين عاما ولا يقبح ذلك في منزلة المتاخرين في الدخول
فانه قد يكون بين ارفع منزلة من يستحق الدخول اول وان
تاخر وبين اسفل المحال فان الامام العادل يوفى للمحاب ويسبقه
من لم يبلغ منازل المسلمين الى الجنة فاذا دخل الامام العادل
بعده كانت منزلته اعلى من منزلة الفقير بل يكون اقرب الناس
منزلة كما في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال المقسطون عند الله يوم القيمة على منابر من نور
عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم
وما ولوا وفي الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري عنه صلى الله
عليه وسلم احب الناس الى الله واقربهم منه مجلسا امام
عادل وابغض الناس الى الله يوم القيمة واشدهم عذابا امام جائر
فالامام العادل والغني قد تاخر دخوله للمحاب ويكون بعد
المدخول ارفع منزلة من الفقير السابق ولا يلزم من احتباس
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لكثرة ماله حتى يحاسب عليه
ثم يلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عضاضة عليه
ولا انتقاص من مرتبته ولا يضاد ذلك سبقه وكونه مبشرا له
بالجنة واما حديث دخوله الجنة زحفا فالامر فيه كما قال الامام
احمد رضي الله عنه انه كذب منكر وكما قال النسائي انه من موضوع

سد الرحمن رضي الله عنه في الاسلام وهجرته ونفقاته العظيمة
تقتضي دخوله الجنة مع السابقين كالبرق او كالطرف
د تحيل ولا بدعة بل خلها رجحانا فضل والله
تعالى كما هو خالق الخلق فهو خالق ما به غناهم وفقرهم و
د وفقرهم لخلق الغنى والفقر ليبتلي بهما عباده ايهم احسن
سا للطاعة والمعصية والثواب والعقاب قال ابن عباس رضي الله عنه
ر الخير فتنة والشر فتنة وقال ابن عباس رضي الله عنه الخير
سم والغنى والفقر والحلال والحرام وكلها بلاء وقال ابن
بما تحبون وما تكرهون ليبتلي كيف شكركم وصبركم فيما
سكرهون وقال الكلبي بالشر بالفقر والبلاء والخير بالمال
سر سبحانه ان الخير والشر مطية الابتلاء والامتحان وقال
نسان اذا ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن
تلاء فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا فاخبر
يبتلي عبده بالكرامة وبنعمته له وبسط الرزق عليه من
ضيق الرزق وتقديره عليه وان كلا منهما ابتلاء منه وامتحان
منه على من زعم ان بسط الرزق وتوسعته اكرام من الله لعبده
ستحق عليه اهانته منه له فقال كلا اي ليس الامر كما يقول
د فانا ابتلي بنعمتي وانعم ببلاي واذا تاملت الفاظ الاية
عذا الصنيع لوح على صفحاتها ظاهرا للمتامل وقال تستخلف
جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات
سكم فيما اتاكم وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة
هم ايهم احسن عملا فاخبر سبحانه انه زين الارض بما عليها
وغيرها للابتلاء والامتحان كما انه خلق الموت والحياة
خلق السموات والارض لهذا الابتلاء ايضا فهذه

ثلاثة

ثلاثة مواضع في القرآن يخبر فيها سبحانه انه خلق العالم العلوي
والسفلي وما بينهما لاجل العالم ولاجل اهله واسباب معايشهم التي
حملها وزينة الارض من الذهب والفضة والمساكن والملابس والمراكب
والزروع والثمار والحيوان والنساء والبنين وغير ذلك كل ذلك
خلقه للابتلاء والامتحان ليختبر خلقه ايهم احسن عملا وارضى له
فهو الاحسن علما وهذا هو الحق الذي خلق به السموات
والارض وبينهما وعليه الثواب والعقاب وبه تعرف اسماؤه وصفاته وتعليله
هو العلة الذي ذكره نفسه عنه واخبر به تعالى وآن ملكه الحق و
تفرده بالالهية وحده وسريانه كل شيء يبطل هذا الظن الباطل
والحسبان الكاذب وقال تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم فنزه
سبحانه نفسه عن ذلك كما نزهها عن الشريك والولد والصاحبة و
سائر العيوب والنقايص من السنة والنوم واللغوب والحاجة
واكثر ما تحفل السموات والارض وتقدم الشفعاء بين يديه دون
اذنه كما يظنه اعداؤه المشركون وخفي بعض الامر الخلق عليه
كما يظنه اعداؤه الذين يخرجون عن علمه حركات العالم او شيئا
منها فكان كماله المقدس وكمال اسمائه وصفاته يابى ذلك ويمنع
منه فلذلك يبطل خلقه لعباده عبثا وتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهاهم
ولا يردهم اليه فيثيب محسنهم باحسانه ومسيئهم باساءته ويعرف
المبطلين منهم انهم كانوا كاذبين ويشهدهم ان رسله واتباعهم
كانوا اولى بالصدق والحق منهم ممن انكر ذلك فقد انكر الهيته
وربوبيته وملكه الحق وذلك عين الجحود والكفر به سبحانه

كما قال المؤمن لصاحبه الذي حاوره في المعاد وانكره اكفرت بالذي خلقك
من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا فانه انكاره للمعاد كفر بذات الرب
سبحانه وقال ائنك لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين
وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد
افترى على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد
افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض
او نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب فانظر كيف جعل
الرب وآياته وحكمته وملكه لغوا وباطلا وعبثا والعياذ بالله من ذلك وجعل تكذيب
رسله وجحد رسالتهم يتضمن ذلك اذ لا يمكن لاحد من الناس تكذيب رسول
المعاد فقد انكر ربوبية الله سبحانه وتعالى ان يكون ربا للعالمين
والمقصود ان خلق العالم والامر مشتملين على الابتلاء والامتحان
ولم يزل العالم العلوي والسفلي مملوءا بالاستماع بدار الابتلاء والامتحان
وقد قال تعالى انا انزلنا المال لاقامة الصلوة وايتاء
الزكاة ولو كان ابن آدم وادمن مال الاستمتاع به لاقامة الصلوة وايتاء
الزكاة ولو كان ابن آدم وادمن مال الاستمتاع به لاقامة الصلوة وايتاء
سبحانه انزل المال للاستعانة به على اقامة حقه بالصلوة
واقامة حوائجه بالزكاة لا للاستمتاع والتلذذ كما تأكل
الانعام فاذا زاد المال على ذلك او خرج عن هذين المقصودين
فآفات الغرض والحكمة التي انزل لها وكان التراب اولى به فرجع
هو والخوف الذي امتلأ بمحبته وجمعه الى التراب الذي هو
اصله فلم ينتفع صاحبه به ولا انتفع الخوف الذي امتلأ به
بما خلق له من الايمان والعلم والحكمة فانه خلق ليكون وعاء
لمعرفة ربه وخالقه والايمان به ومحبته وذكره وانزل عليه من
المال ما يستعين به على ذلك فعطل الحامل باسه وامر اسه وتوحيده
اسره واسماءه وصفاته جوف قد خلق له وملأه بمحبة المال
وجمع الفاني الذاهب الذي هو ذاهب عن صاحبه وبالعكس
جمعه والاستكبار منه ومع ذلك فلم يمتلئ بل ازداد فقرا وحرصا
الى ان امتلأ جوفه بالتراب الذي خلق منه فرجع الى
مادته الترابية التي خلق منها هو وماله ولم يستكمل

مادته

مادته باصطلاحه جمع فيه من العلم والايمان الذي بها كماله وفلاحه ومعاده
في معاشه ومعاده فالمال اذا لم ينفع صاحبه ضره ولابد وكذلك العلم والملك
والقدرة كل ذلك اذا لم ينفعه ضره فان هذه الامور وسايل لمقاصد
يتوصل بها اليها فاذا تجرد الشر فان عطلت عن التوسل بها الى المقاصد
والغايات المحمودة توصل بها الى اضدادها فاربح الناس من جعلها
وسايل الى اسره والدار الآخرة وذلك الذي ينفعه في معاشه ومعاده
واخسر الناس من توسل بها الى هواه ولذاته ونيل شهواته واغراضه
العاجلة فخسر الدنيا والآخرة فهذا لم يجعل الوسايل مقاصد
ولو جعلها لذلك لكان خاسرا لكنه جعلها وسايل الى ضدها فحبطت
اعماله فهي بمثابة من توسل باسباب اللذة الى اعظم الآلام والامها
فالاقسام اربعة اخامس لها احدها معطل الاسباب معرض
عنها الثاني مكب عليها واقنع جمعها وتحصيلها الثالث متوصل
بها الى ما يضره او لا ينفعه في معاشه ومعاده فهؤلاء الثلاثة
في الخسران الرابع يتوصل بها الى ما ينفعه في معاشه ومعاده وهو
الرابح قال اسر تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف
اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة
الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وقد اشكل
فهم هذه الآية على كثير من الناس حيث فهموا منها ان من كان
له ارادة في الدنيا وزينتها فله هذا الوعيد ثم اختلفوا في
معناها فقالت طايفة منهم ابن عباس رضي اسر عنهما من كان
يريد تعجيل الدنيا فلا يؤمن بالبعث ولا بالثواب والعقاب

قالوا فالاية في الكفار خاصة على قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال قتادة
من كانت الدنيا همه وسدمه ونيته وطلبته جازاه الله في الدنيا
بحسناته ثم يفضي الى الاخرة وليس له حسنة يجازى بها واما المؤمن
فيجزى في الدنيا بحسناته ويثاب عليها في الاخرة وقال هؤلاء الاية في
حق الكفار بدليل قوله وليس الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط
حبط ما صنعوا وباطل ما كانوا يعملون قالوا والمؤمن يريد الدنيا
والاخرة فاما ما كانت ارادته مقصورة على الدنيا فليس بمؤمن وقال
ابن عباس في رواية ابي صالح عنه نزلت في اهل القبلة قال مجاهد
هم اهل الرياء وقال الضحاك من عمل صالحا من اهل الايمان من غير
تقوى عجل له ثواب عمله في الدنيا واختار الفراء هذا القول وقال
من اراد بعمله من اهل القبلة ثواب الدنيا عجل له ثوابه ولم يبخس و
هذا القول ارجح ومعنى الاية على هذا من كان يريد بعمله كماة
الدنيا وزينتها وهذا لا يكون مؤمنا البتة فان المعاصي والفاسق
ولو بالغا في المعصية والفسق فانما نهاه عما حملها على ان يعمل اعمال البر
سرا فيريد بها اعمال البر وجه الله وان عاد بمعصيته فاما من لم
يرد بعمله وجه الله وانما اراد به الدنيا وزينتها فهذا لا يدخل
في دايرة الايمان وهذا هو الذي فهمه معاذ رضي الله عنه من
الاية واستشهد بها على حديث ابي هريرة رضي الله عنه الذي
رواه مسلم في صحيحه في الثلاثة الذين هم اول من تسعر بهم
النار يوم القيمة القاري الذي قرأ القرآن ليقال فلان قاري
والمتصدق الذي انفق ماله ليقال فلان جواد والغازي الذي

قتل في

قتل في الجهاد ليقال هو جريء وكما ان خيار خلق الله هم النبيون و
الصديقون والشهداء والصالحون فشرار الخلق من تشبه بهم وليس
منهم ممن تشبه باهل الصدق والاخلاص وهو مراءٍ كمن تشبه بالانبياء
وهو كاذب وقال ابو ابي الدنيا حدثني محمد بن ادريس قال اخبرني
عبد الحميد بن صالح قال حدثنا قطن بن حبيب عن عبد الوارث عن
انس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة
صارت امتي ثلاث فرق فرقة يعبدون الله عز وجل للدنيا وفرقة رياء
يعبدون رياء وسمعة وفرقة يعبدونه لوجهه ولداره فيقول
للذين كانوا يعبدونه للدنيا بعزتي وجلالي ومكاني ما اردتم بعبادتي
فيقولون بعزتك وجلالك ومكانك الدنيا فيقول اولم اقبل من ذلك
شيئا اذهبوا بهم الى النار ويقول للذين كانوا يعبدونه رياء وسمعة
بعزتي وجلالي ومكاني ما اردتم بعبادتي فيقولون بعزتك وجلالك
ومكانك رياء وسمعة قال فاني لم اقبل من ذلك شيئا اذهبوا بهم الى النار
ويقول للذين كانوا يعبدونه لوجهه ولداره بعزتي وجلالي ومكاني
ما اردتم بعبادتي فيقولون بعزتك وجلالك ومكانك وجهك و
دارك فيقول صدقتم اذهبوا بهم الى الجنة هذا حديث غني عن
الاسناد والقرآن والسنة شاهدان بصحته ويدل على صحة هذا
القول في الاية قوله تعالى نوف اليهم اعمالهم فيها وذلك على انها في قوم لهم
اعمال لم يريدوا بها وجه الله وانما اراد وا بها الدنيا ولها عملوها

فن فاهم اسر ثواب اعالهم فيها من غير بخس فافضوا الى الاخرة بغير
عمل يستحقون عليه الثواب وهذا لا يقع من يؤمن بالاخرة الا كما
يقع منه كبائر الاعمال وقوعا عارضا يتوب منه ويراجع التوحيد
قال ابن الانباري فعلى هذا القول المعنى فمن من اهل الاسلام يعمل
العمل الحسن لتستقيم به دنياهم غير مفكر فيه في الاخرة وما يتعلق اليه
فهؤلاء نعجل لهم جزاء حسناتهم في الدنيا فاذا جاءت الاخرة كان جزاهم
عليها النار اذ لم يريدوا بها وجه الله ولم يقصدوا التماس ثوابه واجره
ثم اورد واصحاب هذا القول سؤالا قالوا فان قيل الاية الثانية تدل على هذا
توجب تخليد المؤمن المريد بعمله الدنيا في النار وجائز ان يعذبه ثم يدخله الجنة
الاية تدل على ان من اراد بعمله ولم يلتمس به ثواب الاخرة بل كان يتسبب به
الدنيا فان الله تعالى يبطل ايمانه عند الموافاة فلا يبقى في ربه بالايمان قالوا
ويدل عليه قوله وحبط ما صنعوا فيها باطل ما كانوا يعملون وهذا يتناول
الايمان وغيره وأجابت فرقة اخرى بان الاية لا تقتضي الخلود الابدي
في النار وانما تقتضي ان الذي يستحق به في الاخرة النار وانهم ليس لهم
عمل صالح يرجون به النجاة فاذا كان مع احدهم عمود التوحيد فانه يخرج
به من النار مع من يخرج من اصحاب الكبائر الموحدين وهذا جواب
جواب ابن الانباري وغيره رحمة الله عليهم والاية بحمد الله لا اشكال
فيها والله سبحانه ذكر جزاء من يريد بعمله الدنيا وزينتها وهو النار واخبر
بحبوط عمله وبطلانه فاذا حبط ما يجزاه وبطل لم يبق معه ما يجيد

فان

فان كان معه ايمان لم يرد به بهجة الدنيا وزينتها بل اراد به الله ورسوله
والدار الاخرة لم يدخل هذا الايمان في العمل الذي حبط وبطل وانخلع
ايمانه من الخلود في النار وان دخلها بحبوط عمله الذي به النجاة فالظاهر
فالايمان ايمان يمنع دخول النار وهو الايمان الباعث على ان تكون الاعمال
عمال سر مستعينا بها وجه ونواه بها وايمان يمنع الخلود في النار فان
كان مع المرائي شيء منه والا كان من اهل الخلود فالاية لها حكم
نظائرها من ايات الوعيد والله الموفق وكذلك قوله تعالى من
كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب ومنه قوله تعالى من كان
يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم
يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو
مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا فهذه ثلاثة مواضع
من القرآن يشبه بعضها بعضا ويصدق بعضها بعضا وتجتمع
على معنى واحد وهو ان من كانت الدنيا مراده ولها يعمل وهي
غاية بهجته لم يكن له في الاخرة نصيب ومن كانت الاخرة مراده
ولها عمله وهي غاية سعيه فهي له بشرط ان يتقبل فاحكم من يريد
الدنيا والاخرة فانه داخل تحت حكم الارادتين فيالها من قيل
قيل من هاهنا نشأ الاشكال وظن من ظن من المفسرين

الايمان في حق الكفار فانه هو الذي يريد الدنيا دون الاخرة وهذا
ليس لازما طردا ولا عكسا فانه بعض الكفار قد يريد الاخرة وبعض
المسلمين قد لا يكون مراده الا الدنيا والله سبحانه وتعالى قد خلق السعادة
والارادة الاخرة والشقاوة بارادة الدنيا فاذا تجردت الارادة كان
كل منهما موجبها ومقتضاها وان اجتمعا تحاكم اجتماعهما حكم اجتماع
الخير والشر والطاعة والمعصية والايمان والشرك في العبد وقد
قال خير الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وسلم منكم من يريد الدنيا
ومنكم من يريد الاخرة فهذا خطاب للذين شهدوا الوقعة
وفيهم منافق وهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
ما شعرت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا
حتى كان يوم احد ونزلت هذه الاية والذين ارتابوا في الاية هم الذين
خالفوا امر مركزهم الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه وهم من
المسلمين ولكن هذه ارادة عارضة حملتهم على ترك المركز قليلا
على كسب الغنايم بخلاف من كان مراده بعمله الدنيا وعاجلها فهذه
ارادة لون وارادة هؤلاء لون وههنا امر يجب التنبه له وهو انه
ليس ارادة الدنيا وعاجلها باعمال البر دون الاخرة بمعنى الايمان
برسله ولقايه ابدا فان الايمان بالله والدار الاخرة يستلزم
ارادة العبد وجه الله والدار الاخرة باعماله فحيث كان مراده

الدنيا

بها الدنيا فهذا لا يجامع الايمان ابدا وان جامع الاقرار والعلم فان
الايمان وراء ذلك فالاقرار والمعرفة حاصل لمن شهد الله سبحانه له
بالكفر مع هذه المعرفة كفرعون وقوم ثمود واليهود الذين شاهدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوه كما عرفوا ابناءهم وهم من
اكفر الخلق فارادة الدنيا وعاجلها بالاعمال قد يجامع هذه المعرفة
والعلم ولكن الايمان الذي هو وراء ذلك لا بد ان يريد صاحبه
باعماله الله والدار الاخرة والله المستعان فصل والمقصود
ان الله سبحانه جعل الغرور الدنيا ابتلاء وامتحانا للشكر والصبر
والصدق والكذب والاخلاص والشرك قال الله تعالى ليبلوكم فيما اتاكم
وقال الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون
ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن
الكاذبين وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم
فجعل الدنيا عرضا عاجلا ومتاع غرور وجعل الاخرة دار جزاء وثواب
وخلق الدنيا بالشهوات وزينها بها كما قال تعالى زين للناس
حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة
الدنيا والله عنده حسن المآب فاخبر سبحانه ان هذا الذي يتمتع
به الدنيا من ملاذها وشهواتها وما هو غاية امانيه طلابها وموئره
لها على الاخرة وهو سبعة النساء اللاتي هن اعظم فتنتها وشهواتها
واعظمها فتنة والبنين الذين بهم جمال الرجل وفخره وكثرته

ء والذهب والفضة اللذين هما مادة الشهوات على اختلاف
سماتها وانواعها والخيل المسومة التي هي عز اصحابها وفخرهم وجمومهم
رهم لاعدائهم في طلبهم وهربهم والانعام التي منها ركوبهم و
ولباسهم واثاثهم ومتعتهم وغير ذلك من مصالحهم والحرث
عمادة قوتهم وقوت انعامهم ودوابهم وفاكهتهم وادويتهم
م ثم اخبر سبحانه ان ذلك كله متاع الحياة الدنيا ثم قال
متاع الاخرة واخبرهم ان خيرا من هذا المتاع وابقى فقال
ئلكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من
ر خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله
عباده ثم ذكر سبحانه من يستحق هذا المتاع ومن هم اهل الدنيا
فقال الذين يقولون ربنا انا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا
ب الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفر
بالاسحار فاخبر سبحانه ان هذه الاوصاف هي لاولياء المتقين من متاع الاخرة
متاع الدنيا وهو نوعان ثواب يتمتعون به والكرامة وهو
عليهم وقال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة
هم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته
ه مصفرا ثم يكون حطاما فاخبر سبحانه عن حقيقة الدنيا بما
عند اولي البصائر وانها لعب ولهو يتلهى بها النفوس و
صدان واللهو واللعب لا حقيقة لهما وانما هما مشغلة للنفس
فت يقطع بها الجاهل العمر فيذهب ضياعا في غير شيء

ثم اخبر

ثم اخبر سبحانه انها زينت للعيون والنفوس فاخذت بالعيون
والنفوس استحسانا ومحبة ولو باشرت القلوب بمعرفة حقيقتها و
مالها ومصيرها لابغضتها ولاثرت عليها الاخرة ولما اثرتها على الا
الدائم الذي هو خير وابقى قال الامام احمد ثنا وكيع ثنا المسعودي
عن عمرو بن مرة عن ابرهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قال في
ظل شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها وفي جامع الترمذي من
حديث سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت
الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء قال
الترمذي حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم من حديث المستورد بن شداد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل
احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم ترجع واشار بالسبابة وفي الترمذي
من حديثه قال كنت مع الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون
هذه هانت على اهلها حتى القوها قالوا ومن هوانها القوها يا رسول
قال فالدنيا اهون على الله من هذه على اهلها وفي الترمذي ايضا من
حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم والحديث حسن
وقال الامام احمد ثنا هشيم بن خارجة ثنا اسمعيل بن عياش عن عبد الله بن
دينار البهراني قال قال عيسى عليه السلام للحواريين بحق اقول لكم ان حلاوة
الدنيا مرارة الاخرة وان مرارة الدنيا حلاوة الاخرة وان عبادا ليسوا
بالمتنعمين بحق اقول لكم ان شركم على العالم يحب الدنيا ويؤثرها

في الاخرة انه لو يستطيع جعل الناس كلهم في علمه مثله وقال احمد
يحيى ابن اسحق قال اخبرني سعيد بن عبد العزيز عن مكحول
قال عيسى بن مريم يا معشر الحواريين ايكم يستطيع ان يبني على
موج البحر دارا قالوا يا روح الله ومن يقدر على ذلك قال اياكم و
الدنيا فلا تتخذوها قرارا وفي كتاب الزهد للامام احمد ان عيسى
بن مريم كان يقول بحق اقول لكم ان اكل خبز البر وشرب الماء العذب
وهاجع المزابل مع الكلاب كثير ممن يريد الخروج في تمنعه عنه
الله عليه وسلم ان اسرع شيء فناء بن ادم الدنيا وان توجد وملعنه
ينظر الى ما في الصحيفة فصل ثم اخبر سبحانه وتعالى عن
اخر بعضها بعضا ويغلبه ليعرفهم ما في صاحبه وهذا حال كل
يطلب منها شيئا للمفاخرة من مال او جاه او قوة او غير او زهد
المفاخرة نوعان مذمومة ومحمودة فالمذمومة مفاخرة اهل الدنيا
والمحمودة ان يطلب المفاخرة في الاخرة ونسبته من حيث المنافسة
مورها وهي ان الرجل ينفس على غيره بالشيء اي ان يعدوان يناله
وينفرد بالنفع من ذلك ويحمي النفر ليقال نفست عليه الشيء انفسه
نفاسة اذا ضننت به ولم تحب ان يصير اليه ونحو ذلك والتنافس تفاعل
من ذلك كان كل واحد من المتنافسين يريد ان يسبق صاحبه اليه
وحقيقة المنافسة الرغبة التامة والمبادرة والمسابقة الى الشيء النفيس
قال ثم اخبر سبحانه وتعالى عنها انها تكاثر في الاموال والاولاد
حب كل واحد يكثر بنو جنسه في ذلك ويفرح بان يرى نفسه اكثر
من غيره مالا وولدا وان ينال فيه ذلك وهذا اعظم ما يلهي النفوس
عن الله والدار الاخرة فاول ما الهاكم التكاثر حتى زرتم

المقابر والتكاثر في كل شيء فكل ما الهاه وشغله التكاثر بامر من الامور
عن الله والدار الاخرة فهو داخل في حكم هذه الاية من اي امر من يلهيه
التكاثر بالمال ومنهم من يلهيه التكاثر بالجاه وبالعلم فيجعل تكاثرا وتفاخرا
فخرا وهذا اسوء حالة ممن تكاثر بالمال والجاه فانه جعل اسباب
الاخرة للدنيا وصاحب المال والجاه استعمل اسباب الدنيا للاخرة فكانت اسبابه
فضلا ثم اخبر سبحانه عن مصير الدنيا وحقيقتها وانها بمنزلة الغيث
اعجب الكفار نباته والعجيب ان هذا اسم ان اكثر الكفار هم الكفار بالله ورسله
عرف الترجيح ذكر وبهذا النعت في كل موضع ولما اراد الزراع لنبيهم
باسم الذي يعرفونه به ذكرهم به في قوله يعجب الزراع وانما خص
الكفار به لان اعجابهم انما هو بالدنيا فانها دارهم التي لها
يعملون ويتنافسون وهم اشد اعجابا بزينتها وما فيها من المؤمنين ثم
ذكر سبحانه عاقبة هذه النبات وهي اصفراره وبسه وهذا اخر الدنيا
ومصيرها ولم يذكر بعد من اولها الى اخرها فانها تنتهي لكن اذا
كانت الاخرة انقلبت الدنيا واستحالت الى عذاب شديد او مغفرة
من الله ورضوان فهو كما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ومطلب نجح لمن
طلب بها مساجد انبياء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومتجر اولياءه
فيها اكتسبوا الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا ينعاها وقد اذنت بنيتها
ونعت نفسها واهلها فمثلت ببلائها وشوقت بسرورها الى السرور وخوفت
وتحذيرا وحذرت بما فيها فمنهم قوم غداة الندامة وحسدها اخرون
فوعظ ذكرتهم فذكروا ووعظتهم فاتعظوا فيا ايها الذام للدنيا المغتر
بغرورها متى استدمت اليك بل غرتك ابمن ازل بك وبالتراب

ام يضاجع امهاتكم في البيوت كم رأيت معورتاكم عللت بكفيك عليلاكم
مرضى بايديكم تبتغي له الشفاء وتستوصف الاطباء لم تنفعه شفاعتكم
ولم تسعفه بطلبتكم مثلت لكم الدنيا غداة مصرعه مصرعه عند مضجعه
مضجعه ثم التفت الى المقابر فقال يا اهل الغربة ويا اهل التربة
اما الدور فقد سكنت واما الاموال فقد قسمت واما الازواج فقد
نكحت فهذا خبر ما عندنا فهاتوا خبر ما عندكم ثم التفت الينا فقال
اما لو اذن لكم لاخبرتكم ان خير الزاد التقوى والدنيا بحقيقة الاسم
وانما تمدح بتوجه الذم الى فعل العبد فيها وهي قنطرة وممر الى
الجنة او النار ولكن لما غلبت عليها الشهوات والمخوفات والغفلة و
الاعراض عن الله والدار الاخرة صار هذا هو المعاني عن اهلها
وملابسها وهي الغالب على امرها صار لها اسم الذم على الاطلاق
والاخرى مبنى الاخرة ومزرعتها ومنها زاد الجنة وفيها اكتست النفوس
الايمان ومعرفة الله ومحبته وذكره والتعبد بمرضاته وخير عيش لاهل
اهل الجنة في الجنة اذا كان ما نزرعوه فيها وكل بها صحا وفصل الاولياء
الله فيها من قرة العيون وسرور القلوب وبهجة النفوس ولذة
الارواح والنعيم الذي لا يشبهه نعيم يذكره ومعرفته ومحبته و
عبادته والتوكل عليه والانابة اليه والانس به والفرح بقربه والتذلل
له ولغرة مناجاته والاقبال عليه والاشتغال به عن سواه وفيها كلامه
وتوجيهه وهداه وروحه الذي اتاه من امره فاخبر به من شاء
من عباده ولقد فضل ابن عقيل وغيره هذا على نعيم الجنة وقالوا هذا
حق الله عليهم وذاك حظهم ونعيمهم وحقه افضل من حظهم قالوا والايمان
والطاعة افضل من جزايه والتحقيق انه لا يصح التفضيل بين امرين

في دارين

في داريين مختلفين ولو امكن اجتماعهما في دار واحدة لامكن طلب
التفضيل والطاعة والايمان في هذه الدار افضل ما فيها ودخول الجنة
والنظر الى وجه الرب جل جلاله وسماع كلامه والفوز برضاه افضل ما
في الدار الاخرة ولا يصح ان يقال فاي الامرين افضل بل هذا افضل
الاسباب وهذا افضل الغايات وبالله التوفيق فصل ولما
صدر سبحانه حقيقة الدنيا وبين غايتها ونهايتها وانتقالها في الاخرة الى
عذاب شديد ومغفرة ورضوان بحسب اعمال عباده بالمسابقة والمبادرة الى ما
هو خير وابقى وان بين ذلك وبين الغاية المنقطعة المشوبة بالانكاد و
التنغيص ثم اخبر ان ذلك فضله يؤتيه من يشاء من عباده وانه ذو
الفضل العظيم وقد تقدم اضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من
السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على
كل شيء مقتدرا ثم ذكر سبحانه وتعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا وان
الباقيات الصالحات وهي الاعمال والاقوال الصالحة التي يبقى ثوابها
ويدوم جزاؤها خير ما يؤمله العبد ويرجو اثوابه وقال انما مثل
الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل
الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن
اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا
كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون ولما اخبر عن
آفات هذه الدار ودعا عباده الى دار السلام التي سلمت من التغير والانا
ستحالة والزوال والفناء دعا عباده بالدعوة التي عم بها وخص من
شاء بالهداية الى طريقها فضلا واخبر سبحانه ان الاموال والاولاد
لا تقرب الخلق اليه وانما يقربهم اليه تقوى القلوب واعمالها فيهم وحذر

وحذر سبحانه عباده ان تلهيهم اموالهم واولادهم عن ذكره واخبر ان
من فعل ذلك فهو الخاسر حقيقة لا من قل ماله وولده في الدنيا ونهى
نبيه صلى الله عليه وسلم ان يمد عينيه الى ما متع به اهل الدنيا فيها فقال ولرزق
ربك الذي اعده له في الاخرة خير وابقى من هذا الذي
متعوا به واخبر سبحانه انه اتاه السبع المثاني والقرآن العظيم وذلك خير
وافضل مما متع به اهل الدنيا في دنياهم وجعل ما اتاه ما ينافي ان يمد
عينيه الى ذلك فهو المغني في الدنيا وما ادخره له من رزق الاخرة خير
مما متع به اهل الدنيا فلا تمدن عينيك فتامل واذا عرفت ان الفقر
والبلاء والعافية فتنة وابتلاء من الله لعبده يمتحن بها صبره
وشكره علم ان الصبر والشكر مقامان للايمان لا يحل الاعلى بهما ولا بد لكل
مؤمن منهما وكل منهما في موضعه افضل فالصبر في مواطن الصبر افضل
والشكر في مواضع الشكر افضل هذا ان صح منا فرق كل منهما للاخر واما
اذا كان الصبر جزءا من الشكر والشكر جزءا من الصبر وكل منهما حقيقة
مركبة من الامرين معا كما تقدم بيانه فالتفضيل بينهما لا يصح الا اذا جرد
احدهما عن الاخر وذلك فرض ذهني يقدره الذهن لا يوجد في الخارج
ولكن يصح على وجه وهو ان العبد قد يغلب صبره على شكره الذي هو قدر
زايد على مجرد الصبر من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة فلا يبقى فيه
اتساع لغير صبر النفس على ما هو فيه لقوة الوارد وضيق المحل فتصرف
قواه كلها الى كف النفس وحبسها سرا وقد يغلب شكره بالاقوال
والاعمال الظاهرة والباطنة قوة كغير نفسه وحبسها سرا فيكون قوة
ارادته وعمله اقوى من قوة امتناعه وحبس نفسه واعتبر هذا
بشخصين احدهما حاكم على نفسه متمكن من حبسها عن الشهوات تحليل الشرعي

للمعيبات

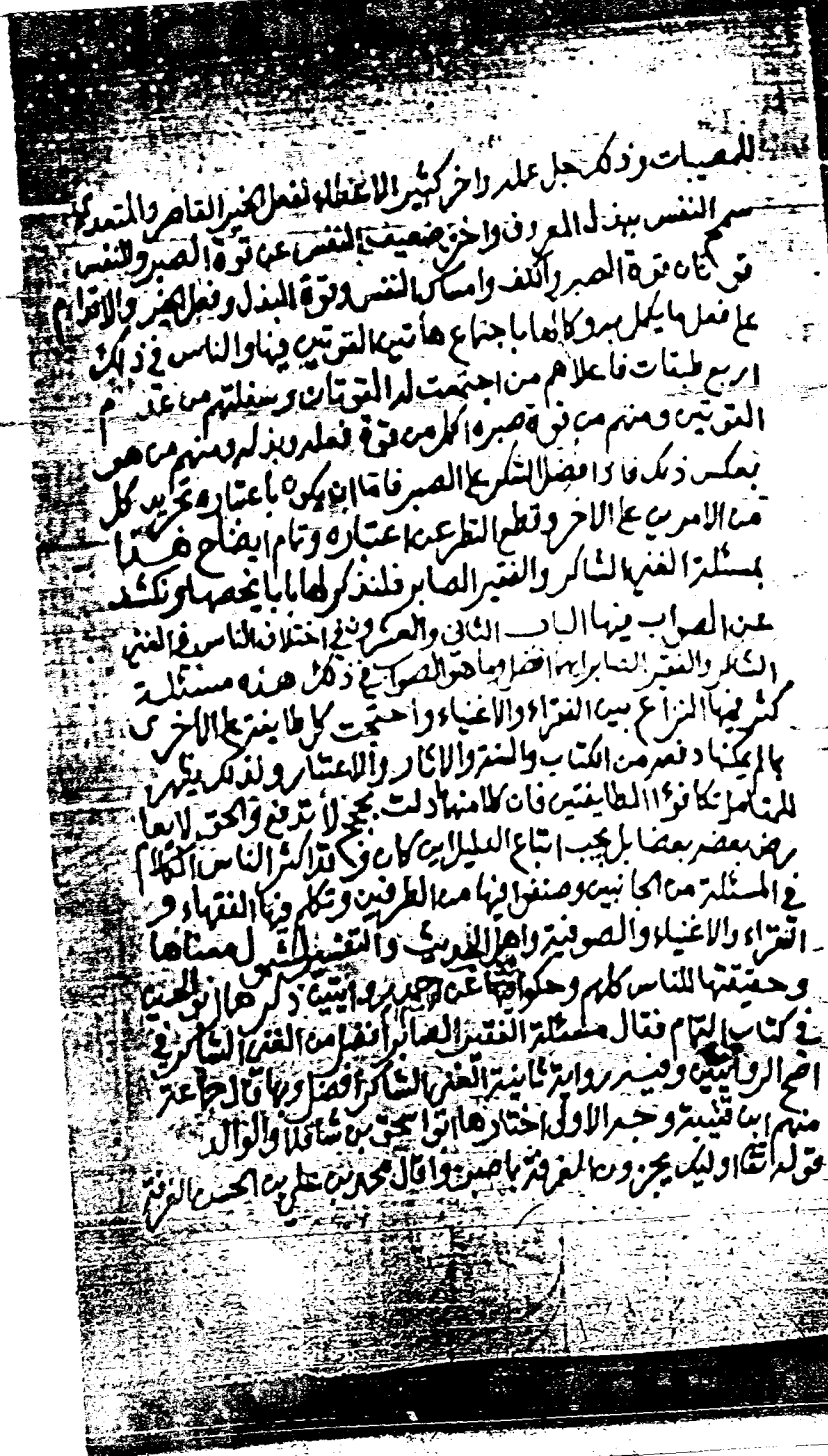

للمعيبات وذلك جعل علم الاخر كثير الاغفال لفعل الخير القاصر والمتعدي
سم النفس ببذل المعروف واخر ضعيف النفس عن قوة الصبر والنفس
قوي كثاه قوة الصبر والكف واسكان النفس وقوة البذل وفعل الخير والايثار
على فعل ما يكمل به وكلاهما باجتماع هاتين القوتين فيها والناس في ذلك
اربع طبقات فاعلاهم من اجتمعت له القوتان وسفلتهم من عدم
القوتين ومنهم من قوته صبره اكمل من قوة فعله وبذله ومنهم من هو
بعكس ذلك فاما افضل الشكر على الصبر فاما ان يكون باعتبار تجريد كل
من الامرين على الاخر وقطع النظر عن اعتباره وتمام ايضاح هذا
بمسئلة الغني الشاكر والفقير الصابر فلنذكرها ايضا بايجاز ونكشف
عن الصواب فيها الباب الثاني والعشرون في اختلاف الناس في الغني
الشاكر والفقير الصابر ايهما افضل وما هو الصواب في ذلك هذه مسئلة
كثر فيها النزاع بين الفقراء والاغنياء واحتج كل طايفة على الاخرى
بما امكنها ذكره من الكتاب والسنة والاثار والاعتبار ولنذكر ما ذكره
للمتاخرين من الطايفتين فان كلا منها دلت بحجج لا تدفع والحق لا يعدو
رضي بعضه بعضا بل يجب اتباع الدليل اين كان وقد اكثر الناس الكلام
في المسئلة من الجانبين وصنفوا فيها من الطرفين وتكلم فيها الفقهاء و
الفقراء والاغنياء والصوفية واهل الخرقة والتفسير اشكل معناها
وحقيقتها للناس كلهم وحكوا فيها عن احمد روايتين ذكرهما ابو الحسين
في كتاب التمام فقال مسئلة الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر في
اصح الروايتين وفي رواية ثانية الغني الشاكر افضل وبها قال جماعة
منهم ابن قتيبة وجزم الاولى اختارها ابن اسحق بن شاقلا والوالد
رحمه الله اولا ثم رجع عنها وقال محمد بن علي بن الحسن الفقه

ختنه بما صبروا وقال على الفقر في الدنيا وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين
يوم القيمة فقالت عائشة رضي الله عنها ولم يا رسول الله قال انهم يدخلون
الجنة قبل الاغنياء باربعين خريفا يا عائشة لا تذري المسكين ولو بشق
تمرة يا عائشة احبي المساكين وقربيهم فان الله يقربك يوم القيمة
قلت لا تجمع لي في واحدة من الحيثيتين اما الاية فان الصبر فيها
يشمل صبر الشاكر على طاعة الله وصبره عن معصيته وصبر المبتلى
بالفقر وغيره على بلائه ولو كان المراد بها الصبر على الفقر وحده لم
يدل على رجحانه على الشكر فان القرآن كما دل على جزاء الصابرين دل على
جزاء الشاكرين ايضا كما قال تعالى وسنجزي الشاكرين وسيجزي الله
الشاكرين بل قد اخبر ان رضاه في الشكر ورضاه اكبر من جزائه بكثير
وما فيها واذا جزى الله الصابرين الغرفة باصبر والم يدل ذلك على
انه لا يجزي الشاكرين الغرفة باشكر وا واما الحديث فلا حجة فيه
من وجهين احدهما انه لا يحتج باسناده فانه حديث ثابت بن محمد
العابد في عن الحارث بن النعمان والحارث هذا لم يحتج به اصحاب الصحيح
وقال فيه البخاري منكر الحديث ولذلك لم يصحح الترمذي حديثه
هذا ولا حسنه ولا سكت عنه بل حكم بغرابته الجواب الثاني ان
الحديث لو صح لم يدل على مطلوبهم فان المسكنة التي يحبها الله من عبده ليست
مسكنة فقر المال بل مسكنة القلب وهي انكساره وذله وخشوعه وتواضعه
لربه وهذه المسكنة لا تنافي الغنى ولا يشترط لها الفقر فان انكسار القلب
لله ومسكنته لعظمته وجلاله وكبريائه واسمائه وصفاته افضل واعلى
عند الله من مسكنة عدم المال كما ان صبر القادر الواجد عن معاصي الله طوعا واختيارا

وخشية

الله ومحبة له اعلى من صبر الفقير العاجز وقد اثنى الله سبحانه جماعة من
انبيائه ورسله بالغنى والملك ولم يخرجهم ذلك عن المسكنة سر قال الامام
احمد ثنا يزيد بن هارون قال انبانا الجريري عن ابي السليل قال كان داود
عليه السلام يدخل المسجد فينظر الى اعلى حلقة من بني اسرائيل فيجلس اليهم
ثم يقول مسكين بين ظهراني مساكين هذا مع ما اتاه الله من الملك والغنى
والبسطة زيادة على النبوة قال ابو الحسين وروى ابو برزة الاسلمي قال قلت
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فقراء المسلمين ليدخلون الجنة قبل اغنيائهم
بمقدار اربعين خريفا حتى يتمنى اغنياء المسلمين يوم القيمة انهم كانوا
فقراء في الدنيا قلت هذا الحديث ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم من
رواية جماعة من الصحابة منهم ابو هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر بن عبد الله
رضي الله عنهم ويروى عن ابي سعيد وانس بن مالك رضي الله عنهما ولا يدل ذلك
على علو درجتهم اذا دخلوا الجنة قبل الاغنياء بل انما يدل على السبق لعدم ما
يحاسبون عليه ولا ريب ان ولي الامر العادل يتاخر دخوله الجنة وكذلك
الغني الشاكر ولا يلزم من تاخر دخولها نزول درجتهما عن درجة الفقير
كما تقدم وانما تمنى الاغنياء انهم كانوا في الدنيا فقراء فان صحت هذه اللفظة
لم تدل على انحطاط درجتهم كما يتمنى القاضي العادل في بعض مواطن يوم
القيمة انه لم يقض بين اثنين في تمرة لما يرى من شدة الامر ومنزلة الفقر
والخمول بمنزلة السلامة ومنزلة الغنى والولاية منزلة الغنية او العطب
قال ابو الحسين وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قام
في اصحابه فقال اي الناس خير فقال بعضهم غني يصطرح ثم يغنم ويفلح
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتهم الرجل هذا وليس ببر ولكن خير
الناس موءمن فقير يعطى علما جهد قلت لم يذكر لهذا الحديث

اسنادا فتنظر فيه وحديث لا يعلم حاله لا يحتج به ولو صح لم يكن فيه دليل
لانه تضمن تفضيل فقير يتصدق من جهده فغير فقراء الصابرين وغنى
الشاكرين فقد جمع بين موجبي التفضيل وسببيه ولا ريب ان هذا افضل
الاقسام الثلاثة ودرهم الواحد يسبق مائة الف درهم من غيره كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم سبق درهم مائة الف درهم قالوا يا رسول الله فكيف
يسبق درهم مائة الف درهم قال رجل كان له درهمان فاخذ احدهما
فتصدق به رواه النسائي من حديث صفوان بن عيسى عن ابن عجلان
عن يزيد بن خالد عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه وذكر البيهقي
من حديث الثوري عن ابي علي رضي الله عنه قال جاء ثلاثة نفر الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال احدهم كانت لي مائة او نيف فتصدقت منها بعشرة
دراهم وقال الاخر كانت لي عشرة دنانير فتصدقت منها بدينار فقال
احدكم في الاجر سواء كلكم قد تصدق بعشر ماله وقال ابو سعيد بن الاعرابي
في معجمه نا ابن ابي العوام نا يزيد بن هارون نا ابو الاشهب عن الحسن قال قال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذهبت باصحاب الاموال بالكثير
يتصدقون وتعتقون ويحجون وتنفقون فقال عثمان رضي الله عنه وانكم لتغبطونا
قال انا لنغبطكم قال فوالله لدرهم ينفقه احدهم احب اليه من عشرة
الاف درهم غيض من فيض وفي سنن ابي داود من حديث الليث عن
ابي الزبير عن يحيى بن جعدة عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال يا
رسول الله اي الصدقة افضل قال جهد المقل وابدا بمن تعول وفي المسند
والصحيح لابن حبان من حديث ابي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله
اي الصدقة افضل قال جهد من مقل وفي سنن النسائي
من حديث الاوزاعي عن عبيد بن عمير عن عبد الله بن حبيش

رضي الله عنه

رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي الاعمال افضل قال ايمان
لا شك فيه وجهاد لا غلول فيه وحجة مبرورة قيل فاي الصلوة افضل قال
طول القيام قيل فاي الصدقة افضل قال جهد من مقل قيل فاي الهجرة
افضل قال من هجر ما حرم الله عليه قيل فاي الجهاد افضل قال من عقر
جواده وهرق دمه وعقر جواده وهذه الاحاديث كلها تدل على ان صدقة جهد
المقل افضل من صدقة كثير المال بعض ماله الذي لا يتبين اثر نقصه
عليه وان كان كثيرا والاعمال عند الله تتفاضل بتفاضل ما في القلوب
لا بكثرتها وصورها بل بقوة الداعي وصدق الفاعل واخلاصه وايثاره
الله على نفسه فاين صدقة من اثر الله على نفسه بريغيف هو قوته الى صدقة
من اخرج مائة الف درهم من بعض ماله عن فيض من فيض فريغيف هذا
ودرهم في الميزان اثقل من مائة الف هذا وبالله المستعان فصل
واحتج ابار واه ابن عدي من حديث سليمان بن عبد الرحمن نا خالد بن
يزيد عن ابيه عن عطاء سمع ابا سعيد الخدري يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا وهذا الحديث
لا يصح فان خالد بن يزيد هذا هو خالد بن يزيد بن عبد الرحمن ابي مالك
الدمشقي اجمعوا على ضعفه وعدم الاحتجاج بحديثه قال احمد ليس شيئا
وقال ابن معين واه وسبه يحيى الى الكذب وقد تقدم الكلام فيه وقد
سئل شيخ الاسلام ابن تيمية عن هذه المسئلة فقال قد تنازع كثير من
المتاخرين في الغني الشاكر والفقير الصابر ايهما افضل فرجح هذا طائفة
من العلماء والعباد ورجح هذا طائفة اخرى من العلماء والعباد

سئل عن الامام احمد في ذلك روايتان واما الصحابة والتابعون فلم
يكن عنهم تفضيل احد الصنفين على الاخر وقد قالت طايفة من اصحابه
تفضيل احدهما على الاخر فضيلة الاباالتقوى فايهما كان اعظم ايمانا وتقوى
كان افضل فان استويا في ذلك استويا في الفضيلة قال وهذا اصح
لان نصوص الكتاب والسنة انما تفضل بالايمان والتقوى وقد
يكون غنيا او فقيرا فاما اولياء الله فقد كانوا في الانبياء والسابقين
من الاغنياء من هو افضل من اكثر الفقراء وكان فيهم من الفقراء
من هو افضل من اكثر الاغنياء والكاملون يقومون بالمقامين
يصبرون بالشكر والصبر على التمام كما ان نبينا صلى الله عليه وسلم وحال
عمر وعمر رضي الله عنهما وان كان قد يكون لبعض الناس انفع والغنى
في حقه انفع كما تكون الصحة لبعضهم انفع والمرض لبعضهم انفع كما في
الحديث الذي رواه البغوي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي
عن ربه تبارك وتعالى ان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته
لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده
وان من عبادي من لا يصلحه الا الصحة ولو اسقمته لافسده
وان من عبادي من لا يصلحه الا السقم ولو صححته لافسده ذلك
اني ادبر عبادي اني خبير بصير وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل الاغنياء وفي الحديث
لما علم الفقراء الذكر عقب الصلوات سمع الاغنياء بذلك فقالوا
فقالوا فذكر ذلك الفقراء للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ذلك

فضل الله

فضل الله يؤتيه من يشاء فالفقراء يتقدمون في دخول الجنة لخفة
الحساب عليهم والاغنياء يؤخرون لاجل الحساب ثم اذا هو بسبب احدهم
فان كانت حسناته اعظم من حسنات الفقير كانت درجته في الجنة
فوق درجته وان تاخر فيها دخل كما ان السبعين الفا الذين يدخلون الجنة
بغير حساب ومنهم عكاشة بن محصن رضي الله عنه قد يدخل الجنة
بحساب من يكون افضل من احدهم في الدرجات لكن اولئك يستريحون
من تعب الحساب فهذا في الفقراء المذكورين في الكتاب والسنة
هو الفقير الذي لا يجب اخذ الزكوة او الذي لا يجب الزكوة
صار في اصطلاح كثير من الناس الفقر عبارة عن الزهد والعبادة
والاخلاص وسمون من اتصف بذلك فقيرا وان كان ذا مال ومن لم
يتصف بذلك قالوا ليس بفقير وان لم يكن له مال وقد يسمون هذا الغنى
تصوفا ومن الناس من يفرق بين مسمى الفقير والصوفي ثم من هؤلاء
من يجعل مسمى الفقير افضل ومنهم من يجعل مسمى الصوفي افضل وهذا
والتحقيق في هذا الباب انه لا ينظر الى الالفاظ المحدثة بل ينظر الى
ما جاء به الكتاب والسنة من الاسماء والمعاني واسم قد جعل الايمان
الايمان والتقوى فمن كان نصيبه من ذلك اعظم كان افضل والاعتبار
بما سوى ذلك الباب الثالث والعشرون في ذكر ما احتج به الفقراء من
الكتاب والسنة والاعتبار والآثار قالت الفقراء قد ذكر الله سبحانه وتعالى
الغنى والمال في القرآن الاعلى احد وجوه الاول على وجه الذم كقوله تعالى
كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقوله تعالى ولو بسط الله
الرزق لعباده لبغوا في الارض وقوله ولولا ان يكون الناس امة

واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها
يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك
لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وقال تعالى فلا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم
وهم كافرون وقال تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا وقال تعالى زين
للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة الاية ونظائر ذلك كثير الوجه الثاني يذكره على وجه
الابتلاء والامتحان كما قال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى نحسبهم
انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال
مخبرا عن ابتلاء ربه بالغنى كما ابتلى بالفقر فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه
فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن وقال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة
والينا ترجعون الوجه الثالث اخباره ان الاموال والاولاد لا تقرب
اليه شيئا وانما يقرب اليه الايمان والعمل الصالح كقوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف
بما عملوا وهم في الغرفات امنون الوجه الرابع اخباره ان الدنيا والغنى
والمال انما جعلها الله متعة لمن لا نصيب له في الاخرة وان الاخرة جعلها
للمتقين فقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة
الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال تعالى ويوم يعرض
الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها
والى هذا اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لعمار ما ترضى ان تكون
لهم الدنيا ولنا الاخرة وجاء في الحديث الوجه الخامس انه سبحانه

لم يذكر

لم يذكر المترفين واصحاب الثروة الا بالذم كقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك
مترفين وقوله واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها
وقوله تعالى لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون
الوجه السادس انه سبحانه ذم محب المال فقال وتاكلون التراث
اكلا لما وتحبون المال حبا جما فذمهم بحب المال وغيرهم به الوجه
السابع انه سبحانه ذم متمني الدنيا والغنى والسعة فيها واذا ذكر
حظا عظيما ومدح من انكر عليهم وخالفهم فقال تعالى عن اغنيا اهل
زمانه فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا
ياليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين
اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها
الا الصابرون فاخبروا ان ما عند الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا
يلقى هذه الوصية وهذه الكلمة التي تكلم بها الذين اوتوا العلم والحكمة
والحكمة التي دل عليها قوله ثواب الله خير والسيرة والطريقة التي دل
عليها قوله ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا وعلى كل حال فلا يلقى
ذلك الا الصابرون على الفقر وعن الدنيا وشهواتها وما اترف فيه
الاغنياء وقد شهد الله سبحانه لهم بانهم من اهل العلم دون الذين
تمنوا الدنيا وزينتها الوجه الثامن انه سبحانه انكر على من ظن
ان التفضيل يكون بالمال الذي يحتاج اليه لاقامة الملك فكيف
بما هو زيادة وفضله فقال تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم
طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه
ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم

واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها
يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك
لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وقال تعالى فلا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم
وهم كافرون وقال تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا وقال تعالى زين
للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة الاية ونظائر ذلك كثير الوجه الثاني يذكره على وجه
الابتلاء والامتحان كما قال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى نبلوهم
انا نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال
مخبرا عن ابتلائه بالغنى كما ابتلى بالفقر فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه
فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن وقال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة
والينا ترجعون الوجه الثالث اخباره ان الاموال والاولاد لا يقربون
اليه شيئا وانما يقرب اليه الايمان والعمل الصالح كقوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف
بما عملوا وهم في الغرفات امنون الوجه الرابع اخباره ان الدنيا والغنى
والمال انما جعلها اسر متعة لمن لا نصيب له في الاخرة وان الاخرة جعلها
للمتقين فقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة
الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال تعالى ويوم يعرض
الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها
والى هذا اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لعمر اما ترضى ان تكون
لهم الدنيا ولنا الاخرة وفي الحديث الوجه الخامس انه سبحانه

لم يذكر

لم يذكر المترفين واصحاب الثروة الا بالذم كقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك
مترفين وقوله واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها
وقوله تعالى لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون
الوجه السادس انه سبحانه ذم محب المال فقال وتاكلون التراث
اكلا لما وتحبون المال حبا جما فذمهم بحب المال وغيرهم به الوجه
السابع انه سبحانه ذم متمني الدنيا والغنى والسعة فيها واذا ذكر
حظا عظيما ومدح من انكر عليهم وخالفهم فقال تعالى عن اغنيا اهل
زمانه فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا
ياليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين
اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها
الا الصابرون فاخبروا ان ما عند الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا
يلقى هذه الوصية وهي الكلمة التي تعلم بها الذين اوتوا العلم والمثوبة
والجنة التي دل عليها قوله ثواب الله خير او السيرة والطريقة التي دل
عليها قوله ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا وعلى كل حال فلا يلقى
ذلك الا الصابرون على الفقر وعن الدنيا وشهواتها وما اترف فيه
الاغنيا وقد شهد الله سبحانه لهم بانهم من اهل العلم دون الذين
تمنوا الدنيا وزينتها الوجه الثامن انه سبحانه انكر على من ظن
ان التفضيل يكون بالمال الذي يحتاج اليه لاقامة الملك فكيف
بما هو زيادة وفضله فقال تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم
طالوت ملكا قالوا ان يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه
ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم

وزاده بسطة في العلم والجسم فرد الله تعالى قولهم واخبر ان الفضل ليس
بالمال كما توهموا ان الفضل بالعلم ليس بالمال وقال تعالى قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ففضله ورحمته الايمان
والعلم والقرآن والذي يجمعونه هو المال واسبابه ومثل قوله تعالى هم
يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا
بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك
خير مما يجمعون الوجه التاسع انه سبحانه اخبر ان التكاثر في جمع
المال وغيره الهى الناس واشغلهم عن الآخرة والاستعداد لها وتوعدهم
على ذلك فقال تعالى الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون
ثم كلا سوف تعلمون فاخبر سبحانه ان التكاثر شغل اهل الدنيا والهاهم
عن الله والدار الآخرة حتى حضرهم الموت فزاروا المقابر ولم يفيقوا
من رقدة ما الهاهم التكاثر وجعل الغاية زيارة المقابر دون الموت
اي انا بانهم غير مستوطنين ولا مستقرين في القبور وانهم فيها بمنزلة الزائرين
يحضرونها مدة ثم يظعنون عنها كما كانوا في الدنيا كذلك زائرين
لها غير مستقرين فيها ودار القرار هي الجنة او النار ولم يعين سبحانه
التكاثر به بل ترك ذكره اما لان المذموم هو نفس التكاثر بالشيء لا التكاثر
به كما يقال شغلك اللعب واللهو ولم يعين لهم ما تلعب به ويلهو به واما
ارادة الاطلاق وهو كل ما يكاثر به العبد وغيره من اسباب الدنيا
من مال او جاه او عبد او ماء او اناء او غراس او علم لا يبتغى به
وجه الله او عمل لا يتقرب به الى الله فكل هذا من التكاثر الملهي عن الله
والدار الآخرة وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن الشخير انه

قال

قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ الهاكم التكاثر قال يقول
ابن ادم مالي مالي وهل لك يا ابن ادم الا ما تصدقت فابقيت او اكلت فافنيت او
لبست فابليت ثم او عد سبحانه من الهاه التكاثر وهو
وعيد امور كذا اذا عاين تكاثره هباء منثورا وعلم ان دنياه التي كان
يكاثر بها انما كانت خدعا وغرورا فرجد عاقبة تكاثر عليه لا له
وخسرها فذكر تكاثره كاخسر امثاله وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب
وصار تكاثره الذي شغله عن الله والدار الآخرة من اعظم اسباب
عذابه فعذب بتكاثره في دنياه ثم عذب به في البرزخ ثم يعذب
به يوم القيمة فكان اشقر الخلق بتكاثره اذ افاد منه العطب دون
الغنيمة والسلامة فلم يقترن من تكاثره الا باب صار من الاقلين ولم
يحظ من علوه به في الدنيا الا باب حصر مع الاسفلين فيا لله تكاثرا ما
اقله ووزرا ما احمله وغنى حالبا لكل فقر وخيرا يتصل به الكل شر
يقول صاحبه اذا انكشف عنه غطاؤه يا ليتني قدمت لحياتي وعملت
فيه بطاعة الله قبل وفاتي رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت
كلا انها كلمة هو قايلها تلك كلمة يقولها فلا يعول عليها ورجعة
يسالها فلا يجاب اليها وتامل قوله او لا رب استغاث بربه فقيل
الى الملائكة الذين امروا باحضاره الى بين يدي ربه تبارك وتعالى
فقال ارجعون ثم ذكر سبب سوال الرجعة وهو ان يستقبل
العمل الصالح فيما ترك خلفه من ماله وجاهه وسلطانه وقوى بدنه
واسبابه فيقال له كلا اي سبيل لك الى الرجعة وقد عمرتك ما يتذكر
فيه من تذكر ولما كان شان الكريم الرحيم ان يجيب من استقاله

وان يفسح له في المهلة ليتدارك ما فاته اخبر سبحانه ان سوال هذا
الفرط الرجعة كلمة هو قايلها لا حقيقة تحتها وان سجيته وطبيعته
تابى ان تعمل صالحا لو اجيب وانه ذلك شيئ يقوله بلسانه وانه
لو رد لعاد لما نهي عنه وانه من الكاذبين فحكمة احكم الحاكمين وعزته
وعلمه وحمده تابى اجابته الى ما سال فانه لا فايدة في ذلك ولو
رد لكانت حالته الثانية مثل حالته الاولى كما قال تعالى ولو ترى اذ
وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون
من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقد حام اكثر المفسرين حول معنى
هذه الاية وما وردوا فراجع اقوالهم تجدها لا تشفي عليلا ولا تروي
غليلا ومعناها اجل واعظم مما فسروها به ولم يتفطنوا لوجه الاضراب
ببل وهو ان الامر الذي بدا لهم وكانوا يخفونه وظنوا ان الذي بدا لهم
العذاب فلما لم يروا ذلك ملتئما مع قوله ما كانوا يخفون من قبل قدروا
مضافا محذوفا وهو جزاء اخبر ما كانوا يخفون من قبل فدخل عليهم امر
اخر لا جواب لهم عنه وهو ان القوم لم يكونوا يخفون شركهم وكفرهم
بل كانوا يظهرونه ويدعون اليه ولما علموا ان هذا وارد عليهم قالوا
ان القوم في بعض مواردهم القيمة ومواطنها اخفوا شركهم وجحدوه
وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فلما وقفوا على النار بدا لهم جزاء ذلك
الذي اخفوه قال الواحدي وعلى هذا اهل التفسير ولم يمنع الرباب
هذا القول شيئا فان السياق والاضراب بل والاخبار عنهم بانهم لو ردوا
لعادوا مشركين لا يلتئم بهذا الذي ذكره فتامله وقالت طايفة
منهم الزجاج بل بدا للاتباع ما اخفاه عنهم الروساء من امر البعث و
هذا التفسير يحتاج الى تفسير وفيه من التكلف ما ليس بخاف

واجود

واجود من هذا ما فهمه البرجمني الاية قال كان كفرهم لم يكن بادیا لهم اذ
خفيت عليهم مضرته ومعنى كلامه انهم لما خفيت عليهم عاقبته وبالله
فكانه كان خفيا عنهم لم تظهر لهم حقيقته فلما عاينوا العذاب ظهرت لهم
حقيقته وشره قال وهذا كما يقول لمن كنت حذرته امرا قبل
ظهوره لك الان ما كنت قلت لك وقد كان ظاهرا له قبل هذا ولا يسهل
ان يعبر عن كفرهم وشركهم الذي كانوا ينادون به على رءوس الاشهاد
ويدعون اليه كل حاضر وباد بانهم كانوا يخفونه لخفاء عاقبته عنهم و
لا ينال لمن اظهر الظلم والفساد وقتل النفس والسعي في الارض بالفساد
انه اخفى ذلك لجهله بسوء عاقبته وخفايها عليه ومعنى الاية والله
اعلم بالمراد من كلامه ان هؤلاء المشركين لما وقفوا على النار وعاينوها و
علموا انهم داخلوها تمنوا انهم يردون الى الدنيا فيؤمنوا بما اسروا به
ولا يكذبوا رسله فاخبر تعالى ان الامر ليس كذلك وانهم ليسوا في طبا
يعهم وسجاياهم الايمان بل سجيتهم الكفر والشرك والتكذيب وانهم لو
ردوا لعادوا لما كانوا بعد الرد كما كانوا قبله واخبر انهم كاذبون في زعمهم
انهم لو ردوا لامنوا وصدقوا فاذا تقرر مقصود الاية ومرادها
تبين لك معنى الاضراب بل وتبين معنى الذي بدا لهم والذي كانوا يخفونه
واكمل لهم على قولهم يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا فالقوم كانوا
يعلمون في الدنيا انهم على باطل وان الرسل صدقوهم وقد بلغوهم عن الله
وتيقنوا ذلك وتحققوه ولكنهم اخفوه ولم يظهروه بينهم بل تواصوا
بكتمانه فلم يكن الحامل لهم على تمني الرجوع والايمان معرفتهم بالحق ولا
يعرفونه لمن صدق الرسل فانهم كانوا يعرفون ذلك ويخفون سره

وظهر لهم يوم القيمة كانوا ينظرون عليه من علمهم انهم على الباطل وامر
الرسل على الحق فعاينوا ذلك عيانا بعد ان كانوا يكتمونه ويخفونه فلو
ردوا لما سمحت نفوسهم بالايمان ولعادوا الى الكفر والتكذيب فانهم
لم يتمنوا الايمان لعلمهم بوجه ما انه هو الحق وان الشرك هو الباطل وانما
تمنوه لما عاينوا العذاب الذي لا طاقة لهم باحتماله وهذا لكن كان يخفى
محبته تخص لمعاشرته وهو يعلم ان حبر باطل وان الرشد في عدوله
عنه فقيل لبران اطلع عليك وليبر عاتبك وهو يعلم ذلك ويكابر في
يقول بل محبته ومعاشرته هي الصواب فلما اخذه وليبر ليعاقبه على ذلك
وتيقن العقوبة تمنى ان يعفو عنه العفو بتراند لا يجتمع بربه بعد ذلك
وفي قلبه من محبته والحرص على معاشرته ما يحمله على العاودة بعد معاينة
العقوبة بل بعد ان مسته وانهكته فظهر له عند العقوبة ما كان يخفى
من معرفته بخطاياه وصواب من نهاه عنه ولو رد لعاد لما نهى عنه
وتامل مطابقة الاضراب لهذا المعنى وهو نظير قولهم انا لو تردد نا
لامنا وصدقنا لانه ظهر لنا الان ان ما قالت الرسل هو الحق اي ليس
كذلك بل كنتم تعلمون ذلك وتعرفونه وكنتم تخفونه فلم يظهر لكم شيء
لكم شيء لم تكونوا عالمين به لتعذروا بل ظهر لكم ما كان معلوما لكم وكنتم
تتواصون باخفائه وكتمانه والامر اعلم ولا استطل هذا الفصل المعترض
في اثناء هذه المسئلة فلعله اهم منها وانفع وبالله التوفيق فلنرجع
الى تمام الكلام فيها وقوله كلا لو تعلمون علم اليقين جواب محذوف
دل عليه ما تقدم اي لما الهاكم التكاثر وانما وجد هذا التكاثر منكم
والهاوه عما هو اولى لما فقد منكم علم اليقين وهو العلم الذي

يحصل بصاحبه

بصاحبه الى حد الضروريات التي لا يشك فيها ولا يمارى في صحتها او بشيء منها
ولو وصلت حقيقة هذا العلم الى القلب وباشرته لما الهاه عن جميع
وترتب اثره عليه فان مجرد العلم بقبح الشيء وسوء عاقبته قد لا يكون فيه
فاذا صار العلم علم اليقين كان اقتضاء هذا العلم لتركه اشد فاذا صار عين
اليقين لحملة الشاهدات كان تخلف موجبه عنه من اندر شيء وفي هذا
المعنى قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في اهل بدر

سريتم سارعوا الى بدر لجيهم لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

وقوله كلا سوف تعلمون قيل هو تاكيد لحصول العلم كقوله كلا سيعلمون ثم
وقيل ليس بتاكيد بل العلم الاول عند المعاينة ونزول العذاب والعلم الثاني
في القبر هذا قول الحسن ومقاتل ورواه عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما
ويدل على صحة هذا القول عدة اوجه احدها ان الناية الحديدة
والتاسيس هو الاصل وقد امكن اعتباره مع مما ثلة اليقين وجلالة الامر
وعدم الاخلال بالفصاحة الثاني توسط ثم بين العلمين وهو موذن
بتراخي ما بين المرتبتين زمانا وخطرا الثالث ان هذا القول مطابق
للواقع فان المحتضر يعلم عند المعاينة حقيقة ما كان عليه ثم يعلم في
القبر وما بعده ذلك علما هو فوق العلم الاول الرابع ما روي عن علي بن ابي
طالب وغيره من السلف رضي الله عنهم فهموا من الاية عذاب القبر قال
التهذيب ثنا ابن حميد ثنا حكام بن سليم الرازي عن عنبسة بن عبد الرحمن عن محمد بن ابي
قيس عن الحجاج بن المنهال بن عمر و عن زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال
ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت الهاكم التكاثر الواحدي
يعني ان معنى قوله ثم كلا سوف تعلمون في القبر المخاصمتي ان هذا

وظهر لهم يوم القيمة كانوا ينظرون عليه من علمهم انهم على الباطل وان
الرسل على الحق فعاينوا ذلك عيانا بعد ان كانوا يكتمونه ويخفونه فلو
ردوا لما سمحت نفوسهم بالايمان ولعادوا الى الكفر والتكذيب فانهم
لم يتمنوا الايمان لعلمهم بوجه ما انه هو الحق وان الشرك هو الباطل وانما
تمنوه لما عاينوا العذاب الذي لا طاقة لهم باحتماله وهذا لكن كان يخفى
محبته تخص لمعاشرته وهو يعلم ان خبر باطل وان الرشد في عدوله
عنه فقيل لبران اطلع عليك وليرعاقبك وهو يعلم ذلك ويكابر في
يقول بل محبته ومعاشرته هي الصواب فلما اخذه وليرليعاقبه على ذلك
وتبين العقوبة تمنى ان يعض معها العقوبة وانه لا يجتمع بربعد ذلك
وفي قلبه من محبته والحرص على معاشرته ما يحمله على العاودة بعد معاينة
العقوبة بل بعد ان مسته وانهكته فظهر له عند العقوبة ما كان يخفى
من معرفته بخطائه وصواب من نهاه عنه ولو رد لعاد لما نهى عنه
وتامل مطابقة الاضراب لهذا المعنى وهو نظير قولهم انا لو تردد نا
لاما وصدقنا لانه ظهر لنا الان ان ما قالت الرسل هو الحق اي ليس
كذلك بل كنتم تعلمون ذلك وتعرفونه وكنتم تخفونه فلم يظهر لكم شيء
لكم شيء لم تكونوا عالمين به لتعذروا بل ظهر لكم ما كان معلوما لكم وكنتم
تتواصون باخفائه وكتمانه والامر اعلم ولا استطل هذا الفصل المعترض
في اثناء هذه المسئلة فلعلها مما انفعوا به التوفيق فلنرجع
الى تمام الكلام فيها وقوله كلا لو تعلمون علم اليقين جواب محذوف
دل عليه ما تقدم اي لما الهاكم التكاثر وانما وجد هذا التكاثر
والهاوه عما هو اولى لما فقد منكم علم اليقين وهو العلم الذي

يحصل بصاحبه

بصاحبه الى حد الضرورات التي لا يشك فيها ولا يمارى في صحتها او بشيء منها
ولو وصلت حقيقة هذا العلم الى القلب وباشرته لما الهاه عن جميع
وترتب اثره عليه فان مجرد العلم بقبح الشيء وسوء عاقبته قد لا يكفي في تركه
فاذا صار العلم علم اليقين كان اقتضاء هذا العلم لتركه اشد فاذا صار عين
اليقين لحملة الشاهدات كان تخلف موجبه عنه من اندر شيء وفي هذا
المعنى قال الحسن بن ثابت رضي الله عنه في اهل بدر

سرنا وساروا الى بدر لحينهم لو يعلم البيض ما ساروا

وقوله كلا سوف تعلمون قيل هو تاكيد لحصول العلم كقولك لمن لا يسلم ان
وقيل ليس تاكيدا بل العلم الاول عند المعاينة ونزول الموت والعلم الثاني
في القبر هذا قول الحسن ومقاتل ورواه عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما
ويدل على صحة هذا القول عدة اوجه احدها ان الناية الحديدة
والتاسيس هو الاصل وقد امكن اعتباره مع مما مدا اليقين وجلالة الامر
وعدم الاخلال بالفصاحة الثاني توسط ثم بين العلمين وهو موذن
بتراخي ما بين المرتبتين زمانا وخطر الثالث ان هذا القول مطابق
للواقع فان المحتضر يعلم عند المعاينة حقيقة ما كان عليه ثم يعلم في
القبر وما بعده ذلك علما هو فوق العلم الاول الرابع ان عليا ابن ابي
طالب وغيره من السلف رضي الله عنهم فهموا من الاية عذاب القبر قال
التهذيب ثنا ابن حميد ثنا حكام بن سليم الرازي عن عنبسة بن عبد الرحمن عن محمد بن ابي
قيس عن الحجاج بن المنهال بن عمر و عن زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال
ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت الهاكم التكاثر الواحدي
يعني ان معنى قوله ثم كلا سوف تعلمون في القبر الخامس ان هذا

مطابق لما بعده من قوله لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين فهذه الرؤية
الثانية غير الاولى وليست تاكيدا لتغليا للرؤية الاولى والفرق بين الرؤية
الاولى والثانية من وجهين اطلاق الاولى وتقييد الثانية بعين اليقين
وتقدم الاولى وتراخي الثانية عنها ثم ختم السورة بالاخبار المؤكد بواو
القسم ولام التوكيد والنون الثقيلة عن سوال النعيم فكل احد يسئل
عن نعيم الذي كان فيه في الدنيا هل نال من حلو ومجهد ام لا فاذا
تخلص من هذا السوال سئل عن سوال الاخر هل شكر الله تعالى عليه فلم
يبطل طاعته ام لا فالاول سوال عن سبب استحقاق الجزاء والثاني عن محل
صرفه كما في جامع الترمذي من حديث عطاء ابن ابي رباح عن ابن
عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما ابن ادم
يوم القيمة من عند ربه حتى يسال عن خمس عن عمره فيما افناه وعن شبابه
فيما ابلاه ومالهم من اين كسبه وفيما انفقه وما عمل فيما علم وفيه ايضا
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول
قدما عبد يوم القيمة حتى يسال عن عمره فيما افناه وعن علمه ما عمل فيه
وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيما ابلاه وقال هذا حديث
صحيح وفيه ايضا من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اول ما يسال عنه يوم القيمة يعني العبد من النعيم ان
يقال له الم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد وفيه ايضا من حديث
الزبير بن العوام رضي الله عنه قال لما نزلت ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم
قال الزبير يا رسول الله صلى الله عليك وسلم اي النعيم نسال عنه وانما هو
الاسودان التمر والماء قال اما انه سيكون قال هذا حديث حسن وعن
ابي هريرة نحوه وقال انما هما الاسودان والعدو حاضر وسيوفنا على
عواتقنا قال ان ذلك سيكون وقوله ان ذلك سيكون اما ان يكون المراد

ان النعيم

ان النعيم سيكون ويحدث لكم واما ان يرجع الى السوال اي ان السوال يقع
عن ذلك وان كان تمرا وماء فانهم من النعيم ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح وقد اكلوا معه رطبا ولما وشربوا من الماء البارد هذا
من النعيم الذي يسالون عنه يوم القيمة فهذا السوال عن شكره و
القيام بحقه وفي الترمذي من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يجاء بالعبد يوم القيمة كانه بذخ فيوقف بين يدي الله فيقول الله
اعطيتك وخولتك وانعمت عليك فماذا صنعت فيقول يا رب جمعته
وثمرته وثرته اكثر ما كان فارجعني انك به فاذا عبد لم يقدم خيرا فيمضي
به الى النار وفيه من حديث ابي هريرة رضي الله عنها قالا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوتى بالعبد يوم القيمة فيقول الله له الم اجعل لك سمعا
وبصرا وما لا وولدا وسخرت لك الانعام والحرث وتركتك ترأس وتربع
فكنت تظن انك ملاقي يومك هذا فيقول لا فيقول له اليوم انساك كما
نسيتني قال هذا حديث صحيح وقد زعم طائفة من المفسرين ان هذا الخطاب
خاص بالكفار وهم المسؤولون عن النعيم وذكروا ذلك عن الحسن ومقاتل
واختاروا لحديث ذلك واحتج بحديث ابي بكر رضي الله عنه لما نزلت
هذه الاية قال يا رسول الله ايرادت الكلة الكلة معك في بيت ابي الهيثم
بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر قد ذنبنا وما عذب نتخوف علينا
ان يكون هذا من النعيم الذي يسال عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما ذلك للكافر ثم قرا وهل نجازي الا الكفور وقال الواحدي
والظاهر شهد لهذا القول لان السورة كلها خطاب للمشركين
وتهديدهم والمعنى ايضا يشهد لهذا وهو ان الكفار لم يؤدوا حق
النعيم عليهم حيث اشركوا به وعبدوا غيره فاستحقوا ان يسالوا عما

عليهم توبيخا لهم هل قاموا بالواجب فيما ضيعوا حق النعمة ثم يعذبون
على ترك الشكر بتوحيد المنعم قال وهذا معنى قول مقاتل وهو نزل لكم
قال لا يسأل عن النعيم الا اهل النار قلت ليس في اللفظ ولا في السنة
الصحيحة ولا في ادلة العقل ما يقتضي اختصاص الخطاب بالكفار بل ظا
هر اللفظ وصريح السنة والاعتبار يدل على عموم الخطاب لكل من اتصف
بالهاء التكاثر فلا وجه لتخصيص الخطاب ببعض المتصفين بذلك
ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم عند قراءة هذه السورة
يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست
فابليت او تصدقت فامضيت وهو في صحيح مسلم وقد يكون مسلما وقد يكون كافرا ويدل ايضا
ايضا الاحاديث التي تقدمت وسوال الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم وفهمهم
العموم حتى قالوا له وانا نعيم نسال عنه وانما الاسودان فلو كان الخطاب
مختصا بالكفار لبين لهم ذلك وقال مالكم ولها انما هي للكفار فالصحابة لفهمهم
النعيم والاحاديث صريحة في التعميم والذي انزل القران عليه افهمهم عن الله
العموم واما حديث ابي بكر الذي احتج به ارباب هذا القول الحديث لا
يصح والحديث الصحيح في تلك القصة يشهد ببطلانه ونحن نتوقف بلفظ في
صحيح مسلم عن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
او ليلة فاذا هو بابي بكر وعمر فقال ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة
قالوا الجوع يا رسول الله قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني الذي اخرجكما
قوموا فقاموا معه فاتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما راته
امراته قالت مرحبا واهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم واين فلان
قالت ذهب يستعذب لنا من الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما احد اليوم اكرم اضيافا
مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه تمر وبسر ورطب فقال كلوا من هذا
وتوا خذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب

فذبح

فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما ان شبعوا
ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر والذي نفسي بيده
لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيمة اخرجكم الجوع من بيوتكم ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم فهذا الحديث الصحيح صريح في
تعميم الخطاب وانه غير مختص بالكفار وايضا فالواقع يشهد بعدم
اختصاصه وان الهاء بالتكاثر واقع من المسلمين كثيرا بل اكثرهم قد
الهاه التكاثر وخطاب القران عام لمن بلغه وان كان اول من دخل
فيه المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو متناول لمن بعدهم
هذا معلوم بضرورة العقل والدين وان نازع فيه من لا يعتد بقوله من المتاخرين
فنحن اليوم ومن قبلنا ومن بعدنا داخلون تحت قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا كتب عليكم الصيام ونظايره كما دخل تحت الصحابة بالضرورة الملوك
من الذين قتلوا العالم التكاثر خطاب لكل من اتصف بهذا الوصف وهم
في الالهاء والتكاثر ولهذا لم يخطروا في الوعيد المذكور ركون الهاء قيل
هذا هو الذي اوجب لارباب هذا القول تخصيصه بالكفار لانهم
يمكنهم حمله على العموم وادراك ان الكفار احق بالوعيد فخصوه به وجواب
هذا ان الخطاب للانسان من حيث هو اشارة على طريقة القران
في تناول الذم له من حيث هو انسان كقوله وكان الانسان كفورا وكان
الانسان قتورا ان الانسان لربه لكنود وخلق الانسان ضعيفا ان الانسان ليطغى
جهول الانسان لكفور ونظايره كثير فالانسان من حيث هو محل
عن كل خير من العلم النافع والعمل الصالح وانما هو سجاياه هو الذي يكمل
بذلك ويعطيه اياه وليس لاحد ذلك من نفسه بل الخير كله من عند الله
الجهل المضاد للعلم والظلم المضاد للعدل وكل علم وعدل وخير فيه

من ربه لامن نفسه فالهاء التكاثر طبيعة العبد وسجيته التي هي لمن
بنفسه والاخروج لمن عن ذلك الابتزكية الله له وجعلهم يدا للاخرة موثرا
لها على التكاثر بالدنيا فان اعطاه ذلك والا نهى ملتبسا بالتكاثر في الدنيا
ولا بد واما احتجاجه بالوعيد على اختصاص الخطاب بالكفار فيقال
الوعيد المذكور مشترك وهو العلم بمعاينة الاخرة وهذا امر يحصل
لكل احد لم يكن حاصلا له في الدنيا وليس في قوله سوف تعلمون ما
يقتضي دخول النار فضلا عن التخليد فيها وكذلك رؤية الجحيم لا يستلزم
دخولها لكل من رآها فان اهل الموقف يرونها ويشاهدونها عيانا
وقد اقسم الرب تبارك وتعالى انه لابد ان يراها الخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم
برهم وفاجرهم فليس في جملة من حل هذه السورة ما ينفر عموم
خطابها واما ما ذكره الحسن انه لا يسأل عن النعيم الا اهل النار فاظر قطعا
اما عليه واما منه والاحاديث الصريحة الصحيحة ترد موباءه التوقيف
ولا يخفى ان مثل هذه السورة مع عظم شانها وشدة تحويفها وما
تضمنته من تحذير التكاثر الملهي وانطباق معناها على اكثر الخلق
يابى اختصاصها من اولها الى اخرها بالكفار ولا يليق ذلك بها ويكفي
في رد ذلك تامل الاحاديث المرفوعة فيها والله اعلم وتامل ما في هذا
العتب الموجع لمن استمر على الهاء التكاثر له مدة حياته كلها الى ان زار القبور
ولم يستيقظ من نوم الالهاء بل ازداد التكاثر قلبا فلم يستفق منه الا وهو
في عسكر الاموات ولكابد بين هذا وبين حال اكثر الخلق تبيين لك
ان العموم مقصود وتامل تعليقه سبحانه الذم والوعيد على مطلق التكاثر
من غير تقييد بتكاثر معين ليدخل فيه التكاثر بجمع اسباب الدنيا
على اختلاف اجناسها وانواعها وايضا فان التكاثر تفاعل وهو
طلب كل من المتكاثرين ان يكثر صاحبه فيكون اكثر منه فيما يكاثره به

والحامل

والحامل له على ذلك توهمه ان العزة للتكاثر كما قيل

ولست بالاكثر منهم حصى وانما العزة للتكاثر

فلو حصلت له الكثرة من غير تكاثر لم تضره كما كانت الكثرة لجماعة من
الصحابة ولم يضرهم اذ لم يتكاثروا بها وكل من كاثر انسانا في دنياه او
جاهه او غير ذلك شغلته مكاثرته عن مكاثرة اهل الاخرة فالنفوس
الشريفة العلية ذات الهمم العالية اذا تكاثر بابدوم عليها تقعد
وتكمد بروتركوا وتصير منكحة فلا تحب ان يكثرها غيرها في ذلك
وتنافس في هذه المكاثرة وتسابق اليها فهذا هو التكاثر الذي
هو غاية سعادة العبد وضده تكاثر اهل الدنيا باسباب
دنياهم وهذا تكاثر ملهي عن الاخرة والدار الاخرة وهو صائر الى
غاية القلة فاعتبر هذا التكاثر قل وتفكر وبحر ما والتكاثر
باسباب السعادة الاخروية تكاثر لا يزال يذكر بالاخرة ولتابيد
وتعاقبه الكثرة الدائمة التي لا تزول ولا تفنى وصاحب هذا
التكاثر لا يهون عليه ان يرى غيره افضل منه وادخن عليه
واغير منه واذا رأى غيره اكثر منه في خصلة من خصال الخير
سعى في لحاقه فيها كاثره بخصلة اخرى هو قادر على المكاثرة بها وليس
هذا التكاثر ممنوعا ولا قادحا في اخلاص العبد بل هو حقيقة المنافسة
قسة واستباق الخيرات وقد كانت هذه حال الاوس مع الخزرج في
تطاولهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكاثرة بعضهم لبعض في
اسباب مرضاته ونصره وكذلك كانت حال عمر مع ابي بكر رضي الله عنهما
فلما تبين له مدى معتبر له قال والله لا اسابقك الى شيء الا فضلتني
وتامل حسن موقع كلا في هذا الموضع فانها تضمنت ردعا لهم وزجرا

عن التكاثر و نفيا و ابطالا لما يوئ ملونه من نفع التكاثر لهم و عزتهم و كمالهم
به فتضمنت اللفظة نهيا و نفيا و اخبرهم سبحانه انه لابد ان يعلم
عاقبة تكاثرهم علما بعد علم و انهم لابد ان يردوا دار المتكاثرين ملهين
التي الهتهم عن الاخرة رؤية بعد رؤية و انه سبحانه لابد ان يسالهم
عن اسباب تكاثرهم من اين استمرجوها و فيما صرفوها فسرما اعظمها
من سورة و اجلها و اعظمها فايدة و ابلغها من عظة و تحذيرا و ندها
ترغيبا في الاخرة و ترهيدا في الدنيا على غاية اختصارها و جزالة
لفظها و حسن نظمها فتبارك من تكلم بها حقا و بلغها رسوله عنه وحيا
فصل و تامل كيف جعلهم عند وصولهم الى الغاية كالحي زايرين
مستوطنين بلدهم مستودعون في القابر مدة و بين ايديهم دار
القرار فاذا كانوا عند وصولهم الى الغاية زايرين فكيف بهم وهم في الطريق
في هذه الدار فهم فيها عابرو سبيل الى محل الزيارة ثم ينقلون من
محل الزيارة الى المستقر فهنا ثلاثة امور عبور السبيل في هذه
الدنيا و غاية زيارة القبور و بعدها النقلة الى دار القرار فصل
فلنرجع الى تمام المناظرة قالوا فاذا سبحانه حرم اولياءه عن الدنيا و صانه
عنها و رغب بهم عنها تكريما لهم و تطهيرا عن ادناسها و رفعة عن
دناءاتها و ذمها لهم و اخبرهم بهوانها عليه و سقوط قدرها عنده
و اعلمهم ان بسطها فتنة و انه سبب الطغيان و الفساد في الارض
الهاء التكاثر بها عن طلب الدار الاخرة و انها متاع الغرور و ذم
محبيها و موثريها و اخبران من ارادها و اراد زينتها و حرثها ليس
له في الاخرة من نصيب و اخبران بسطها فتنة و ابتلاء لاكرامة
و محبة و ان مداد اهلها بها ليس مسارعة لهم في الخيرات و انها

لاتقرب

لاتقرب اليه و لاتزلف لديه و انه لولا اتباع الناس في الكفر لاعطى
الكفار منها فوق مناهم و وسعها عليهم اعظم التوسعة بحيث يجعل
سقوف بيوتهم و ابوابهم و معارجهم و سررهم كلها من فضة و
اخبر انه زهدها لاعدايه و لضعفاء العقول الذين لانصيب لهم في
الاخرة و نهى رسوله صلى الله عليه وسلم عن مد عينيه اليها و الى ما متع
به اهلها و ذم من اذهب طيباته فيها و استمتع بها و ذلك ليغير صلى الله
عليه وسلم ذرهم ياكلوا و يتمتعوا و يلههم الامل فسوف يعلمون و في
هذا من التنفير لمن اولياءه من التمتع بالدنيا و كثرة الاكل فيها و تاديبا
لمن بسط له فيها ان لا يغتر فيها و لا يعظم نفسه شهواتها و لا يتمتع بها
و ذم سبحانه محبيها المفتخرين بها المكاثرين بها الظانين ان الفضل و الكرامة
في سعتها و بسطها فاكذبهم الله سبحانه و اخبر انه ليس كما قالوه و لا
توهموه و مثلها لعباده بالامثلة التي تنفر كل لبيب عاقل الى الزهد
فيها و عدم الوثوق بها و الركون اليها فاحضر صوب السماء في الطانبات الارض فلما
قلوبهم بها ضرب لها مثلا كماء انزل من السماء فحالط نبات الارض فلما
اخذت الارض زخرفها و ازينت به بانواع النبات ايا ها امره
فجعل تلك الزينة بيسا هشيما تذروه الرياح كان لم يكن قط منظرا حسنا
و اخبر سبحانه عن فنائها و سرعة انقضائها و انها اذا عاين العبد
الاخرة فكانه لبث فيها ساعة من نهار او بعضها او بعض يوم و نبه
سبحانه عباده ان يغتروا بها و اخبرهم انها لهو و لعب و زينة و تفاخر
و تكاثر و متاع الغرور و طريق و مصير الى الاخرة و انها عرض عاجل
لا بقاء له و لم يذكر مريدها بخير قط بل حيث ذكره ذمه و اخبر ان
مريدها لمخالفة مراد الله تعالى في ارادته فاستحق بريد شيئا و مريد

ومن يرد الدنيا والآخرة فهو مخالف لربه بنفس ارادته وكفر بهذا
بعد عنه سبحانه واخبر سبحانه عن اهل النار انهم انما دخلوها بسبب
عزوف الدنيا وامانيها لهم قالوا وهذا كله تزهيد لهم منه سبحانه
فيها وترغيب في التقلل منها ما امكن قالوا وقد عرضها سبحانه و
عرض مفاتيح كنوزها على احب الخلق اليه واكرمهم عليه عبده ورسوله
صلى الله عليه وسلم فلم يرد هاولم يخترها ولو اثرها واراد ها لكان
شكر الخلق باخذه منها واستنفاذه له في مرضاة الله وسبيله قطعا بل
اختار التقلل منها وصبر على شدة العيش فيها قال الامام احمد
ثنا اسمعيل بن محمد ثنا عبادية ابن عباد ثنا مجالد بن سعيد عن
الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت دخلت على
امراة من الانصار فرات فراش النبي صلى الله عليه وسلم عباة مثنية
فرجعت المنزل فبعثت الى فراشي حشوه الصوف فدخل علي
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا فقلت فلانة الانصارية دخلت
علي فرات فراشك فبعثت الى هذا فقال رديه فلم ارده واحببت ان
يكون في بيتي حتى قال ذلك ثلاث مرات فقال يا عائشة رديه فواالله
لو شئت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة وعرض علي ملوك
الدنيا وقال ابن نوح يوما واشبع يوما فاذا جعت تضرعت اليك
وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وسالت ربه ان يجعل رزقه
ورزق اهله قوتا كما في الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا
وفيهما عنه قال والذي نفسي بيده ابي هريرة ما شبع نبي الله صلى
الله عليه وسلم واهله ثلاثة ايام تباعا من خبز حنطة حتى فارق الدنيا
وفي صحيح البخاري عن انس رضي الله عنه قال ما اعلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم راى رغيفا مرققا ولا شاة سميطا قط حتى لحق بالله

وفي صحيحه

وفي صحيحه ايضا عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا
ولم يشبع من خبز الشعير وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها
قالت ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال
تباعا حتى قبض وفي صحيح مسلم عن عمر رضي الله عنه قال لقد رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد دقلا يملا
بطنه وفي الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا واهله لا يجدون
عشاء وكان اكثر خبزهم خبز الشعير قال الترمذي هذا حديث
حسن صحيح وفي الترمذي من حديث ابي امامة قال ما كان
ينفصل اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير وفي المسند
عن عائشة رضي الله عنها قالت والذي بعث محمدا صلى الله عليه
بالحق ما راى منخلا ولا اكل خبزا منخولا منذ بعثه الله عز وجل
الى ان قبض قال عروة فقلت كيف كنتم تاكلون الشعير قالت
كنا نتقل اف اي ننفخه فيطير ما طار وما بقي ثريناه وفي صحيح
البخاري عن انس رضي الله عنه قال لقد رهن رسول الله صلى الله
عليه وسلم درعه بشعير ولقد سمعته يقول ما اصبح لال محمد صاع
ولا امسى وانهم لتسعة ابيات وفي مسند الحارث بن ابي اسامة
عن انس ان فاطمة جاءت بكسرة خبز الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ما هذه الكسرة يا فاطمة قالت خبز خبزته فلم تطب نفسي
حتى اتيتك بهذه الكسرة فقال انه اول طعام دخل فم ابيك
منذ ثلاثة ايام وقال الامام احمد ثنا وكيع ثنا سفيان عن واحد

ابن ابي عن ابيه عن جابر رضي الله عنه قال لما حفر النبي صلى الله عليه وسلم
الخندق اصابهم جهد شديد حتى ربط النبي صلى الله عليه وسلم على
بطنه حجرا من الجوع وقد اشرف ابو حاتم بن حبان في صحيحه
في رد هذا الحديث وبالغ في انكاره وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم
اكرم على ربه من ذلك وهذا من وهمه وليس في هذا ما ينقص
من رتبته عند ربه بل ذكر رفعته له وزيادة في كرامته وعبرة
لمن بعده مما كابده هو والملوك وغيرهم وكان ابن حبان لم يتامل
سائر الاحاديث في معيشة النبي صلى الله عليه وسلم وهل ذكر الا من
اعظم شواهد صدقه فانه لو كان كما يقوله اعداؤه واعداء دينه
من ملك طالب ملك ودنيا لكان عيشه عيش الملوك وسيرته سيرتهم
لقد توفاه الله وان درعه مرهونة عند يهودي على طعام اخذه
لاهله وقد فتح الله عليه بلاد العرب وجبيت اليه الاموال وما
ترك درهما واحدا ولا دينارا ولا شاة ولا بعيرا ولا عبدا
ولا امة وقال الامام احمد ثنا حسين بن محمد بن مطرف عن ابي
حازم عن عروة انه سمع عائشة رضي الله عنها تقول كان يمر بنا
الهلال والهلال ما يوقد في بيت من بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
نار قلت يا خالة فعلى اي شيء كنتم تعيشون قالت على الاسودين
التمر والماء وقد تقدم حديث ابي هريرة رضي الله عنه في قصة
ابي الهيثم بن التيهان وانه خرج صلى الله عليه وسلم من بيته فرأى ابا
بكر وعمر فقال ما اخرجكما قالا الجوع قال وانا والذي نفسي بيده
لاخرجني الذي اخرجكما وذكر الحديث وقد تقدم من حديث مسروق قال دخلت
على عائشة

على عائشة فدنت لي بطعام وقالت ما اشبع من طعام فاشتهي ان
ابكي الا بكيت قال قلت لم قالت اذكر الحال التي فارق عليها رسول
الله صلى الله عليه وسلم الدنيا والله ما شبع في يوم مرتين من خبز البر حتى قبض
وفيه عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين
متتابعين حتى قبض والحديثان صحيحان ولفيه عنها ايضا ما
شبع ال محمد صلى الله عليه وسلم من خبز ما دوم ثلاثة ايام حتى لحق بالله
وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه ما شبع رسول الله صلى الله
عليه وسلم واهله ثلاثا تباعا من البر حتى فارق الدنيا وفي الترمذي
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت
الليالي المتتابعة طاويا واهله لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم
خبز الشعير وفيه عن انس رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم قال لقد اخفت
في الله وما يخاف احد ولقد اوذيت في الله وما يوذى احد ولقد
اتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو
كبد الا شيء يواري ابط بلال والحديثان صحيحان وفيه ايضا عن
انس ان مالكا عن ابي طلحة رضي الله عنه قال شكونا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر فرفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن بطنه حجرين وفيه ايضا عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه
قال نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد اثر في جنبيه
فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء فقال مالي وللدنيا ما انا في الدنيا
الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها حسن صحيح وفيه عن
علي بن ابي طالب قال خرجت في يوم شات من بيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد اخذت اهابا معطونا فجئت بيت فسطاط

وراد خلته في عنق فشددت بدو سطي فخرمت بخوص من النخل واني
لشديد الجوع ولو كان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام لطعمت
منه فخرجت التمس شيئا فمررت بيهودي في مال لبروحي يسقي بكرة له
فاطلعت عليه من ثلمة من الحايط فقال مالك يا اعرابي هل لك في كل
دلو بتمرة قلت نعم فافتح الباب حتى ادخل فتفتح و دخلت فاعطاني
دلوه فكلما نزعت دلو اعطاني تمرة حتى امتلأت كفي ارسلت دلوه
وقلت حسبي فاكلتها ثم جرعت من الماء فشربت ثم جئت الماء فوجدت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وقال سعد بن عامر لقد رأيتنا
نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مالنا طعام الا الحبلة وهذا السمر
والحبلة ثمر العضاه ذات الشوك وهو حديث صحيح وكان صلى الله
عليه وسلم يصلي من الليل احيانا وعليه كساء صوف يعتم عليه وبعضه
على عايشة قال الحسن اثمان ستة دراهم وسبعة وقال احمد ثنا ابن
سعيد ثنا ابن زايدة ثنا عطاء عن ابيه عن علي رضي الله عنه قال
جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة في خميل وقربة ووسادة من
ادم حشوها ليف للخيل الكساء الذي يلي حمل قال وثنا بهز بن اسد
ثنا سليمان بن المغيرة عن حميد قال قال ابو بردة دخلت على عايشة
رضي الله عنها فاخرجت الينا ازارا غليظا مما يصنع باليمن وكساء من
هذه التي تدعونها الملبدة فقالت فبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
في هذين الثوبين قالوا ولو كان الغنى مع الشكر افضل من الفقر مع
الصبر لاختصاره رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عرضت عليه الدنيا
ولامره ربه بان يساله اياه كما امره ان يساله زيادة العلم ولم يكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يختار الا ما اختاره الله له ولم يكن الله

يختار

يختار له الا الافضل اذ كان افضل خلقه وكلم قالوا وقد اخبر
النبي صلى الله عليه وسلم ان خير الرزق ما كان يقدر كفاية العبد فلا
يعوزه ما يضره ولا ينفل عنه ما يطغيه ويلهيه قال الامام احمد ثنا
ابن مهدي ثنا هام عن قتادة عن خليد العصري عن ابي الدرداء
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طلعت شمس قط
الا بعث بجنبتيها ملكان ينادي يسمعان اهل الارض الا الثقلين يا ايها
الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر والهى ولا ابت شمس
قط الا بعث بجنبتيها ملكان ينادي يسمعان اهل الارض الا الثقلين
اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وقال الامام احمد ثنا وكيع ثنا
اسامة بن زيد عن محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن سعد بن مالك
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الرزق ما يكفي
وخير الذكر الخفي وتامل جمعه في هذا الحديث بين رزق القلب
والبدن رزق الدنيا والاخرة واخباره ان خير الرزق ما يتعاون
الجد فيلزم من الذكر اخفاؤه فاذا زاد على الاخفاء خيف على صاحبه
الرياء والتكثر بعمل الغافلين وكذلك رزق البدن اذا زاد على الكفاية
خيف عليه الطغيان والتكاثر قالوا وقد عبط رسول الله صلى الله عليه وسلم
المتقلل من الدنيا ما يغبط به الغني قال الامام احمد ثنا وكيع ثنا علي
بن صالح عن ابي المهلب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن
القاسم عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعتنا
الله ليبارك للعبد في موته من خفيف الحاذ ذو حظه من صلوة احسن
عبادة ربه وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع فتخلت
منيته وقل تراثه وقلت بواكيه قال عبد الله ابنا احمد

سالت ابي ما تر الله قال مسير الله
قالوا وحمية الله لعبده المؤمن عن الدنيا انما هو من محبته لذكر امته
عليه قال الامام احمد ثنا ابو سعيد ثنا سليمان بن بلال عن عمرو بن ابي
عمرو وعن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود ابن لبيد ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يحمي عبده المؤمن من الدنيا
وهو يحبه كما تحمون مرضاكم الطعام والشراب تخافون عليهم قالوا
وقل ان يقع اعطاء الدنيا وتوسعتها الا استدراجا من الله لا
اكراما ومحبة لما اعطاه قال الامام احمد ثنا يحيى بن غيلان ثنا
رشدين بن سعد عن حرملة بن عمران التجيبي عن عقبة بن مسلم عن
عقبة ابن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله يعطي
العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج ثم تلى قوله
تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا
بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون قالوا وهوان الدنيا على
الله منعها اكثر اوليائه واحبائه قال الامام احمد ثنا ابو معاوية
ثنا الاعمش عن سالم بن ابي الجعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان من امتي لمن يتلبث احدكم فسأله دينارا لم يعطه اياه ولو سأله
فلسا لم يعطه اياه ولو سأل الله عز وجل الجنة لاعطاه اياها ولو سأله
الدنيا لم يعطه اياها وما يمنعهما اياها الا هوان عليه ذو طريف لابي سعيد
لو اقسم على الله لابره وهذا يدل على انه انما يمنعه اياها الا هوان بها عليه
لا الهوان به عليه وهذا يعطيه افضل منها واجل فان الله تعالى
يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الاخرة الا من يحب
قالوا وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان اقربهم منه يوم القيمة
مجلسا ذو التنعل من الدنيا الذين لم يستكثروا منها قال الامام احمد
ثنا يزيد بن هارون انبا محمد بن عمرو قال سمعت عمر ابن ابان مالك
يقول قال ابو ذر اني لاقربكم مجلسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوم القيمة

يوم القيمة وذلك اني سمعته يقول ان اقربكم مني مجلسا يوم القيمة من
خرج من الدنيا كهيئته ما تركت فيها واندر اسرع ما منكم من احد الا وقد
تشبثت منها بشيء غيري قالوا وقد غبطه النبي صلى الله عليه وسلم من كان على
هيئته كفافا فاخبر بفلاحه قال الامام احمد ثنا عبد الله بن يزيد
ثنا حيوة قال اخبرني ابو هانئ ان ابا علي الجنبي اخبره انه سمع فضالة
بن عبيد رضي الله عنه يقول انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع وذكر
ايضا من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه قالوا ولم
يكن في التنعل الا خفة الحسان لكن بر فضلا على الغبن قال عبد الله بن
الامام احمد ثنا ابان بن الحكم ثنا محمد بن حمير ثنا حدثني بشر بن عثمان
ثنا عيسى بن يونس عن هشام عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث لا يحاسب عليهن العبد قل خصاص يتنعل به وكسرة يسد بها صلبه
وثوب يواري عورته وقال الامام احمد ثنا سيار ثنا جعفر ثنا
ليث عن ابي عثمان قال لما افتتح المسلمون حوجي دخلوا يمشون فيها
والناس في الطعام فيها امثال الجبال ورجل يمشي الجنبات فقال
يا ابا عثمان الا ترى الى ما فتح الله علينا الا ترى ما اعطانا الله فقال
وما يعجبك مما ترى الجنبات كل جنبة ما ترى حساب قالوا وقد شهد
النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه انهم يوم فتحهم وفاقتهم خير منهم يوم غناهم
وبسط الدنيا عليهم قال الامام احمد ثنا عبد الصمد ثنا ابو الاشهب عن
الحسن قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم يا اهل الصفة كيف انتم قالوا نحن خير
قال انتم اليوم خير ام يوم يغدوا على احدكم جفنة وتروح اخرى ويغدو
في حلة ويروح في اخرى وتسترون بيوتكم بمثل استار الكعبة قالوا

يا بني اسرائيل انتم اليوم خير منكم يوم فرعون خير يعطينا ربنا تبارك وتعالى فشكر قال
بل انتم اليوم خير فهذا من مع في انهم في وقت صبرهم على فقرهم
خير منهم في وقت غناهم مع الشكر وقال عبد الله بن احمد ثنا ابن
عمر ثنا حفص بن غياث عن داود بن ابي هند عن ابي حرب بن ابي
الاسود عن طلحة البصري قال قدمت المدينة ولم يكن لي بها معرفة
فكان يجري علينا مد من تمر بين اثنين فصلينا صلوة فهتف بي
هاتف من خلفي فقال يا رسول الله قد احرق بطوننا التمر وتمزقت
عنا الكتف فخلع ثوبه وشد عليه وقال والله لئن اعطاكم الله لتطعمن
لاطعمنكموه ولياتين عليكم زمان يغدو احدكم في احدهم ويراح
وتلبسون بيوتكم مثل استار الكعبة قالوا يا رسول الله نحن اليوم خير
منا او يومئذ قال انتم اليوم خير منكم يومئذ انتم اليوم خير منكم يومئذ
يضرب بعضكم رقاب بعض قال احمد وثنا عبد الوهاب عن سعيد
عن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم دخل على اهل الصفة
فذكر نحوه قالوا ولم يكن في الغنى والمال الا انه فتنة وقل من سلم
من اصابته الدنيا وتاثيرها في دينه كما قال ثنا انما اموالكم واولادكم فتنة
وفي الترمذي من حديث كعب بن عياض قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول ان لكل امة فتنة وفتنة امتي المال قال هذا حديث حسن
صحيح قالوا والمال والغنى يدعوا الى النار والفقر يدعوا الى الجنة قال الامام
احمد ثنا ابو الاشهب ثنا سعيد بن ايمن مولى كعب بن سور قال بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث اصحابه اذ جاء رجل من الفقراء فجلس
الى جنب رجل من الاغنياء فكانه قبض من ثياب عنه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخشيت يا فلان ان يغدو غناك عليه او ان يغدو فقره
عليك قالوا يا رسول الله وشر الغنى قال نعم ان غناك يدعوك الى النار
وان فقره يدعوه الى الجنة قال فايخيز منكم قال تواسيه قال اذا

افضل

افضل فقال الاخر لا ارب لي فيه قال فاستغفر وادع للخير قالوا وحق
الغنى اعظم من ان يتوه العبد بشكره وقد روى الترمذي في جامعه
من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ليس لابن ادم حق في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته
وجلف الخبز والماء قال هذا حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم من حديث ابي
امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بن ادم انك ان تبذل
الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا يلام على كفاف وابدا بمن تعول واليد
العليا خير من اليد السفلى وفي صحيحه ايضا من حديث ابي نضرة عن ابي
سعيد رضي الله عنه قال بينا نحن في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ
جاء رجل على راحلة له فجعل يضرب يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان معه فضل
فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له قال فذكر من اصناف المال ما ذكر
حتى ظننا انه لا حق لاحد منا في فضل قالوا فهذا موضع النظر في تفضيل الغنى
الشاكر الذي يبذل الفضل كله واما غني يتمتع بانواع الفضل ولا يشكر بالواجب
وبعض المستحب فكيف يفضل على فقير صابر راض عن الله في فقره قالوا وقد
اقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم ايمة الشاكرين انه لا يخاف
عليهم الفقر وانما يخاف عليهم الغنى في الصحيحين من حديث عمرو بن عوف
وكان شهد بدرا رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا عبيدة بن
الجراح الى البحرين ياتي بجزيتها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صالح
اهل البحرين واستعمل عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم ابو عبيدة رضي الله عنه
بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلوة
الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف
فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال اظنكم

سمعت بقدوم ابي عبيدة وانه جاء بشيء من البحرين فقالوا اجل يا رسول
الله قال فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى
ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها
فتهلككم كما اهلكتهم وقال الامام احمد ثنا روح ثنا هشام عن الحسن
قال قيل لابي ثعلبة الخشني رضي الله عنه ابن دنياكم التي كنتم تشدون بها
اصحاب محمد قال ليست الاخرى بساقطة تاكل والله الذي لا اله غيره
الا بان كما تاكل البرة العطب الجزل وقال احمد ثنا يزيد ثنا هشام بن
حسان قال سمعت الحسن يقول والله ما احدث الله سبحانه لهذه الدنيا
ملكا يحفظ ان يكون قد مكر به فيها الا كان قد نقص علمه واعجز رايه وما
امسكها الله عن عبد فلم يظن انه قد خير له فيها الا كان قد نقص علمه وعجز
رايه قالوا وقد مر على النبي صلى الله عليه وسلم فقير وعنده فقال عن الفقير
هذا خير من ملاء الارض مثل هذا وروى البخاري في صحيحه عن سهل
بن سعد رضي الله عنه قال مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما تقولون في هذا قالوا حري ان خطب ان ينكح وان شفع ان يشفع وان
قال ان يسمع قال ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين فقال ما تقولون
في هذا قالوا حري ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان قال ان لا
يسمع لقوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملاء الارض مثل
هذا وقد بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقراء الصابرين بانهم يبشرون الى
غناء في الترمذي من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى بالناس خر رجال من قامتهم في الصلوة
من الخصاصة وهم اصحاب الصفة حتى يقول الاعراب هؤلاء مجانين
فاذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف اليهم وقال لو تعلمون ما لكم
عند الله لاحببتم ان تزدادوا فاقة وحاجة قال فضالة وانا يومئذ

مع رسول الله

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشرهم بسبقهم الاغنياء الى الجنة وقد اختلفت
الروايات في مدة هذا السبق ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله
عنهما وانه جاءه ثلاثة نفر فقال يا ابا محمد والله ما نقدر على شيء لا نفقة
ولا دابة ولا متاع فقال لهم ما شئتم ان شئتم دفعتم الينا فاعطينكم مما
يسر الله لكم وان شئتم ذكرنا امركم للسلطان وان شئتم صبرتم فان سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم
القيمة باربعين خريفا قالوا لا نصبر لا شيء لنا وقال الامام احمد ثنا عفان
ثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو وعن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل اغنيائهم
بنصف يوم وهو خمسمائة عام قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي
الترمذي ايضا من حديث ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة سنة وهو
حديث حسن وفيه ايضا من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء امتي الجنة قبل الاغنياء باربعين خريفا
وهو حديث حسن وهذا موافق لحديث عبد الله بن عمرو ولحديث انس
الذي في الترمذي ايضا ان المساكين يدخلون قبل الاغنياء باربعين خريفا
فهؤلاء ثلاثة جابر وانس وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم قد اتفق اعلى
الاربعين وهذا ابو هريرة وابو سعيد رضي الله عنهما قد اتفقا على التقدير
بخمسمائة سنة ولا تعارض بين هذه الاحاديث اذ السبق والتاخر درجات
بحسب الفقر والغنى فمنهم من يسبق باربعين ومنهم من يسبق بخمسمائة ولا
يتقيد السبق بهذا المقدار بل يزيد عليه وينقص وقد روى ابو داود
في سننه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان اول الامة دخولا الجنة ابو بكر الصديق رضي الله عنه ومعلوم ان المراد

الى يوم وبينا قرائه من فقراء المهاجرين لا تطول له وانها اطول مدة بين
دخول له وبين دخول اخر من يدخل الجنة وقد روى الامام احمد في
مسنده من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال هل تدرون اول من يدخل الجنة قالوا الله ورسوله اعلم
قال فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره يموت احدهم وحاجته
في صدره لا يستطيع لها قضاء تقول الملائكة ربنا نحن ملائكتك
وخزنتك وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا فيقول لعبادي
لا تشركون بي شيئا تتقى بهم المكاره يموت احدهم وحاجته في صدره
لا يستطيع لها قضاء فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقال الامام احمد ثنا حسين بن
محمد ثنا ابو عوانة عن مسلم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النقير موقف على باب الجنة من
غنى وهو مما فقير كان في الدنيا فادخل الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء
الله ان يحبس ثم ادخل الجنة فلقيه الفقير فيقول ايا اخي ما ذا حبسك
والله لقد احتبست حتى خفت عليك فيقول اني اخي اني حبست بعدك
محبسا فظيعا كربها ما وصلت اليك حتى قال غير من العرق ما لو ورده
الف بعير كلها الكلة حضا لصدرت عنه رواه وقال الطبراني في معجمه
حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي وعلي بن سعيد الرازي قالا ثنا علي بن
بهرام العطار قال ثنا عبد الملك بن ابي كريمة عن الثوري عن محمد بن
زيد عن ابي حازم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بنصف
يوم وذلك خمسمائة عام فقال رجل منهم انا يا رسول الله فقال ان تفتقر
ترجعت على عشاء واذا غنيت بيت معك قال نعم قال لست منهم

فقام رجل

فقام رجل فقال انهم انا يا رسول الله قال هل سمعت ما قلنا لهذا
قال نعم ولست كذلك قال هل تجد شيئا سيرا سوى ما عليك قال نعم
قال فلست منهم فقام اخر فقال انهم انا يا رسول الله قال هل سمعت ما
قلت لهذين قبلك قال نعم قال هل قرضا كلما شئت ان تستقرض قال نعم
قال فلست منهم فقام اخر فقال انهم انا يا رسول الله فقال هل سمعت
ما قلت لهؤلاء قال نعم قال هل تقدر ان تكتسب قال نعم قال فلست
منهم قال فقام خامس فقال انا منهم يا رسول الله فقال هل سمعت ما
قلت لهؤلاء قال نعم قال هل تمشي على ربك راضيا وتصبح كذلك
قال نعم قال فانت منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان سادة المؤمنين
في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا تعشى لم يبت عنده غداء واو
استقرض لم يجد قرضا وليس لرفضل لسوة الا ما يواري به ما لا يجد
منه بدا ولا يقدر على ان يكتسب ما يغنيه ويمسي عن الله راضيا و
يصبح راضيا ولكنك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا قال الطبراني في هذا
حديث غريب من حديث سفيان الثوري عن محمد بن زيد بقال
هو العبدي تفرد به عبد الملك قلت محمد بن زيد هذا هو العبدي
وثقه قوم وضعفه اخرون وقال الدارقطني ليس بالقوي وقال
ابن حبان صالح الحديث وذكره ابن حبان في الثقات روى له الترمذي
وابن ماجة وفي هذه الطبقة محمد بن زيد الشامي ويروي عن ابي
سلمة بن عبد الرحمن وهو متروك ويخاف ان يكون هذا هو والثوري
لم ينسبه وانما يقال هو العبدي فالله اعلم وقال الامام احمد ثنا اسمعيل
ابن ابراهيم ثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

عرض علي اول ثلاثة يدخلون الجنة واول ثلاثة يدخلون النار فا
ما اول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك لم يشغله رق
الدنيا عن طاعة ربه وفقير متعفف ذو عيال واما اول ثلاثة يدخلون
النار فامير مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله في ماله وفقير
فخور رواه الترمذي ومنذ ذكر الثلاثة الذين يدخلون الجنة فقط
قالوا ويكفي في فضل الفقير ان عامة اهل الجنة الفقراء وعامة اهل
النار الاغنياء قال الامام احمد ثنا محمد بن عبيد الله بن محمد بن ابي شيبة
ثنا شريك عن ابي اسحق عن السايب بن مالك عن عبد الله بن عمر و
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة
فرايت اكثر اهلها الفقراء واطلعت في النار فرايت اكثر اهلها الاغنيا
ء والنساء وفي صحيح البخاري عن ابي رجاء قال جاء عمران بن حصين
الى امراته من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت حدثنا ما
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم فقال انه ليس من حديث فلم تدعه او
قال فاغضبته فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نظرت
في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقراء ونظرت في النار فرايت اكثر اهلها
النساء وفي الصحيحين من حديث اسامة بن زيد رضي الله عنهما ان رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فاذا عامة من دخلها
المساكين وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء وفي
صحيح مسلم عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم اطلع في النار فراى
اكثر اهلها النساء واطلع في الجنة فراى اكثر اهلها الفقراء قالوا
ويكفي في فضل الفقراء ان كل احد يتمناه يوم القيمة من الاغنياء قال
الامام احمد ثنا عبد الله بن نمير ثنا اسمعيل يعني ابن ابي خالد عن
نفيع عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما من احد يوم القيمة عنى ولا فقير الا ود ان ما كان اوتيه في الدنيا
او من الدنيا قرتا وقال البخاري يتكلمون في تبع وهذا الذي ما قبل
فيه قالوا وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفضيل الفقراء في غير
حديث لمنها ما تقدم من حديث سعد بن سعد وقال الامام احمد
ثنا ابن معاوية ثنا الاعمش عن زيد بن وهب عن ابي ذر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اذا رفع بصرك فانظر اذا رفع رجل تراه
في المسجد قال فنظرت فاذا رجل جالس عليه حلة له فقال فقلت هذا
قال فقال يا ابا ذر اذا رفع بصرك فانظر اذا رفع رجل تراه في المسجد قال
فنظرت فاذا رجل ضعيف عليه اخلاق قال قلت هذا قال فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لهذا افضل عند الله يوم القيمة
من قراب الارض من هذا قال وسابقهم وافتراديه ثنا الاعمش
عن سليمان بن سار عن خرشة بن الحر عن ابي ذر رضي الله عنه فذكره
وقال لهذا خير عند الله يوم القيمة من ملء الارض مثل هذا قال احمد و
ثنا ابو معاوية وافتر يعلى قال ثنا الاعمش عن زيد بن وهب عن ابي ذر
فذكره بمعناه قالوا والذي يفصل ينافي هذه المسئلة ويثبت العلم ان
الفقر يوفر اجر صاحبه ومنزلته عند الله والغنى ولو شكر قانما الذي في
الدنيا بعناه يحسب عليه من ثوابه يوم القيمة واه تناوله باجل وخير
فقليل الفضل في الدنيا ينقص من كثير الاخرة وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله
بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من غازية او سرية تغزو في
سبيل الله فيصيبون الغنيمة الا تعجلوا ثلثي اجرهم من الاخرة ويبقى لهم
الثلث وان لم يصيبوا غنيمة تم لهم اجرهم وفي الصحيحين عن خباب بن
الارت رضي الله عنه قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس
وجه الله فوقع اجرنا على الله فمنا من مات لم ياكل من اجره شيا منهم

مصعب بن عمير قتل يوم احد وترك نمرة كنا اذا غطينا بها راسه
بدت رجلاه واذا غطينا رجليه بدا راسه فامرنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان نغطي راسه ونجعل على رجليه شيئا من الاذخر و
منا من اينعت له ثمرته فهو يهدبها وفي الصحيحين عن قيس بن
ابي حازم قال دخلنا على خباب نعوده وقد اكتوى سبع كيات فقال ان
اصحابنا الذين سلفوا مضوا ولم تنقصهم الدنيا وذكر الحديث وقال
سعيد بن منصور نا ابو معاوية عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عمر
قال ما من عبد يصيب من الدنيا شيئا الا انتقص من درجاته عند
الله وان كان عليه كريما وفي صحيح البخاري عن ابراهيم بن عبد الرحمن
بن عوف قال اتي عبد الرحمن بطعام وكان صايما فقال قتل مصعب
بن عمير رضي الله عنه وهو خير مني كفن في بردة ان غطي راسه
بدت رجلاه وان غطي رجلاه بدا راسه وقتل حمزة رضي الله عنه
وهو خير مني فلم يوجد له كفن الا بردة ثم بسط لنا من الدنيا ما
بسط او قال اعطينا من الدنيا ما اعطينا وقد خشيت ان يكون
عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام قال
ابو سعيد بن الاعرابي وليس عبد الرحمن بن عوف وخباب رضي الله
عنهما قالا ذلك دون غيرهما لقد قاله الاكابر من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكرهوا ما فتح الله عليهم من الدنيا واشفقوا
منه وعلموا انما اختاره الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم كان افضل وانا
اخر والكرامات انتصر منهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وابو عبيدة وعمار
ابن ياسر وسلمان وعبد الله بن مسعود وعايشة ام المؤمنين و
ابو هاشم ابن عتبة وجماعة لم نذكرهم للاختصار رضي الله عنهم اجمعين
فاما ابو بكر رضي الله عنه فحدثنا ابن ابي الدنيا نا عبد الرحمن بن ابي

الطايي نا

الطايي نا عبد الصمد بن عبد الوارث نا عبد الواحد بن زيد حدثني
سليمان عن مرة عن زيد بن ارقم قال كنا مع ابي بكر الصديق رضي الله عنه
فدعا بشراب فاتي بماء وعسل فلما ادناه من فيه بكى وبكى حتى ابكى اصحابه
فسكتوا وما سكت ثم عاد فبكا حتى ظنوا انهم لا يقدرون على مسالته قال
ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابكاك فقال
كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته يدفع عن نفسه شيئا ولم
ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه
الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان فاتني
مني فلن يفلت من بعدك وذكر ليث بن سعد عن صالح بن كيسان
عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه ان ابا بكر رضي الله عنه قال
وهو مريض الذي سمعت فيه اني وليت امركم ولست بخيركم كلكم قوي عليه
من ذلك ان يكون هذا الامر له وذلك لما رايت الدنيا قد اقبلت
واقبلت ولما تقبل حتى تخوضوا نضايد الحرير وستور الديباج وحتى
يلي احدكم معالاضطجاع على الصوف كما يلي من الاضطجاع على المسك
والسعدان ثم انتم اول من نزل بالناس يصفقون بهم يمينا وشمالا اما هذا
الطريق اخطات انا هو البر او البحر والله لان يقدم احدكم فتضرب عنقه
في غير حد خير له من ان يخوض غمرات الدنيا وذكر محمد بن عطاء بن
خباب قال كنت جالسا مع ابي بكر رضي الله عنه فراى طايرا فقال طوبى
لك يا طاير تاكل من هذا الشجر وتبعث ثم لا تكون شيئا وليس عليك حساب
وودت اني مكانك فقلت له لم تقول هذا وانت صديق رسول الله
صلى الله عليه وسلم واما عمر رضي الله عنه فانه لما اتي بكنوز كسرى بكى فقال
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ما يبكيك يا امير المؤمنين فوالله ان
هذا لم يعطه قوم الا القى الله بينهم العداوة والبغضاء ووكل عليهم

عليه ابو سنان الدؤلي وعنده نفر من المهاجرين فارسل عمر رضي الله عنه
الى سفط اتي به من قلعة بالعراق وكان فيه خاتم فاخذه بعض ولده
فادخله في فيه فانتزعه عمر منه ثم بكى فقال له من عنده لم تبكي و
قد فتح الله لك واظهرك واقر عينك فقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا تفتح الدنيا على احد الا القى الله بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيمة وانا مشفق من ذلك قال ابو عبيد في كتاب
بخط يدي عن ابي داود قال ثنا محمد بن عبيد ثنا حماد ثنا يونس عن
الحسن ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتي بفروة كسرى بين
يديه وفي القوم سراقة بن مالك فالقى اليه سواري كسرى فجعلهما في
يديه فبلغا منكبيه فلما راهما في يدي سراقة قال الحمد لله سواري كسرى
ابن هرمز في يدي سراقة بن مالك بن جعشم اعرابي من بني مدلج ثم
قال اللهم اني قد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان يحب ان يصيب
مالا ينفقه في سبيلك وعلى عبادك فزويت ذلك عنه نظرا منك له
واختيارا اللهم اني اعوذ بك ان يكون هذا مكرا منك بعمر ثم تلا
ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا
يشعرون والمقصود ان سعة الدنيا وبسطها يعجل من اجر الاخرة
وتضيق من سعتها قال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهري عن ابن
ابي صعير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال لما كان يوم احد اشرف
النبي صلى الله عليه وسلم على الشهداء الذين قتلوا يومئذ فقال اني
شهيد على هؤلاء فزملوهم بدمائهم قال معمر واخبرت من سمع الحسن
يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء قد مضوا وقد شهدت عليهم
لم ياكلوا من اجورهم شيئا وانكم قد اكلتم من اجوركم واني لا ادري
ما تحدثون بعدي وقال ابن المبارك انا جرير بن حازم قال سمعت

الحسن يقول

المسند يعني خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه الى بقيع الغرقد
فقال السلام عليكم يا اهل القبور لو تعلمون ما نجاكم الله منه مما هو
كائن بعدكم ثم اقبل على اصحابه فقال هؤلاء خير منكم فقالوا يا رسول الله
اخواننا اسلمنا كما اسلموا وهاجرنا كما هاجروا وجاهدنا كما جاهدوا
واتوا على اجالهم فمضوا فيها وبقينا في اجالنا فما يجعلهم خيرا منا فقال
ان هؤلاء خرجوا من الدنيا ولم ياكلوا من اجورهم شيئا وخرجوا وانا
شهيد عليهم وانكم قد اكلتم من اجوركم ولا ادري ما تحدثون
بعدي قال فلما سمعها القوم واعقلوها وانتفعوا بها قالوا وانا
لمحاسبون بما اصبنا من الدنيا بعدهم وانه لينتقص به من اجورنا فاكلوا
طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا وقال عبد الله بن احمد قرات على
ابي هذا الحديث ثنا اسود بن عامر ثنا اسرائيل عن ثوير عن مجاهد
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ما اعطي رجل من الدنيا الا نقص من درجته
قالوا وقد صرح سادات الاغنياء بانهم ابتلوا بالضراء فصبروا وابتلوا
بالسراء فلم يصبروا كما قال ذلك عبد الرحمن بن عوف وغيره رضي الله عنهم
وكان هذا مصداق ما رواه مصعب بن سعد عن ابيه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانا من فتنة السراء اخوف عليكم من فتنة
الضراء انكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم وان الدنيا حلوة خضرة
قالوا وههنا قضيتان صادقتان بها يتبين الفضل احداهما ان
الاقلين هم الاكثرون يوم القيمة والثانية ان الاكثرين هم الاقلون
اما الاولى فقد تقدم الدليل عليه بما فيه كفاية واما الثانية ففي
الصحيحين من حديث ابي ذر قال خرجت ليلة من الليالي فاذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي وحده ليس معه انسان قال
فظننت انه يكره ان يمشي معه احد فجعلت امشي في ظل القمر

فالتفت فرآني فقال من هذا قلت ابو ذر جعلني الله فداك قال يا با
ذر تعال فمشيت معه ساعة فقال ان الاكثرين هم المقلون يوم القيمة
الا من اعطاه الله خيرا فنفح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه
وعمل فيه خيرا وذكر الحديث قالوا ولو كان الفقر افضل من الغنى
لما حض الله ورسوله على الزهد في الدنيا والاعراض عنها وذم الحرص
عليها والرغبة فيها بل كان ينبغي ان يحض عليها وعلى التابها
والاستكثار منها كما حض على الزهد فيها والتقلل منها لان
لتي بها كمال العبد من العلم والعمل فلما حض على الزهد فيها والتقلل
دل على ان الزاهدين المتقللين منها افضل الطائفتين وقد اخبرنا
لوساوت عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وانها
اهون على الله من السخلة الميتة على اهلها وان مثلها في الآخرة كمثل
ما يعلق باصبع من ادخل اصبعه في البحر وانها ملعونة ملعون
ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم او متعلم وانها سجن المؤمن وجنة
الكافر وامر العبد ان يكون فيها كانه غريب او عابر سبيل وان
يعد نفسه من اهل القبور واذا اصبح فلا ينتظر المساء واذا امسى
فلا ينتظر الصباح ونهى عن اتخاذ ما يرغب فيها ولعن عبد
الدينار وعبد الدرهم ودعا عليه بالنصب والانتكاس وعدم اقالة
العثرة بالانتقاش واخبر انها حلوة خضرة تاخذ بالعيون خضرتها
وبالقلوب بحلاوتها وامر بانتقائها والحذر منها كما ينتقى النساء
ويحذر منهن واخبر ان الحرص عليها وعلى الرياسة والشرف يفسد
الدين كافساد الذيبين الضاريين اذا ارسلا في زريبة غنم
او اشد افسادا واخبر انه في الدنيا كراكب استظل تحت
شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها وهذه في الحقيقة

حال

حال سكان الدنيا كلهم ولكن هو صلى الله عليه وسلم شهد هذه
الحالة ونهى عنها بين الدنيا ومن فيها وهم يعالجون خصائلهم وقد
فقال ما ارى الامر الا اعجل من ذلك وامر بستر عيال بابه فنزع و
انه يذكر في الدنيا واعلم الناس انه ليس لاحد منهم حق في
بيت يسكنه وثوب يواري عورته وقوت يقوم صلبه واخبر ان
المتحوض في مال الله بغير حق له النار يوم القيمة
واقسم انه لا يخاف الفقر على اصحابه وانما يخاف عليهم الدنيا ان تنافسوا
فيها والهاهم واخبر انه ليس لابن ادم من مال الا ما اكل فافنى
ليس فابلى او تصدق فامضى واخبر ان حب ابن ادم من الدنيا
لثلاث بطنه صلبه فان لم يتقنع بها فثلث بطنه لطعامه وثلث
لشرابه وثلث لنفسه وفي هذا الحديث الارشاد الى صحة القلب
والبدن والدين والدنيا واخبر ان عتبى العبد فيها عن تنفسه
لاكثرة عرضه وسال الله ان يجعل رزقه فيها قوتا وغبط من
كان رزقه فيها كفافا فاعاذه الله من هذي للاسلام واخبر انه من كانت
الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وشتت عليه شمله وابانه
منها الا ما كتب له وعرض عليه ربه تعالى ان يجعل له بطحاء مكة
ذهبا فقال لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت
تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك واعلمه
انه من اصبح منهم امنا في سربه معافا في جسده عنده قوت يومه
فكانما حيزت له الدنيا واخبر ان بذل المعروف افضل عند الله
من خير له واما كل شر له وانه لا يلام على الكفاف وزهى امتي
بانتظار احدهم الموت في فتنة في الدنيا وامر انه ينتظر الموت دون
تلونها واخبر انه لم يبق من الدنيا الا بلاء وفتنة وضرب مثلها

مثل ما يخرج من ابن ادم عند خلائه وان كان اول طيبا لذيذا فهذا
اخره واخبر ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين فيها فان امامهم دار النعيم
فهم لا يرضون بنعيمهم في الدنيا عوضا من ذلك النعيم واخبر ان
نجاة اول هذه الامة بالزهد واليقين وهلكة اخرها بالبخل
وطول الامل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا عيش الا
عيش الاخرة واخبر انه تعالى اذا احب عبده حماه الدنيا كما يحمى ا
سقيم من يشتهي من الطعام والشراب ودخل النبي صلى الله عليه وسلم
على عثمان بن مظعون وهو في الموت فاكب عليه يقبله ويقول رحمك
الله يا عثمان ما اصبت من الدنيا ولا اصابت منك فنعطر بذلك
وكان يقول الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة في الدنيا
يطيل الهم والحزن وكان يقول من جعل الهموم كلها هما واحدا كفاه
الله سائر هموم ومن تشعبت به الهموم في احوال الدنيا لم يبال الله
في اي اوديتها هلك واخبر انه يوتى بهرم يوم القيمة يانعم الناس
كان في الدنيا فيقول الله عز وجل اصبغوه في النار صبغة فيصبغ
صبغة ثم يوتى به فيقول يا ابن ادم هل رايت نعيما قط هل رايت
قرة عين قط هل اصبت سرورا قط فيقول لا وعزتك ثم يقول ردوه
الى النار ثم يوتى باشد الناس كان بلاء في الدنيا واجهده جهدا
فيقول تبارك وتعالى اصبغوه في الجنة صبغة فيصبغ فيها ثم يوتى به
فيقول يا ابن ادم هل رايت ما تكره قط فيقول لا وعزتك ما رايت
شيئا قط اكره هذا وفي حديث معاذ عن موسى عليه السلام الذي رواه
الامام في كتاب الزهد حدثنا اسمعيل بن عبد الكريم بن معقل بن عبد
الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه فذكره وفيه يا موسى لا
تجعل لي زينتي ولا ما متعت به ولا تمدن الى ذلك اعينك فانها زهرة

الحياة الدنيا وزينة المترفين ولو شئت ان ازينك من الدنيا بزينة
يعلم فرعون حين ينظر اليها ان مقدورا تعجز عن مثلها اوتيتها فعلت
ولكني ازعب بك عن ذلك وازويه عنك وكذلك افعل باوليائي و
قد باشرت لهم في ذلك فاني لاذودهم عن نعيمها ورخائها كما يذود
الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة واني لاجنبهم سلوتها وعيشها
كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك الغرة وما ذاك لهوانهم علي
ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا لم تكلمه الدنيا ولم
تطعمه الهوى واعلم انه لم يتزين لي العباد بزينة هو ابلغ من الزهد
في الدنيا فانها زينة المترفين المتقين عليهم منها لباس يبرقون به
من السكينة والخشوع سيماهم في وجوههم من اثر السجود اولئك اوليائي
حقا فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك و
لسانك وذكر الحديث وقال الامام احمد ساعون بن جابر قال
سمعت محمد بن داود عن ابيه عن وهب قال قال الحواريون يا
عيسى من اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الذين
نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها والذين نظروا الى
الى آجل الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها فاماتوا منها ما يخشون
ان يميتهم وتركوا ما علموا ان سيتركهم فصار استكثارهم منها استقلالا
وذكرهم اياها فواتا وفرحهم باصابوا منها حزنا فاعارضهم من
نائلها رفضوه وما عارضهم من رفعتها بغيا تضعوه خلقت
الدنيا عندهم فليسوا يجددونها وخربت بينهم فليسوا يعمرونها
وماتت في صدورهم فليسوا يحيونها يهدمونها فيبنون بها
اخرتهم ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم عرفضوها فكانوا

فيها هم الفرحين ونظروا الى اهلها صرعى قد حلت بهم المثلات فاحيوا
ذكر الموت واماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون
بنوره ويضيئون به لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب بهم قام
الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب
وبه علموا ليسوا يرون نائلا مع ما نالوا ولا امانا دون ما يرجون
ولا حق فادون ما يحذرون وحدث يوسف بن اسباط عن سليمان ابن المغيرة
عن ثابت قال قيل لعيسى بن مريم لو اتخذت حمارا تركبه لحاجتك
قال انا اكرم على الله ان يجعل لي شيئا يشغلني به وقال اجعلوا كنوزكم
في السماء فان قلب المرء عند كنزه وقال اتقوا فضول الدنيا فان فضول
الدنيا عند الله رجس وقال يا بني اسرائيل اجعلوا بيوتكم كمنازل
الاضياف فانكم في العالم من منزل ان انتم الا عابري سبيل وقال يا
معشر الحواريين ايكم يستطيع ان يبني على موج البحر دارا قالوا يا روح
الله ومن يقدر على ذلك قال اياكم والدنيا فلا تتخذوها قرارا وقال
اكل خبز البر وشرب ماء العذب ونوم على المزابل مع الكلاب كثير لمن يريد
ان يرث الفردوس قال احمد وشاهد عن الاعمش عن خيثمة قال قال
المسيح عليه السلام بشدة ما يدخل الغني الجنة وقال المسيح عليه السلام
حلاوة الدنيا مرارة الاخرة ومرارة الدنيا حلاوة الاخرة وقال يا بني اسرائيل
تهاونوا بالدنيا تهن عليكم واهينوا الدنيا تكرم عليكم الاخرة ولا تكرموا
الدنيا تهن عليكم الاخرة فان الدنيا ليست باهل الكرامة وكل يوم تدعوا
الى الفتنة والخساره وقال اسحق بن هانئ في مسايله قال ابو عبد الله وانا
اخرج من داره قال الحسن اهينوا الدنيا فوالله لاهنا ما كانت حين
تهان وقال الحسن والله ما ابالي شرقت ام غربت قال وقال ابو عبد الله

يا اسحق ما

يا اسحق ما اهون الدنيا على الله عز وجل وقال الدنيا قليلها يجر الى كثيرها
لا يجزي قالوا وقد تواتر عن السلف ان حب الدنيا راس كل خطيئة واصلها
وقد روي في حديث مرفوع لا يثبت ولكنه يروى عن المسيح قال عبد الله
ابن احمد ثنا عبيد الله بن عمر القواريري ثنا معاذ بن هشام حدثني ابي
عن بديل بن ميسرة قال حدثني جعفر بن خرقاء ان عيسى بن مريم قال
راس الخطيئة حب الدنيا والناتجة الشيطان والفرجاع كل شر وقال
الامام احمد ثنا عمر بن سعد ابو داود الحفري عن سفيان قال كان عيسى
ابن مريم عليه السلام يقول حب الدنيا اصل كل خطيئة والمال فيها اكبر
قالوا وما داوه قال لا يسلم منها الا قليل قالوا فان سلم قال يشغله اهلا
عن ذكر الله عز وجل قالوا وذلك معلوم بالتجربة والمشاهدة فان جبها
يدعوا الى كل خطيئة ظاهرة وباطنة ولا سيما خطيئة يتوقف تحصيلها
عليها فيكثر عاشقها حبها عن علم تلك الخطيئة وقبحها وعن كراهتها
واجتنابها وحبها يوقع في الشبهات ثم في المكروهات ثم في المحرمات
وطالما اوقع في الكفر بل جميع الامم المكذبة لانبيائهم انما حملهم على الكفر بهم
وهذا كله حب الدنيا فان الرسل لما نهوهم عن الشرك والمعاصي التي
كانوا يكسبون بها الدنيا حلهم حبها على مخالفتهم وتكذيبهم فكل خطيئة
في العالم اصلها حب الدنيا ولا تنس خطيئة الابوين فدليا فانا كان
سببها حب الخلود في الدنيا ولا تنس ذنب ابليس وسببه حب الرياسة
التي ممتها شر من محبة الدنيا وبسببها كفر فرعون وهامان وجنودهما
وبحب الجاه والرياسة حسد اليهود فحب الدنيا والرياسة هو الذي عمر النار
باهلها والزهد في الدنيا والرياسة هو الذي عمر الجنة باهلها والسكر بحب
الدنيا اعظم من السكر بشرب الخمر بكثير وصاحب هذا السكر لا يفيق منه

الا في ظلمة اللحد ولو انكشف عنهم غطاؤه في الدنيا لعلم ما كان فيه من السكر
وانه اشد من سكر الخمر والدنيا تسمى العقول اعظم سحر قال الامام احمد
سألت سيارا جعفرا قال سمعت مالك بن دينار يقول اتقوا السمارة فانها
تسحر قلوب العلماء وقال يحيى بن معاذ الرازي الدنيا خمر الشيطان من
سكر منها فلا يفيق الا في عسكر الموتى نادما من الخاسرين واقل ما في
حبها انه يلهي عن حب الله وذكره ومن الهاه ما له عن ذكر الله فهو من
الخاسرين واذا الهاها القلب عن ذكر الله سكنه الشيطان وصرفه حيث
اراد ومن فقههم في الدين انه يرضيه بعض اعمال الخير ليريه انه يفعل
فيها الخير وقد تعبد لها فقلبه فارغ يقع ما يفعله من البر مع تعبده
لها وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا عليه فقال لعن الله
عبد الدينار والدرهم وقال تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم ان
اعطي رضي وان منع سخط وهذا تغيير منه صلى الله عليه وسلم وبيان
لعيوبها وقد عرضت الدنيا على النبي صلى الله عليه وسلم بخزائنها
وتعرضت له فدفع بأي صدرها بالدين ورد دها على عقبها ثم عرضت
بعده على اصحابه وتعرضت لهم فمنهم من سكر سيله ودفعها عنه وهم
القليل ومنهم من استعرضها وقال ما فيك قالت في الحلال والشبهة
والمكروه والحرام فقالوا هات حلالك ولا حاجة لنا في بعضه فاخذوا
حلالها ثم تعرضت لمن بعدهم فطلبوا حلالها وحده فقالت قد ذهب
به من قبلكم فاخذوا مكروهها وشبهها ثم تعرضت لمن بعدهم فطلبوا
حلالها فلم يجدوه فطلبوا شبهها ومكروهها فقالت قد اخذه من
قبلكم قالوا فهات حرامك فاخذوه فطلبه من بعدهم فقالت هو في
ايدي الظلمة قد استأثروا به عليكم فتحيلوا على تخليصه منهم بكل حيلة

والرهبة

والرهبة فلا يجد فاجر يده الى شيء من الحرام الا وجد فاجر منه واقوى
قد سبقه اليه هذا وكلهم ضيوف وما بايديهم عارية كما قال ابن مسعود
ما اصبح احد على الدنيا الا اضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية
مؤداة قالوا وانما كان حب الدنيا راس الخطايا ومفسد الدين من
وجوه احدها ان حبها يقتضي تعظيمها وهي حقيرة عند الله ومن
اكبر الذنوب تعظيم ما حقره الله وثانيها اعراض القلب عنها ومقتها وابغضها
الا ما كان لله فيها ومحب ما لعنه الله ومقته وابغضه فقد تعرض
للمقت والغضب وثالثها انه اذا احبها صيرها غاية وتوسل اليها
بالاعمال التي جعلها الله وسائل البر والى الدار الاخرة فعكس الامر و
قلب الحكمة فانكس قلبه وانعكس سيره الى الوراء فهما امران احدهما
جعل الوسيلة غاية والثاني التوسل باعمال الاخرة الى الدنيا وهذا امر
معكوس من كل وجه وقلب منكوس غاية الانتكاس وهذا هو
الذي انطبق عليه حد والقرة بالقرة قوله ثم من كان يريد بها
الدنيا ونيتها نوف اليهم اعمالهم وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين
ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون
وقوله ثم من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم
جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا وقوله ثم من كان يريد حرث
الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة
من نصيب فهذه ثلاث ايات يفسر بعضها بعضا وتدل على معنى وا
حد وهو ان من اراد بعمله الدنيا وزينتها دون امر والدار الاخرة
فحكمه ما اراد وهو نصيبه ليس له نصيب غيره والاحاديث في هذا
الله صلى الله عليه وسلم مطابقة لذلك معتبرة كحديث ابي هريرة في الثلاثة
الذين اول من تسعر بهم النار الغازي والمتصدق والقارئ الذين اراد وا
بذلك الدنيا والصيت وهو في صحيح مسلم وفي سنن النسائي عن ابي امامة

رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
رجل غزا يلتمس الاجر والذكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شيء له
فاعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شيء له
ثم قال ان الله تعالى لا يقبل الا ما كان خالصا وابتغي به وجهه فهذا
قد حبط عمله وبطل اجره معناه قصد حصول الاجر لما ضم اليه قصد
الذكر بين الناس فلم يخلص عمله لله فبطل كله وفي مسند الامام احمد
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله الرجل يريد
الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا اجر له فاعظم ذلك الناس وقالوا للرجل عد الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعلك لم تفهم فعاد فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اجر
له ثم عاد الى الرجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من الدنيا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اجر له ثم عاد الثالثة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا اجر له وفي المسند ايضا وسنن النسائي عن
عبادة بن الصامت رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من غزا في سبيل الله عز وجل وهو لا ينوي في غزوته الا عقالا
فله ما نوى وفي المسند والسنن عن يعلى بن منبه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبعثني في سرايا فبعثني ذات يوم في سريته وكان
رجل يركب بطلا فقلت لما رأى الرجل فان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعثني
في سريته فقال ما انا بخارج معك حتى تجعل لي ثلاثة دنانير ففعلت
فلما رجعت من غزاتي ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ليس لمن غزا لله هذه ومن دنياه واخرته الا ثلاث دنانير
وفي سنن ابي داود ان عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال يا رسول الله
اخبرني عن الجهاد والغزو فقال يا عبد الله بن عمرو ان قاتلت

صابرا

صابرا محتسبا بعثك الله صابرا محتسبا وان قاتلت مرائيا مكاثرا بعثك الله
مرائيا مكاثرا يا عبد الله بن عمرو على اي حال قاتلت او قتلت بعثك
الله على تلك الحال وفي المسند والسنن عن ابي ايوب رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستفتح عليكم الامصار
وتضربون فيها بعرثا فيكره الرجل منكم البعث فيخلص من قومه ويعرض نفسه
على القبائل يقول من الكفيه بعث كذا وكذا الا وذلك الاجير الى الحاجز
قطرة من دمه فانظر يا مخبر الدنيا ما ذخرت هذا الجاهد المجاهد من
الاجر وانفسه عليه عمله وجعلته اول الداخلين الى النار وفصل
ورابعها ان محبتها تعترض بين العبد وبين فعل ما يعود عليه بنفعه
في الاخرة باشتغاله عنه بمحبوبه والناس هنا مراتب فمنهم من يشغله
محبوبه عن الايمان وشرائعه ومنهم من يشغله عن الواجبات التي تجب
عليه لله وللخلق فلا يقوم بها ظاهرا ولا باطنا ومنهم من يشغله حبها
عن كثير من الواجبات ومنهم من يشغله عن واجب يعارض تحصيلها
او اقام بغيره ومنهم من يشغله عن القيام بالواجب في الوقت الذي
ينبغي الوجه الذي ينبغي فيفرط في حقوقه ومنهم من يشغله عن
عبودية قلبه في الواجب وتفريغه لله عند اداءه فيؤديه ظاهرا
لا باطنا وايم هذا في عشاق الدنيا ومحبيها هذا من انذرلهم واقل
درجات حبها ان يشغل عن اعظم سعادة العبد وهو تفريغ قلبه
لحب الله ولسانه لذكره وجمع قلبه على الله وجمع قلبه ولسانه على الله
فعشاقها ومحبتها يضر بالاخرة ولا بد كما ان محبة الاخرة تضر بالدنيا
وفي هذا حديث حديث قدوي مرفوعا من احب دنياه اضر
باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى فصل
وخامسها ان محبتها تحجبها اكبر هبة العبد وقد روى الترمذي في جا
منغير من حديث انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله

من كانت الاخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا
وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه
شمله ولم يأته من الدنيا الا ما قدر له فصل وساد سها ان محبها اشد
الناس عذابا بها وهو معذب في دوره الثلاثة معذب في الدنيا بتحصيلها
والسعي فيها ومنازعة اهلها وفي دار البرزخ بفواتها والحسرة عليها
وكم بينه وبين محبوب يعلم وجد لا يرجو اجتماعه به ابدا ولا يحصل
له هناك محبوب يعوضه عنه فهو اشد الناس عذابا في قبره بعد الهم والغم
والحزن والحسرة في روحه ما تعمل الديدان وهوام الارض في جسمه قال
الامام احمد حدثنا اسمعيل بن عبد الكريم ثنا عبد الصمد بن معقل عن
وهب بن منبه ان حزقيل كان ممن ساحت به فذكر عنه خبرا طويلا
وفي اخره قال بينا انا يوما على شط الفرات اذا اتاني ملك فاخذ برأسي
فاحتملني حتى وضعني بقاع من الارض قد كانت معركة قتل فيها اذا
فيه عشرة آلاف قتيل قد بددت الطير والسباع لحومهم وفرقت اوصالهم
قال لي اي قومي ايزعمون انه مات منهم وقتل فقد استكملت مني وذهبت
عني قدر بقي فاذا هم قال حزقيل فدعوتهم فاذا كل عظم قد اقبل الى مفصله
الذي استطع منه ما الرجل صاحبه يعرف من العظم بمفصله الذي فارقه
حتى ام بعضها بعضا ثم نبت عليها اللحم ثم نبت عليها العروق ثم انبطت
الجلود وانا انظر اليه كذلك ثم قال ادع لي ارواحهم قال فدعوتها فاذا كل روح
قد اقبل الى جسده الذي فارق فلما جلسوا سألته فيم كنتم قالوا انا لما
متنا وفارقنا الحياة لقينا ملكا فقال هلموا اعمالكم وخذوا اجوركم
كذلك سننا فيكم وفيمن كان قبلكم وفيمن كاين بعدكم قال فنظرنا في
اعمالنا فوجدنا نعبد الاوثان فسلط الدود على اجسادنا وجعلت
الارواح تالم وسلط الغم على ارواحنا وجعلت اجسادنا تالم
فنحن كذلك نعذب حتى دعوتنا ولا يستريح عاشق الدنيا فقولوا لهم

نعبد الاوثان

نعبد الاوثان فسياه عبادة الاثمان وعبادة الاوثان تعس عبد
الدينار تعس عبد الدرهم والمقصود ان محب الدنيا يعذب في قبره
ويعذب يوم القيامة ربه تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد
الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون قال بعض السلف
يعذبهم بجمعها وتزهق انفسهم بجمعها وهم كافرون بمنع حق الله منها فصل
وسابعها ان عاشقها ومحبها الذي يؤثرها على الاخرة من اصغر الخلق واقلهم
عقلا اذا اثر الفاني على الكيتة والمنام على اليقظة والظل الزايل على النعيم المقيم
والدار الفانية على الدار الباقية وباع حياة الابد في ارغد عيش بحياة
ايامها احلام نوم او كظل زايل ان اللبيب بمثلها لا يخدع كما نزل اعرابي
بقوم فقدموا له طعاما فاكل ثم قام الى ظل خيمة فنام فاستكمل الغيبة قاصبا بتر
الشمس فانتبه وهو يقول

وان امرأ دنياه اكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور وكان بعض السلف
يتمثل بهذا البيت

يا اهل لذات دنيا لا ثبات لها ان اغتراركم بالظل زايل حمق

قال يونس بن عبد الاعلى ما شبهت الدنيا الا برجل نام فرأى في منامه
ما يكره وما يحب فبينا هو كذلك استيقظ وقال ابن ابي الدنيا حدثني ابو
علي الطائي ثنا عبد الرحمن المحاربي عن ليث قال لقي عيسى بن مريم
الدنيا في صورة عجوز عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم
احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلته
فقال لغيرك اكون اخسر بورا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون ويلزمون
كيف اهلكتهم واحدا واحدا ولا يكونون امنك على انفسهم

ارى اشقياء الناس لا يسأمونها ... على انهم فيها عراة وجوع
اراها وان كانت تحب فانها ... سحاب صيف عن قليل تقشع

اشبه شيء في الدنيا الظل تحسب له حقيقة فانه تزيد وتحسبه ساكنا وهو
في تقلص وانتقاص وتتبعه لتدركه فلا يلحقه واشبه الاشياء بها السراب
يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه
حسابه والله سريع الحساب واشبه الشيء بها المنام يرى فيه العبد ما يحب
وما يكره فاذا استيقظ علم ان ذلك لا حقيقة له واشبه الاشياء بها امرأة
عجوز رثة قبيحة المنظر والمخبر عزباء بالازواج تزينت للخطاب كل زينة
وشمرت كل تشمير فاغتر بها من لم يعاود نظرها فعلق النكاح فقالت
لامهر الا نفسك الا حرة فانا صرة وحنا عاقر ما دون فيروز الا مفتاح
فانثر الخاطب العاجلة وقال ما عسى من وصل حبيبته من جناح الكسف
فتاعها وحل ازارها اذا اكل فاذا وثبة فمنهم من طلق واستراح ومنهم من
اختار المقام فاستمتع ليلة عرسه الا بالعويل والصياح رتالله
لقد اذن مؤذنها على رؤس الخلايق بحرعلى غير الفلاح فقام المتهدون
والمصلون لها فوا صلوا في طلبها العدو بالرواح وسرى العقوم ليله فلم
يحمد القوم السرى عند الصباح طاروا في صيدها فارجع لحد منهم الا
وهو مكسور الجناح فوقعوا في شكتها فاستلمتهم للذباح قال ابن ابي
الدنيا ثنا محمد بن علي بن شقيق ثنا ابرهيم بن الاشعث قال سمعت الفضيل
بن عياض يقول قال ابن عباس رضي الله عنهما يؤتى بالدنيا يوم القيمة في
صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوهة خلقها فتشرف على الخلايق
فيقال تعرفون هذه فينكرونها فيقال هذه
الدنيا التي تشاجرتم عليها بالتقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم
واغتررتم بها تقذف بها في النار فتنادي يا رب اين اتباعي واشياعي فيقول
الله عز وجل الحقوا بها اتباعها واشياعها قال ابن ابي الدنيا وثنا اسحق
ابن اسمعيل ثنا روح ابن عبادة ثنا عوف عن ابي العلاء قال ليست
في النوم عجيبة كبيرة عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها

متعجبون

متعجبون ينظرون اليها فجيء فنظرت فتعجبت من نظرهم اليها و
اقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت انا من تعرفين قلت لا قالت
انا الدنيا قلت اعوذ بالله من شرك قالت فان احببت ان تعاذ من
شري فابغض الدرهم قال ابن ابي الدنيا وحدثني ابرهيم بن سعيد
الجوهري ثنا سفيان بن عيينة قال لي ابو بكر ابن عياش رايت
الدنيا في النوم عجوزا مشوهة شمطاء تضغن يديها وخلفها خلق يتبعون
ويتصنتون وبين قصوص فلما كانت بحذائي اقبلت علي فقالت لو ظفرت
بك ما صنعت بك ما صنعت بهؤلاء ثم بكى ابو بكر قال وسامحمد بن علي
سامابرهيم بن الاشعث قال سمعت الفضيل قال بلغني ان رجلا عرج
بروحه قال فاذا بامرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة الدنيا
واذا هي لا يمر بها احد الا جرحته واذا هي ادبرت كانت اخس شيء
وعجوز راءاها الناس واذا اقبلت اقبح شيء تعوذ استعاذ زرقاء عمشاء
فقلت اعوذ بالله قالت لا والله لا يعيذك الله حتى تبغض الدرهم
قال قلت من انت قالت انا الدنيا ووصف على وضي الله عنه الدنيا
فقال دار من صح فيها قدم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها
فتن في حلالها الحساب وفي حرامها النار وقال ابن مسعود الدنيا
دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وذكر ابن ابي
الدنيا ان لعمر بن عبد العزيز ما بعد فان الدنيا دامت
ظعن ليست بدار اقامة وانا انزل ابن ادم اليها عقوبة فاحذروها
يا عباد الله حين فان المزاد منها تركها والغنى فيها فقرها فخذوا من
حين قبيل تذل من اعزها وتفقر من جمعها هي كالسم اكله من لا
يعرف وهو حتفه فكن فيها كالمداوي جراحاته تحتمي قليلا مخافة
ان يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء فاحذروها

هذه الدار الغرارة الخيالة الخداعة التي قد تزينت بغدرها وفتنت
بغرورها وخيلت بامالها وتشوقت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلوة
فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي
لازواجها كلهم قاتلة فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الاخر بالاول
مزدجر والعاقل بها مستوحش حين يخبره عنها من قد ذكر فالعاشق لها
قد ظفر منها بما حتر فاغتر وظفر ونسي المعاد فشغل فيها بما حتر زلت
عنها قدم فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات
الموت والمه وحسرات الفوت وتغصر فذهب بكمده ولم يدرك منها
ما طلب ولم يرح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد
فاحذروها يا امير المؤمنين واشد ما يكون فيها حذرا ما يكون لها فان
صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور اشخصته الى مكروه والى ثار فيها
غدا ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء فرزؤها
مشوب بالحزن لا يرجع منها الى ما ولى فادبر ولا يدري ما هو آت
فينتظر امانيها كاذبة واملها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد
فلو كان الخالق لها لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا لكانت قد
ايقظت النائم وبهتت الغافل فكيف وقد جاء من الله عز وجل زاجر
وفيها واعظ فاما الله عز وجل فقد والاد زجرا ما نظر اليها منذ
خلقها ولقد عرضت على نبينا صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه
عند الله جناح بعوضة فابى ان يقبلها كره ان يحب ما ابغض خالقه او
يترفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها للاعداء
اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع
الله لمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه وقال الحسن ابن آدم
لا تعلق قلبك بالدنيا فتعلقه بشيء معلق قطع حبالها وغلق ابوابها

حسبك

حسبك يا ابن آدم منها ما بلغك المحل وكان يقول ان في ملاكر مر الدنيا
فضلتهم على الكلب فاهنئوها فاهنأ ما يكون اذا لاهتموها فيها
هيهات ذهبت الدنيا وبقيت الاعمال قلايد في الاعناق وقال
المسيح عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا واعبروها ولا
تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة اورثت
حزنا طويلا ما سكنت الدنيا في قلب عبد الا التاط قلبه منها بثلاث
شغل لا ينفك عنه وفقر لا يدرك غناه وامل لا يدرك منتهاه الدنيا
طالبة ومطلوبة فطالب الاخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه
وطالب الدنيا تطلبه الاخرة حتى يجيئه الموت فتاخذ بحنقه يا معشر
الحواريين اما ضمنا بدين الاخرة الدنيا مع سلامة الدين كارضا اهل
الدنيا بدين الدين مع سلامة الدنيا وقال ابن ابي الدنيا ثنا هارون
ابن عبد الله ثنا سيار ثنا جعفر يعني ابن سليمان قال قال مالك بن دينار قال ابو هريرة
رضي الله عنه الدنيا هو قوم ترى السماء والارض منذ خلقها الله لم ار
يوم بينها تناد ربها يا رب لم تبغضني فيقول اسكتي يا لاشيء اسكتي
يا لاشيء وقال الفضيل يجيء الدنيا يوم القيمة تختر في زينتها و
نضرتها فتقول يا رب اجعلني لاخسس عبادك دارا فيقول لا
ارضاك لذات لاشيء فلو في هباء منثور فصل في ذكر امثلة
تبين حقيقة الدنيا المثال الاول للعبد ثلاثة احوال حالة لم يكن
فيها شيئا وهي ما قبل ان يوجد وحال اخر وهو من ساعة مولده
الى ما لا نهاية له في البقاء اكثر مدته فلنفسه وحق ومعد خروجها
منها بدن اما في الجنة واما في النار ثم تعاد الى بدنه فتجازى بعمله
ويسكن احد الدارين في خلود ابدا ثم بين هاتين الحالتين

وهي ما قبل وجوده وما بعد موته حال الزمن سلطة وهي ايام حياته
في الدنيا فانظر الى مقدار عمر الدنيا ومن رأى الدنيا بهذه العين لم
يركن اليها ولم يبال كيف تقضت ايامه فيها في ضر وضيق او سعة ورفاهية
ولهذا لم يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنة على لبنة ولا قصبة
على قصبة وقال مالي والدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجرة
ثم راح وتركها وقال ما الدنيا في الآخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه
في اليم فلينظر بم ترجع والى هذا اشار المسيح عليه السلام بقوله الدنيا
قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهذا مثل صحيح فان الحياة الدنيا ممر
الى الآخرة والمهد هو الركن الاول على اول القنطرة واللحد هو الركن الثاني
في على آخرها ومن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثيها
ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيف ما كان
فلا بد من العبور ومن وقف يبني على القنطرة ويزينها باصناف
الزينة وهو يستحث للعبور فهو في غاية الجهل والحمق فصل
المثال الثاني شهوات الدنيا في القلب كشهوات الاطعمة في المعدة
وسوف يجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والمقت
والتبع ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا انتشرت في المعدة غايتها وكما
ان الاطعمة كلما كانت الذ طعما واكثر دسما وحلاوة كان رجيعها اقذر
فكذلك كل شهوة كانت في النفس الذ واقوى فالتاذي بها عند الموت
اشد كما ان تجرع الانسان محبوبه اذا افتقده يبقى بقدر محبة المحبوب
وفي المسند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان البست
تموت بطعامك وتقدم وترحل لم تشرب بعده الماء والتين قال بلى
قال فالام يصير قال الى ما قد علمت قال فان الله عز وجل ضرب

مثل الدنيا

مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن ادم كان بعض السلف يقول لاصحابه انطلقوا حتى اريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول لهم
انظروا الى ثاركم ودجاجكم وعسلكم وسمنكم فتصل تلك الى الثاني
تلك لها واولادها في اشتغالهم بتغييرها عن الآخرة وما يعقبهم من
الحسرات مثل اهلها في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى
جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم الابطاء
وخوفهم مرور السفينة فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم
حاجته وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ اوسع
الاماكن واليناها وافنيها لمراده ووقف بعضهم في الجزيرة ينظر
ازهارها واثمارها العجيبة ويسمع نغمات طيورها ويعجب
حسن احجارها ثم حدثته نفسه بفوت السفينة وسرعة مرورها
وخطر هذا بباله فلم يعاد فاذا الاماكن ضيقا فجلس غير واكب بعضهم
على تلك الاحجار الحسنة والازهار الفائقة فحمل منها حملا فلما جاء
لم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزاده ما حمله ضيقا فصار يحمل
ثقلا عليه وربما الاولى يقدر على نبذه بل لم يجد من حمله بدا ولم
يجد له في السفينة موضعا فحمله على عنقه وندم على اخذه فلم ينتفع
النداء ثم ذبلت الازهار وتغيرت اثمارها واذا منتنها و
تولع بعضهم في تلك الغياض ونسي السفينة وابعد في نزهته حتى
اذا الملاح نادى بالناس عند رفع السفينة ثم يبلغه صوته لاشتغاله
بملاهيه فهو تارة يتناول من الثمر وتارة يشم تلك الانوار و
تارة يتعجب من حسن الاشجار وهو على ذلك خائف من
سبع يخرج عليه غير متفكر في شوك يتشبث بثيابه وبين خلل قدميه

او غصن يجرح يديك او عوسج يخرق ثيابك ويدميك فمر تدا وصرت
هابيل يفر حذرا من هؤلاء من لحق السفينة ولم يبق فيها موضع فاتت
على الساحل ومنهم من شغله لهوه فافترسته السباع ونفشت فيه
ومنهم من تاه فنام على وجهه حتى هلك فهذا مثال الدنيا في اشتغالهم
بحظوظها العاجلة ونسيانهم موردهم وعاقبة امرهم وما اقبح بالعاقل
ان تنزع احجار بصير هيا قد شغل بالبرد عن قد عن نجاته
ولم يعجبه فصل المثال الرابع لاعتبار الناس بالدنيا وصفة
ايامهم بالاخرة قال ابن ابي الدنيا اخبرنا اسحق بن اسمعيل بن روح
بن عبادة ثنا هشام بن حسان عن الحسن قال بلغني ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال للاصحابه انما مثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا
مفازة عجراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر مما بقي انفدوا
الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فاذا
يقتلوا بالهلكة فبينا هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر راسه
فقالوا ان هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب قال
فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء علام اصبحتم قالوا على ما ترى قال اراكم
ان هديتكم الى ماء وريا ض خضر ما تجعلون لي قالوا لا نعصيك شيا
قال عهودكم ومواثيقكم بالله قال فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله
لا يعصونه شيا قال فاوردهم ماء وريا ضا خضرا قال فمكث فيهم
ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء الرحيل قالوا الى اين قال الى ما ليس كمائكم
والا رياضكم ليست كرياضكم قال فقال جل القوم وهم اكثرهم والله
ما وجدنا هذا حتى ظننا ان لا نبرحه وما نصنع بعيش خبيث
هذا قال وقالت طائفة وهم اقلهم لم تعطوا هذا الرجل عهودكم
ومواثيقكم

ومن اثيلم بالله لا تعصونه شيا وقد صدقتم في اول حديثه فوالله
ليصدقنكم في اخره فخرج فانطلق فاتبعه وتخلف بقيتهم فيذرهم
عدوهم فاصبحوا من بين اسير وقتيل وفصل المثال الخامس للدنيا
واهلها وما مثلها بما بر النبي صلى الله عليه وسلم كظل شجرة والمرء مسافر فيها
الى الله فاستظل في ظل تلك الشجرة في يوم صائف ثم راح وتركها فاتاها
ملحسن هذا المثل ومطابقته للواقع سواء فانها في خضرتها كالشجرة
وفي سرعة انقضائها وقبضها شيا فشيا كالظل والعبد يسافر الى
ربه والمسافر اذا راى شجرة في يوم صائف لا يحس بد ان يبيت تحتها
دارا ولا يتخذها قرارا بل يستظل بها بقدر ما حاجته ومتى زاد
على ذلك انقطع عن الرفاق وفصل المثال السادس تمثيله لها صلى
الله عليه وسلم بمدخل اصبعه في اليم فالذي ترجع به اصبعه من البحر
هو مثل الدنيا بالنسبة الى الاخرة وهذا ايضا من احسن الامثال
فان الدنيا منقطعة فانية ولو كانت مدتها اكثر مما هي والاخرة
ابدية لا انقطاع لها ولا نسبة للمحصور الى غير المحصور بل لو فرض
ان السموات والارض مملوءتان خردلا وبعد كل الف سنة طائر يلتقط خردلة
فيذهب بها حتى يفنيها خردلا والاخرة لا تفنى فنسبة الدنيا الى الاخرة في التمثيل كنسبة
خردلة واحدة الى ذلك الخردل وهذا لو ان البحر يمد من بعده
سبعة ابحر واشجار الارض كلها اقلام يكتب بها كلام الله لنفدت الابحر
الاقلام ولم تنفد كلمات الله لانها لا بداية لها ولا نهاية والابحر والاقلام
متناهية قال الامام احمد وغيره اي ان الله متكلم اذا شاء وكلامه
الذي هو مقتض لكلامه وكلامه من لوازم ذاته فلا يكون الا كاملا
والمتكلم اكمل من لا يتكلم وهو سبحانه لا يحتمل كمال ولا تعب ولا نقص
من الكلام وهو يخلق ويدبر بكلمة وكلماته هي التي اوجدها
خلقا وامرا وذلك حقيقة ملكه ومن مقتضى ملكه والهيته وهذا لا يكون

فصل المثال الثامن ما رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن سليمان
ابن يسار عن ميمونة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعمرو بن العاص الدنيا حلوة خضرة فمن اتقى الله فيها واصلح والافهي
كالاكل ولا يشبع وبين الناس في ذلك كبعد الكوكبين احدهما يطلع في
المشرق والاخر يغيب في المغرب فنبه بخضرتها على استحسان العيون
لها وبحلاوتها على استلذاذ الصدور لها وتلك الخضرة والحلاوة زينت
لاهلها وحببت اليهم لاسيما وهم مخلوقون منوعون فيها كما قيل

نحب بنا الدنيا ومنها بنا تنا وما انت منها فهو شيء محبب

وجعل الناس فيها قسمين احدهما متقن مصلح متقو فهذا تقواه و
اصلاحه لا يبعانه يتهمك عليها ويثيره فيها ويأخذ ما من غير حلها
ويضعها في غير حقها فان لم يتقن ويصلح صرف نهمته وقواه وحرصه الى
تحصيلها فكان كالذي يأكل ولا يشبع وهذا من احسن الامثلة فان
المقصود من الاكل حفظ الصحة والقوة وذلك تابع لقدر الحاجة
وليس المقصود منه ذاته ونفسه فمن جعل نهمته وقوته مقصوده لم
يشبع ولهذا قال الامام احمد الدنيا قليلها يجر كثيرها لا يجزي
واخبر عن تفاوت الناس في المنزلتين اعني منزلة التقوى والاصلاح
ومنزلة الاكل والشره وان بين الرجلين في ذلك كما بين الكوكبين الغائر
في الافق والطالع منه وبين ذلك منازل متفاوتة فصل المثال
التاسع ما تقدم من حديث المستورد بن شداد رضي الله عنه قال كنت
مع الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه هانت على اهلها حتى
القوها قالوا من هوانها القوها يا رسول الله قال فوالذي نفس محمد
بيده للدنيا اهون على الله عز وجل من هذه على اهلها قال الترمذي
حديث حسن صحيح فلم يقتصر صلى الله عليه وسلم على تمثيلها بالسخلة الميتة

بل جعلها اهون على الله منها وفي مسند الامام احمد في هذا الحديث فو
الذي نفسي بيده للدنيا عند الله اهون عليه من هذه على اهلها
فاكد ذلك بالقسم الصادق فاذا كان مثلها عند الله اهون واحقر من
سخلة ميتة على اهلها فحبها وعاشقها اهون على الله من تلك السخلة سو
كونها سخلة اهون عليهم من كونها شاة كبيرة لان تلك ربما انتفعوا
بصوفها او دبغوا جلدها واما ولد الشاة صغيرا ميتا فهي غاية الهوان
فاسر المستعان فصل المثال العاشر مثلها مثل البحر الذي لا بد للخلق
كلهم من ركوبه ليقطعوه الى الساحل الذي فيه دورهم واوطانهم ومستقرهم
ولا يمكن قطعه الا في سفينة النجاة فامر الله سبحانه نوحا عليه السلام اتخاذ
سفينة النجاة وتأمر حتى جعلها وركب فيها وهي طاعته عز وجل وطاعة رسله
وعبادته وحده واخلاص العمل والتشمير للاخرة وارادتها والسعي لها
سعيها فنهض الموفقون وركبوا السفينة ورغبوا عن خوض البحر لما علموا
انه لا يقطع خوضا ولا ساحة واما الحمقى فاستصعبوا عمل السفينة والا تها
والركوب فيها وقالوا نخوض البحر فاذا عجزنا قطعناه سباحة وهم اكثر
اهل الدنيا فخاضوه فلما عجزوا عن الخوض اخذوا في السباحة حتى تلاطم بهم
الغرق ونجى اصحاب السفينة كما نجا نوح ومن معه واغرق اهل الارض فتامل
هذه الدنيا وحال اهل الدنيا فيها يتبين لك مطابقة المثال للواقع وقد
ضرب هذا المثل للدنيا والاخرة والتدبر والامر فان التدبر والامر
في سفينة لا ينجوا الا من ركبها فصل المثال الحادي عشر مثلها مثل اناء
مملوء عسلا اتى الذباب فاقبلت تخوضه فبعضها قتل على حافة الاناء
وجعل يتناول من العسل حتى اذا اخذ حاجته ثم طار وبعضها جلس
الشرة على ان يرجع في الاناء ويسبطر فلم يتمكن منه فاسر فيه
ان يتغذى بها الا قليلا حتى هلك في وسطه فصل المثال الثاني عشر
مثال الحب فقد نشر على وجه الارض وجعلت كل حبة في فخ وجعل حول
ذلك الحب حب ليس في فخ فجاءت الطير فمنها من تتبع ما الحب

الارنبا ملكا الها لا البر الاهو والمقصود ان الدنيا نفيسة عند الناس
الاخرة وساعة من ساعاتها فضل المثال السليم ما مثلها به صلى
الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته من حديث ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس فقال
لا والله ما اخشى عليكم الا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا فقال رجل
يا رسول الله اوياتي الخير بالشر فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اين قلت قال يا رسول الله اوياتي الخير بالشر فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الخير لا ياتي الا بالخير وان ما ينبت الربيع
ما يقتل حبطا او يلم الا اكلة الخضر اكلت حتى اذا امتلأت خاصرتاها
استقبلت الشمس فثلطت وبالت ثم اجترت فعادت فاكلت فمن
اخذ مالا بحقه يبارك له فيه ومن اخذ مالا بغير حقه فمثله كمثل الذي
ياكل ولا يشبع فاخبر صلى الله عليه وسلم انما نخاف علينا الدنيا وسما
هاز هرة شبهها لها لزهرتها في طيب الرائحة وحسن منظره وقلة
مناله وان حلوه مرخص وابق منه وقوله ان مما ينبت الربيع
ما يقتل حبطا او يلم هذا من احسن التمثيل المتضمن للتحذير من الدنيا
والانهماك عليها والحرص فيها وذلك ان الماشية ترى وقد انبت الربيع
فتاكل منه بامعن فاذا هكمت حبطا والحبط انتفاخ بطن الدابة من
الامتلاء او من المرض يقال حبط الرجل والدابة يحبط حبطا اذا اصابه
ذلك ولما اصاب الحارث بن مازن بن عمرو بن تميم ذلك في سفرات
حبطا نسب اليه للحبط كما يقال السلم فكذلك الشره في المال يقتله شر هر
وحرص فان لم يقتله قارب ان يقتله وهو قوله اويلم وكثير من ارباب
الاموال انما قتلهم اموالهم فانهم شرهوا في جمعها واحتاج اليها غيرهم
فلم يصلوا اليها الا بقتلهم او ما يقاربه من اذلالهم وقهرهم واذاهم
وقوله الا اكلة اخضر هذا تمثيل لمن اخذ من الدنيا حاجته مثلا لشاة

الاكلة

الاكلة من الخضر بمقدار حاجتها اكلت حتى اذا امتلأت خاصرتاها وفي
لفظ اخر امتدت خاصرتاها وانما يمتد من امتلائها من الطعام و
ثنى الخاصرتين لانهما جانبا البطن وفي قوله استقبلت عين الشمس فثلطت
وبالت ثلاث فوائد احدها انها اذا اخذت حاجتها من المرعى تركته
وبركت مستقبلة الشمس لتتمرى بذلك مما اكلته الثانية انها اذا عرضت
عما يضرها من الشره في الرعي واقبلت على ما ينفعها من استقبالها
الشمس التي تحلل حرارتها انضاج ما اكلته واخراجه الثالثة انها
استنزهت بالبول والثلط ما جمعته من الرعي في بطنها فاستراحت
باخراجه ولو بقي فيها لقتلها فكذلك جامع المال مصلحته ان يفعل بعد
كما فعلت هذه الشاة واول الحديث مثل لشره في جمع الدنيا والحرص على
تحصيلها فمثاله مثال الدابة التي حملها شرهها الاكل على ان يقتلها حبطا
او الم بقتلها فان الشره الحريص اما هالك واما قريب من الهلاك فان
الربيع ينبت انواع البقول والعشب فيستكثر منه الدابة حتى تتلف
بطنها لما جاوزت حد الاحتمال فتشق امعاؤها وتهلك وكذلك الذي
يجمع المال من غير حله ويجمعه ويصرفه في غير حقها وآخر الحديث مثل
للمقتصد باكل الخضر الذي تتشبع الدابة باكله ولم يحملها شرهها وحرصها
على تناول ما فوقها ما يحتمل بل اكلت بقدر حاجتها وهكذا هذا اخذ
ما يحتاج اليه واقبل على ما ينفعه وضرب بول الدابة وثلطها مثلا لاخراجه
المال في حقه حيث يكون حبسه واساكه مضرا له فيحامن ويال حميم باخذ
قدر حاجته منه ويحامي وبال امساكه باخراجه كما تخف الدابة من الهلاك
بالبول والثلط وفي هذا الحديث اشارة الى الاعتدال والتوسط بين الشره
في الرعي التاثل بكثرته وبين الاعراض عنه وتركه بالكلية فتهلك جوعا
وتضمن الخبر ايضا ارشاد المكثر من المال الى ما يحفظ عليه قوته وصحته
في بدنه وقلبه وهو الاخراج وانفاقه والا يحبسه فيضره حبسه وتامر التوسط

فصل المثال الثامن ما رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن سليمان
ابن يسار عن ميمونة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعمرو بن العاص الدنيا حلوة خضرة فمن اتقى الله فيها واصلح والافهي
كالاكل ولا يشبع وبين الناس في ذلك كبعد الكوكبين احدهما يطلع في
المشرق والاخر يغيب في المغرب فنبه بخضرتها على استحسان العيون
لها وبحلاوتها على استحلاء الصدور لها وبتلك الخضرة والحلاوة زينت
لاهلها وحببت اليهم لاسيما وهم مخلوقون منوعون بها كما قيل

نحب بنا الدنيا ومنها بنا تنا ... وما انت منا فهو شيء محبب

وجعل الناس فيها قسمين احدهما متقن مصلح متق فهذا تقواه و
اصلاحه لا يمكنه ان يهلك عليها ويشره فيها ويأخذ ما من غير حلها
ويضعها في غير حقها فان لم يتق ويصلح صرف همته وقلبه وحرصه الى
تحصيلها فكان كالذي يأكل ولا يشبع وهذا من احسن الامثلة فان
المقصود من الاكل حفظ الصحة والقوة وذلك تابع للقدر الحاجة
وليس المقصود من ذاته ونفسه فمن جعل همته وقلبه مقصوده لم
يشبع ولهذا قال الامام احمد الدنيا قليلها يجزيك وكثيرها لا يجزيك
واخبر عن تفاوت الناس في المنزلتين انهما منزلة التقوى والاصلاح
ومنزلة الاكل والشرب وان بين الرجلين في ذلك كما بين الكوكبين الغائب
في الافق والطالع منه وبين ذلك منازل متفاوتة فصل المثال
التاسع ما تقدم من حديث المستورد بن شداد رضي الله عنه قال كنت
مع الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارترون هذه هانت على اهلها حتى
القوها قالوا ومن هوانها القوها يا رسول الله قال فوالذي نفس محمد
بيده للدنيا اهون على الله عز وجل من هذه على اهلها قال المنذري
حديث حسن صحيح فلم يقتصر صلى الله عليه وسلم على تمثيلها بالسخلة الميتة

بل جعلها اهون على الله منها وفي مسند الامام احمد في هذا الحديث فو
الذي نفسي بيده للدنيا عند الله اهون عليه من هذه على اهلها
فاكد ذلك بالقسم الصادق فاذا كان مثلها عند الله اهون واحقر من
سخلة ميتة على اهلها فحبها وعاشقها اهون على الله من تلك السخلة سوى
كونها سخلة اهون عليهم من كونها شاة كبيرة لان تلك ربما انتفعوا
بصرفها او دبغوا جلدها واما ولد الشاة صغيرا ميتا فهي غاية الهوان
فاسد المستعان فصل المثال العاشر مثلها مثل البحر الذي لا بد للخلق
كلهم من ركوبه ليقطعوه الى الساحل الذي فيه دورهم واوطانهم ومستقرهم
ولا يمكن قطعه الا في سفينة النجاة فارسل الله رسله تعرفهم الامم اتخاذ
سفن النجاة وتأمرهم بعملها وتركبها وهي طاعته عز وجل وطاعة رسله
وعبادته وحده واخلاص العمل له والتشمير للاخرة وارادتها والسعي لها
سعيها فنهض الموفقون وركبوا السفينة ورغبوا عن خوض البحر لما علموا
انه لا يقطع خوضا ولا ساحة واما الحمقى فاستصعبوا عمل السفينة والاتهاء
والركوب فيها وقالوا نخوض البحر فاذا عجزنا قطعناه ساحة وهم اكثر
اهل الدنيا فخاضوه فلما عجزوا عن الخوض اخذوا في الساحة حتى ادركهم
الغرق ونجى اصحاب السفينة كما نجوا مع نوح وعزقة اهل الارض فتامل
هذه الدنيا وحال اهل الدنيا فيها يتبين لك مطابقة المثل للواقع وقد
ضرب هذا المثل للدنيا والاخرة والقدر والامر فان القدر بحر والامر
فيه سفينة لا ينجو الا من ركبها فصل المثال الحادي عشر مثلها مثل اناء
ملوء عسلا راتبا الذباب فاقبلت تخوضه فبعضها قعد على حافة الاناء
وجعل يتناول من العسل حتى اخذ حاجته ثم طار وبعضها جلد
الشرة على ان وقع بنفسه في نفس العسل ووسطه فلم يمكنه تغاسر فيه
ان يتغذى به الا قليلا حتى هلك في وسطه فصل المثال الثاني عشر
مثال الحب قد نثر على وجه الارض وجعلت كل حبة في فخ وجعل فخا
ذلك الحب ليس في فخ فجاءت الطير فمنها من تتبع بالحب

بل جعلها

ولم يرم نفسه في وسط الجب فاخذ حاجته ومضى ومنها من حمله الشره
على اقتحام معظم الجدد وسطر فاستتم التقاط الاوهى يصيح من اخذ
الفخ لم فصل المثال الثالث عشر كمثال رجل اوقد نارا عظيمة فجعلت
الفراش والجنادب يرون ضوءها فيقصدونها ويتهافتون فيها و
من لم يعلم بحالها حمل يستضيئ ويستدفئ بها من بعيد وقد اشار
النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا المثل بعينه في الحديث الذي رواه ما
لك ابنا اسمعيل عن حفص بن حميد عن معمر عن ابن عباس عن
رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ممسك بحجزكم عن
النار وتقاحمون فيها تقاحم الفراش والجنادب ويفلت منكم رجل
بحجزكم وفي لفظ اخر مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فلما اضاءت
ما حوله جعلت الجنادب والفراش يتقاحمن فيها فانا اخذ بحجزكم عن ا
النار وانتم تغلبوني وتتقاحمون فيها وهذا المثال منطبق على اهل
الدنيا المنهمكين فيها فالرسل تنعوهم الى الاخرة وهم يتقاحمون في الدنيا
تقاحم الفراش فصل المثال الرابع عشر مثل قوم خرجوا في سفر
بامداهم واهليهم فمروا بواد مخصب كثير المياه والمناكه فنزلوا بربوة وضربوا
خيامهم وبنوا هناك الدور والقصور ثم بهم رجل بصير فوقف بصيحة
وصدقة واما منذر فقال اني رايت بعيني هاتين الجيش خلف هذا
الوادي وهم قاصدوكم فاتبعوني اسلككم على غير طريق العدو فنجوا
منذر فاما عنترة طائفة قليلة فصاح فيهم يا قوم النجا النجا انتم وصاح
السامعون له باهليهم واولادهم وعشايرهم فقالوا كيف نرحل من
هذا الوادي ونفيد مواشينا وامن الناوورنا وقد استوطناه فقال
لهم الناصح ليحمل كل واحد منكم نفسه وما خف عليه من متاعه والا
نهوما خف ومالم يمتاح فتشغل عن اصحاب الجد والاموال ونساء
القوم النفيس ومفارقة ما هم عافيه من النعيم والرفاهية واسعة
وقال كل احمق لي اسوة بالقاعدين فهم اكثر مني مالا واهلا فما

اصابهم

اصابهم اصابني معهم ونهض الاقلون مع الناصح فنجوا بانفسهم
بجيش اهل الوادي فقتلهم واجتاح اموالهم وقد اشار النبي صلى الله
عليه وسلم الى هذا المثل بعينه في الحديث المتفق على صحته من
حديث ابي بردة عن ابي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال انما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى
قومه فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني وانا النذير العريان
فالنجا النجا فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا وانطلقوا على مهلهم
فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فا
هلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني فاتبع ما جئت به
ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق فصل المثال
الخامس عشر رجل هيأ دارا وزينها ووضع فيها من جميع الآلات
ودعى الناس اليها فكلما داخلها داخل اجلسه على فراشه وطرح
قدام اليه طبقا من ذهب عليه لحم ووضع بين يديه اواني مفتخره
فيها من كل ما يحتاج اليه واخدم عبيده وما ليكه فعرف الداخل
ان ذلك كله متاع صاحب الدار وملكه وعبيده فاستمتع بتلك
الآلات والضيافة مدة مقامه في الدار ولم يسبق قلبه بها ولا
حدث نفسه بتمليكها بل اعتمد مع صاحب الدار ما يعتمده
الضيف يجلس حيث اجلسه ويأكل ما قدم له ولا يتناول غ
وراء ذلك الثناء منه بعلم صاحب الدار وكرمه وما يتعلل
مع ضيوفه فدخل الدار يوما وتمتع فيها كريما وفارقها كريما ورد
الدار بغير ذام له واما الاحمق فحدث نفسه بتملك الدار
وجوز تلك الآلات الى ملكه وتصرف فيها بحسب شهوته

واراد ترفيخير المجلس لنفسه وجعل ينقل تلك الالات الى
مكان في الدار بخبائها وكلما قدم اليه ربها شيئا او التحدث تقسم
بملكه واختصاصه ببعض سائر الاضياف ورب الدار يشاهد ما
يصنع وكره ان يمنعه من اخراجه من داره حتى اذا ظن انه قد
استبد بتلك الالات وملك الدار وتصرف فيها وفي الاتها تصرف المالك
الحقيق واستوطنها واتخذها دارا لدار سل اليه مالكها عبيده فاخرجوا
منها اخراجا عنيفا وسلبوه كل ما هو غير ولم يصحبه من تلك الالات
شيء وجعل على مقت رب الدار له وافتضاحه عنده وبين ما
ليكره وحشمه وخدمه فليتامل اللبيب هذا المثال حق التامل
فانه مطابق للحقيقة والله المستعان قال عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه كل احد في هذه الدنيا ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل
والعارية مؤداة وفي الصحيحين عن انس بن مالك قال مات ابن
لابي طلحة من ام سليم فقالت لاهلها لا تحدثوا ابا طلحة بابنه
حتى اكون انا احدثه فجاء فقربت اليه عشاء فاكل وشرب ثم
تصنعت له احسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها فلما رات
انه قد شبع واصاب منها قالت يا ابا طلحة ارايت لو ان قوما
اعاروا عارتهم اهل بيت فطلبوا عاريتهم الهلهان يمنعوهم
قال لا قالت فاحتسب ابنك قال فغضب وقال تركتيني حتى
اذا تلطخت ثم اخبرتيني بابني فانطلق حتى اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبره بما كان منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بارك الله لكما في غابر ليلتكما وذكر الحديث فصل المثال السادس
عشر قوم سلكوا مفازة فاصابهم العطش فانتهوا الى بحر
وماء وامر بيّن والكحة فاشتد عطشهم لم يجدوا طعم

مرارته وملوحته فشربوا منه فلم يرووا وجعلوا كلما ازدادوا
شربا ازدادوا ظمأ حتى تقطعت اعناقهم وماتوا عطشا وعلم
عقلاؤهم انه مر ملح وانه كلما ازداد الشارب منه ازداد ظمأه فتاخر عنه
عنه مسافة حتى وجدوا ارضا حلوة بحتة وفيها الماء فنبع لهم ماء
عذب فرات فشربوا وتحملوا وطبخوا وزادوا واخوانهم الذين على حافة
البحر هلموا الى الماء الفرات وكان منهم المستهزئ ومنهم المعرض الزاهد
بما هو فيه وكان الجيب واحدا بعد واحد وهذا المثل بعينه قد ضربه
المسيح عليه السلام فقال مثل طالب الدنيا كمثل شارب ماء البحر
كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله فصل المثال
السابع عشر مثل الانسان فيها ومثل ما يرد عليه وعشيرته مثل رجل
له ثلاثة اخوة فتصيد له سفر بعيد طويل لا بد له منه فدعا اخوته
الثلاثة وقال قد خطر ما ترون من هذا السفر الطويل واحوج
ما كنت اليكم الان فقال احدهم انا كنت اخاك الى هذه الحال
ومن الان فلست لك باخ ولا صاحب وما عندي غير هذا فقال
له لم اتخذ عني شيئا فقال للاخر ما عندك فقال كنت اخاك وصاحبك
الى الان وانا معك حتى اجهزك الى سفرك وبركب راحلتك ومن
هناك لست لك بصاحب فقال له انا محتاج الى مرافقتك في
مسيري فقال لا سبيل لك الى ذلك فقال لم تغن عني شيئا فقال
للثالث ما عندك انت فقال كنت صاحبك في صحتك ومرضك
وانا صاحبك الان وصاحبك اذا ركبت راحلتك وصاحبك
في مسيرك فان سرت سرت معك وان نزلت نزلت معك واذا
وصلت الى بلدك كنت صاحبك فيها الا افارقك ابدا فقال ان
كنت لاهون الاصحاب علي وكنت اوثر عليك صاحبيك

فليتني عرفت حقك واثرتك عليها فالاول مالدوالثاني اقارنه
وعشيرته واصحابه والثالث عليه وقد روي في هذا المثل
بعينه حديث مرفوع لكنه لا يثبت رواه ابو جعفر العقيلي في
كتاب الضعفاء من حديث ابن شهاب عن عروة عن عايشة
رضي الله عنها وعن ابن المسيب عن عايشة مرفوعا وهو مثل صحيح
في نفسه مطابق للواقع فصل المثال الثامن عشر وهو من احسن
الامثلة ملك بنى دارا لم ير الراؤن ولم يسمع السامعون احسن
منها ولا اوسع ولا اجمع لكل الملاذ ونصب الهاطريقا وبعث
داعيا يدعوا الناس اليها واقعد على الطريق امرأة جميلة قد
زينت بانواع الزينة والبست انواع الحلي والحلل وامر الناس
كلهم عليها وجعل لها اعوانا وخدما وجعل تحت يديها اريد
اعوانها زاد المارين السايرين الى الملك في تلك الطريق وقال
لها ولاعوانها من غض طرفه عنك ولم يشتغل بك عني وابتغى منك
مزادا يوصله الى فاخذ ميرة وزودية ولا تعوقيه عن سفره الى
بلد اعينيه بكل ما يبلغه في سفره ومن هذا يكف عينيه ورضي بك
واشركه علي وطلب وصالك فسوميه سوء العذاب واوليه غاية
الهوان واستخدميه واجعليه تركيضا خلفك ركض الوحش
وما نال منك فاخذ عيره بقليل ثم اشتوديه منه واسليه اياه
كله وسلطي عليه اتباعك وعبيدك وكلما بالغ في تعظيمك ومحبتك
واكرامك فقابليه باضعاف ذلك واهانته وهجراحتى تقطع نفسه
عليك حسرات فتامل هذا المثال وحال خطاب الدنيا وخطاب
الاخرة والله المستعان وهذا المثل ماخوذ من الاثر المروي
عن الله عز وجل يا دنيا اخدمي من خدمني واستخدمي من

خدمك فصل المثال التاسع عشر ملك خط مدينة في احسن
المواضع واحسنها هواء واكثرها مياها وشق انهارها وغرس
اشجارها وقال لرعيته تسابقوا الى احسن الاماكن فيها فمن سبق
الى مكان فهو له ومن تخلف سبقه الناس الى المدينة واخذوا
منازلهم وتبوؤا مساكنهم وبقي معاصحاب الحجرات ونصب لهم
ميدانا الساق وجعل على الميدان شجرة كبيرة لها ظل مديد و
تحتها مياه جارية وفي الشجرة من انواع المغن كروعليها الطير
المعجبة الاصوات وقال لا تغتروا بهذه الشجرة وظلها فعن
قليل تجتث من اصلها وينضب ظلها وينقطع ثمرها وتجف اغصانها
واما مدينة الملك فاكلها دايم وظلها مديد ونعيمها سرمد
فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فسمع
الناس بها فخرجوا في طلبها على وجوههم فمنهم من وافى طريقهم بتلك
الشجرة على اثر تعب ونصب وحر وظماء فنزلوا كلهم تحتها واستظلوا
بظلها وذاقوا حلاوة ثمرها وسمعوا نغمات اطيارها فقيل لهم
انا نزلتم تحتها لتحملوا انفسكم وتفرغوا مراكبكم للساق فتهيأوا
للركوب كلهم على اهبة فاذا صاح الناشر ارتحلت السوق
فقال الاكثرون كيف نضع هذا الظل الظليل والماء السلسبيل و
الفاكهة النضيجة والدعة والراحة وتقتحم هذه الحلة في الحر
والغبار والتعب والنصب والسفر البعيد والمفاوز المعطشة
التي تنقطع فيها الاعناق وكيف نبيع النقد الحاظر بالنسية
الغايبة الى الاجل البعيد ونترك ما نراه لما لا نراه وذرة مقتودة
اولى من درة موعودة بعيد حذ ما تراه ودع شيا سمعت
به ونحن بنو اليوم وهذا عيش حاضر سيغ شريه

لعيش غاب في بلد بعيد لا ندري متى نصل اليه ونهض من
كل الف واحد فقالوا واسرعا فمنا من في ظل زابل تحت شجرة
قد دنى قطعها وانقطاع ثمرها وموت اطيارها وترك المسابقة
الى الظل الظليل الذي لا يزول والعيش الهنى الذي لا ينقطع الا
من اعجز العجز وهل يليق بالمسافر اذا استراح تحت ظل ان
يضرب خباءه عليه ويتخذه وطنا خشية التأذي بالحر والبرد و
هل هذا الا اعظم السفه فالسباق السباق والمدار المدار
حكم المنية في البرية جاري ... ما هذه الدنيا بدار قرار
اقصى اماربكم سراعا انما ... اعماركم سفر من الاسفار
وترا كضوا خيل السباق وبادروا ... ان تسترد فانهن عواري
ودعوا الاقامة تحت ظل زابل ... انتم على سفر بهذي الدار
ما ين حي طيب العيش فيها انا ... يبني الرجا على سفيرها
والعيش كل العيش بعد فراقها ... في دار اهل السبق اكرم دار
فانتهى احلاس السباق ولم يستوحشوا من قلة الرفاق سارعوا
على ظهور العزائم ولم تاخذهم في السير لومة لائم والمتخلف في ظل
الشجرة نائم فوالله ما كان الا قليل حتى ذوت اغصان تلك
الشجرة وتساقطت اوراقها وانقطعت ثمارها وبست عروقها
وانقطع مشربها فتلعها قيمها من اصلها فاصبحوا هلكى في حر السموم
تتقلبون على ما فاتهم من العيش في ظلها يتحسرون ثم احرقها
قيمها فصارت هي وما حولها نارا تتلظى واحاطت النار بمن
تحتها فلم يستطع احد منهم الخروج منها فقالوا ما فعل الركب
الذين استظلوا معنا تحتها ثم راحوا وتركوه فقيل لهم ارفعوا
ابصاركم ترو اماكنهم من البعد في قصور مدينة الملك

وعن انها

وعن انها يتمخض من بانواع اللذات فتضاعفت عليهم الحسرات ان لا
يكون نزلهم ونزلا تضاعفها بان حيل بينهم وبين ما يشتهون وقد
قيل هذا جزاء المتخلفين وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
فصل الثالث العشرون وما مثلها بالنبي صلى الله عليه وسلم من
الثوب الذي شق وبقي معلقا بخيط في اخره فابقاء ذلك الخيط
قال ابن ابي الدنيا حدثني الفضل بن جعفر نا وهب بن جبان
نا يحيى بن سعيد القطان نا ابو سعيد خلف بن حبيب عن انس
ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي معلقا بخيط
في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع واحاديث هذا المثل
زيادة ايضاح فانظر ايها وراه الامام احمد فمستنده من
حديث ابي نضرة عن ابي سعيد قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم العصر نهارا ثم خطبنا فلم يترك شيئا قبل قيام الساعة الا ذكره
به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قال وجعل الناس يلتفتون
الى الشمس هل بقي منها شيء فقال الا انه لم يبق من الدنيا فيما مضى
منها الا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه وروى الحسن بن
عن ليث عن المغيرة بن حكيم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على اطراف السعف فقال
ما بقي من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا هذا فيما مضى منه وروى
ابن ابي الدنيا عن ابرهيم بن سعد نا موسى بن اسمعيل نا موسى
ابن خلف عن قتادة عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم خطب عند مغيب الشمس فقال ما بقي من الدنيا
فيما مضى منها الا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه فالدنيا

كلهم كيوم واحد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخره قبل غروب
شمسه بقليل وقال جابر وابو هريرة رضي الله عنهما عنه صلى
الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين وفرق بين اصبعيه السبابة
والوسطى وكان بعض السلف يقول تصبروا فانما هي ايام قلايل وانما
انتم ركب وقوف يوشك ان يدعى احدكم فيجيب ولا يلتفت وانه
قد نعيت اليكم انفسكم والموت جسر للابد منه وانا لله وانا اليه راجعون
يخرج هذه العشرة على احرس مدة الواقعة فتصير المثل الحادي
والعشرون مثال الدنيا كحوض كبير ملئ ماء وجعل مورد الانام
والانعام فجعل الحوض ينتقص على كثرة الوارد حتى لم يبق منه
الا شل كدر في اسفله تدبالت فيه الدواب وخاضه الناس
والانعام كما روى مسلم في صحيحه عن عتبة بن غزوان انه خطبهم فقال
في خطبته ان الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها
الا صابة كصابة الاناء يتصابها صاحبها وانكم منتقلون عنها
الى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما بحضرتكم وقال عبد الله بن
مسعود ان الله تعالى جعل الدنيا كلها قليلا فما بقي منها الا قليل
من قليل ومثل ما بقي منها كالثفل صفو وبقي كدره الثفل
الغدير فصل المثال الثاني والعشرون قوم سكنوا مدينة
مدة من الزمان فكثرت فيها الاحداث والافات وطرقها
واغارت عليها عساكر الجور والفساد فبنى ملكهم مدينة في
محل لا يطرقها افة ولا عاهة وعزم على تخريب المدينة الاولى
فارسل الى سكانها فنودي فيهم بالرحيل بعد ثلاث فلا يتخلف
منهم احد واخيرهم ان ينقلوا الى مدينة الملك الثانية خير مما في تلك

المدينة وانفس

المدينة وانفس واجل من الجواهر واللآلي والذهب والنضة
وما حف حلة من المتاع وعظم قدره وصلح للملوك وارسل اليهم
الادلاء والات النقلة ونهج لهم الطريق ونصب لهم الاعلام
وتابع الرسل يستحثهم بعضهم في اثر بعض فانتهز فرقا قالا قلون
عمل قصر مدة مقامهم في تلك المدينة وتيقنوا انهم ان ابادروا
بتحصيل خير ما فيها وحملوه الى مدينة الملك والافانهم ذلك فلم
يقدروا عليه فرادا عنا ان يقطعوا تلك المدة في جمع المفضول
والاشتغال بزعمهم الفاضل بنسبة الواجب خير ما في المدينة و
انفس واحب الى الملك وانفس في مدينته فلما عرفوا له
يلتفتوا لما دونه فرادا ان احدهم اذا وافى بجوهرة عظيمة
كان احب الى الملك من ان يوافيه باحمال كثيرة من الفلوس
والحديد ونحوها فكان همهم في تحصيل ما هو احب الى الملك
وانفس عنده ولو قل في رأي العين واقبلت فرقة اخرى
على تعبية الاحمال المملة وتنافسوا في كثرتها وهم على ما اتبعوه
بين من احمالها اثنان وبين من احمالها دون ذلك على قدر همهم
وما يليق بهم لكن همهم منصرفة الى تعبية الاحمال والاثقال
من المدينة واقبلت فرقة اخرى على عمارة القصور في تلك المدينة
والاشتغال بطيباتها ولذاتها وتنزهها وحاربوا على الفارين
على النقلة وقالوا لانكم تاخذون من متاعنا شيئا فات
شاركتمونا في عمارة المدينة واستيطانها وعيشنا فيها والا لم
تمكنكم من النقلة ولا من شئ من المتاع فوقعت الحرب
بينهم وقاتلوا السايرين وعدموا كل اموالهم واهليهم وما

ثم قال منهم الاسير هم الى دار الملك واجابة داعيه والرغبة عن
تلك الدار التي امرهم بتركها واقبلت فرقة اخرى على التنزه
والبطالة والراحة والدعة وقالوا لانتعب انفسنا في عمارتها
ولا نتثقل منها ولا نعارض من اراد التنقلة ولا نختار بهم ولم
نعاونهم وكان للملك فيها قصر فيه حريم له وقد احاط عليه سور
واقام عليه حرسا ومنعهم اهل المدينة من قربانه وطاف به القاعد
فلم يجد وافيه بما يتحلون منه فعمدوا الى حجارته فنقبوها و
صلوا الحريم فافسدوهم وبالوا منهم ما اسخط الملك واغضبه
وشق عليه ولم يقتصر على ذلك حتى دعوا غيرهم الى فساد حريمه
والنيل منهم فبنيا هم على تلك الحال واذا بالنهر قد صاح فيهم
كلهم فلم يملك احد منهم التخلف فحملوا على تلك الحال واحضروا
بين يدي الملك فاستعرضهم واحدا واحدا وعرضت بضايعهم
وما قد موا به من تلك المدينة عليه فقبل منها ما يصلح له مثله
واعاض اربابه اضعاف اضعاف قيمته وانزلهم منازلهم من
قربه ورد منها ما لا يصلح له وضرب بوجوه اصحابه وقابل
من نقب حماه وافسد حريمه بما يقابل به المفسدون فقالوا
الرجعة الى المدينة ليعمروا قصره ويحفظوا حريمه ويتدبروا
عليه من البضايع بمثل ما قدم به التجار فقال هيهات قد خربت
المدينة خرابا لا تعمر بعده ابدا وليس بعدها الا هذه المدينة
التي لا تخرب ابدا فصل وقد مثلت الدنيا بمنام والعيش فيها
بالحلم والموت باليقظة ومثلت بمزرعة والعمل فيها
البذر والحصاد يوم المعاد ومثلت بدار لها بابان باب

يدخل

يدخل منه الناس وباب يخرجون منه ومثلت بجنبة ناعمة الملمس
حسنة اللون وضرب لها الموت ومثلت بطعام مسموم لذيذ الطعم
طيب الرايحة من تناول منه قدر حاجته كان فيه شفاؤه ومن
زاد على حاجته كان فيه حتفه ومثلت بالطعام في المعدة اذا
اخذت الاعضاء منه حاجتها الخمسة قاتل او مرد ولا راحة لها
حينئذ الا في خروجه كما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم في اكلة الخضر
وقد تقدم ومثلت بامراة من اجمع النساء قد انتشرت على
عينين فنت بها الناس وهم يتعاورون الى منزلها فاذا احابهم
كشفت لهم عن منكرها وردعتهم لمساكنتها والتهتهم في الحفر وقد
سلطت على عشاقها تفعل بهم ذلك قد ياوحديثا والعجب ان
عشاقها يردون اخوانهم صرعى قد حلت بهم الافات وهم يتنافسون
في مصارعهم وسكنت في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم
كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال ويكفي في تمثيلها ما مثلها
الله سبحانه به في كتابه وهو المثل المنطبق عليها قالوا واذا كان
هذا شانها فالتنقل منها والزهد فيها خير من الاستكثار منها
والرغبة فيها قالوا ومن المعلوم انه لا يجتمع الرغبة فيها والرغبة
في الله والدار الاخرة ابدا ولا تسكن هاتان الرغبتان في مكان واحد
الا وطردت احداهما الاخرى واستدت بالمسكن ولا تجتمع بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيت عدو الله عند رجل ابدا قالوا
وكيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت عليه مفاتيح كنوزها
ولو اخذها لكان اشكر خلق الله بها ولم تنقصه من مكانه عند
الله شيئا فاختار جوع يوم وشبع يوم ومات وذرعه مرهونة
على طعام لاهله كما تقدم ذكره قالوا وقد قال تقسم الناس بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم اربعة اقسام قسم لم يريدوا الدنيا ولم

تردهم كالصديق رضي الله عنه ومن سلك سبيله وقسم اراد تهم
الدنيا ولم يريدوها كعمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن سلك
سبيله وقسم اراد الدنيا واراد تهم الدنيا كخلفاء بني امية
ومن سلك سبيلهم حاشا عمر بن عبد العزيز فانها اراد تهم
ولم يردها وقسم اراد وها ولم تردهم كمن اقتدر الله تعالى من
يده واسكنها في قلبه وامتحن بحبها ولا يخفى ان خير الاقسام
القسم الاول والثاني انما فضل لانه لم يردها فالتحق بالاول
قالوا وقد سئل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدله على
عمل اذا فعله احبه الله واحبه الناس فقال ازهد في الدنيا
يحبك الله وازهد فيما ايدي الناس يحبك الناس فلو كان الفقر
افضل لدله عليه قالوا وقد شرع الله سبحانه قتال الكفار و
شرع الكف عن الرهبان لاعتزالهم عن الدنيا وزهدهم فيها فلما
مضت السنة بان لا يقاتلوا وان لا يضرب عليهم جزية هذا
وهم اعداؤه واعداء رسله ودينه فعلم ان الزهد فيها عند الله
بمكان قالوا وكذلك استقرت حكمته في شرعه على ان عقوبة الواجد
اعظم من عقوبة الفاقد فهذا الزاني المحصن عقوبته الرجم و
عقوبة من لم يحصن الجلد والتغريب وهكذا يكون ثواب الفاقد
اعظم من ثواب الواجد قالوا وكيف يستوي عند الله سبحانه
ذلة الفقر وكسرته وخضوعه وتجرعه مرارته وتحمل اعبائه
ومشاقه وعزة الغنا ولذته وصولته والتمتع بلذاته ومباشرة
حلاوته فبعين الله ما يتحمل الفقراء من مرارة فقرهم وصبرهم
ورضاهم به عن ربهم تبارك وتعالى واين اجر مشقة المجاهدين الى
اجر عبادة القاعدين في الامن والدعة والراحة قالوا وكيف
يستوي امرأة احدهما خفت بدرهم والثاني حفت ببرا النار

فان اصل

فان اصل الشهوات من قبل المال واصل المكاره من قبل الفقر قالوا
والفقير لا ينفك في خصاصة من مخض الفقر وانجوع والعري
والحاجة والام الفقر وكل واحد منها يكفر ما يقاومه من السيئات
وذلك زيادة على اجره باعمال البر فقد شارك الاغنياء في اعمال
البر وامتاز عنهم بما يكفر سيئاته وما امتاز به عليه من الانفاق
والصدقة والنفع المتعدي فله سبيل الى الحاقهم فيدل له مثل اجورهم
وهو ان يعلم الله من نيته انه لو اوتي مثل ما اوتوه لفعل كما
يفعلون فيتساوى الوان لما العلت باعمالهم بل بنيته والجرها
سواء كما اخبر به الصادق المصدوق في الحديث الصحيح الذي رواه
الامام احمد والترمذي من حديث ابي كبشة الانماري قالوا والفقير
في الدنيا بمنزلة المسجون اذ هو ممنوع من الوصول الى شهواته
وملاذها والغني متخلص من هذا السجن وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فالغني ان لم يسجن
نفسه عن دواعي الغنا وطغيانه وارسلها في ميادين شهواتها
كانت الدنيا جنة له فانا نال الفضل بتشهيه بالفقير الذي هو
في سجن فقره قالوا وقد ذم الله ورسوله من تحملت له طيباته
في الحياة الدنيا وانى لحر ان يكون عوضا عن طيبات الآخرة او
منقصة لها ولا بد كما تقدم بيانه بخلاف من استكمل طيباته
في الآخرة لما منع منها في الدنيا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بشر بلوزا فاني ان يبشر به وقال هذا شراب المترفين قالوا
وقد سئل الحسن البصري فقيل له رجلان احدهما تارك للدنيا
والآخر يكتسبها ويتصدق بها فقال التارك لها احب الي قالوا
وقد سئل المسيح عن هذه المسئلة عن رجلين مر احدهما
ببلية ذهب فكتخطاها ولم يلتفت اليها ومر بها الآخر

خذها وتصدق بها فقال الذي لم يلتفت اليها افضل ويدل
هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بها ولم يلتفت اليها
لى اخذها لانتفائها في سبيل الله فقلوا في الفقير الفقير في فقره
غنى لحاق الغني في جميع ما ناله بغناه بنيته وقد لم فيما وبه في
ره وتميز عنه بعدم الحاصل المال فساواه في ثوابه وتخلص
حسابها كما تميز عنه بسبعة الكنز بجمسمائة عام وتميز عنه بثواب
ره على الم الفقر وحصاصته قال الامام احمد ثنا عبد الله بن
ن ثنا عبادة بن مسلم حدثني يونس بن حباب عن ابي المختار
طاري عن ابي كبشة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
ه عليه وسلم يقول ثلاث اقسم عليهن واحدثكم حديثا فاحفظوه
ما الثلاث التي اقسم عليهن فانه ما نقص مال صدقة ولا
م عبد مظلمة فصبر عليها الا زاده الله عز وجل بها عزا ولا
ح عبد باب مسئلة الا فتح الله له باب فقر واما الذي احدثكم
ه فاحفظوه فانه قال انما الدنيا لاربعة نفر عبد رزقه الله
ا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا
ن فهذا بافضل المنازل عند الله وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه
لا فهو يقول لو كان لي مال عملت بعمل فلان قال فاجرهما سواء
عبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم
يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا فهذا باخبث
نازل عند الله وعبد لم يرزقه مالا ولا علما فهو يقول لو كان
مال لفعلت بعمل فلان قال فهو بنيته ووزرهما سواء فلما
تضل الغني بعمله احق الفقير الصادق بنيته فالغني
ى انما نقص بتخلفه عن العمل والفقير انما نقص بسوء
ته فلم ينفع الغني غناه مع التخلف ولا ضر الفقير فقره

مع حسن

مع حسن النية ولا ينفع فقر مع سوء نيته قال الرافعي هذا بيان كاف
شاف في المسئلة حاكم بين الفريقين وبالله التوفيق الباب الرابع والعشرون
في ذكر ما احتجت به الاغنياء من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار قالت
الاغنياء لقد اجللتم علينا ايها الفقراء بجميل الادلة ورجلها ونحن
نعلم ان عددكم مثلها واكثر من مثلها ولكن توسطتم بين التطويل
والاختصار وظننتم انها حكمتكم بالفضل دون ذوي اليسار فتخيروا
تحاكم الى ما حكمتم به اليه ونعرض بضاعتنا على ما عرضتم بضاعتكم
عليه ونضع ادلتنا وادلتكم في ميزان الشرع والعقل الذي لا يميل
لحينئذ يتبين لنا ولكم الفاضل من المفضول ولكن اخرجوا من بيننا
من تشبه بالفقراء الصادقين الصابرين وليس لباسهم على قلبه اخرص
الناس على الدنيا واشحهم عليها واجدهم من الفقر والصبر من كل مظهر
للفقر ممقت للحرص عامل على ريبه متبع لهواه مفرط في امر معاده قد
حمل ذريعة الفقر بضاعته والتحمل بما هو ابعد الناس منه بضاعته
او فقير حاجة فقره اضطرار لا اختيار فزهده من زهد فلا سبيل الى
رغبته في اسوء الدار الآخرة او فقير يشكو ربه بلسانه قالبه وحاله
غير راض عن ربه في فقره بل ان اعطي رضي وان منع سخط شديد
اللهف على الدنيا والحسرة عليها وهي افقر الناس منها فهي ارغب
شيء فيها وهي ازهد شيء فيه واخرجوا من بيننا ذا الثروة الجموع
المنوع المكاثر بماله للمستأثر بها الذي قد عض عليه بناجذه وثنى
عليه خنصره بنزح بزيادته ويأسى على انتقاصه فقلبه مستغرق
وهو على تحصيله مهموم لغرض سوق الانفاق والبذل اعظم قليلا
واكدى وان دعي الى الايثار امعن في الهرب جبنا واخلصونا
واخواننا من سبق الطائفتين وسادات الفريقين الذين سابقوا
الى الله والدار الآخرة بايمانهم واحوالهم ونفوسهم في القرب منه
باعمالهم واموالهم فقلوبهم عاكفة عليه وهمتهم المسابقة اليه

ينظر غنيهم الى فقيرهم فاذا راءه قد سبقه الى عمل صالح شمر الى اللحاق
بهم وينظر فقيرهم الى غنيهم فاذا راءه قد فاقه بالانفاق في طاعة الله
انفق هو من اعماله واقواله وصبره وزهده نظير ذلك او اكثر منه
وهؤلاء اخواننا الذين تكلم الناس في التفضيل بينهم وايهم اعلا درجة
واما اولئك فانا ينظر ايهم تحت الاخرى في العذاب واسفل منه والله
المستعان اذا عرف هذا فقد مدح الله سبحانه في كل من هذه الاعمال الاثنين
على اصحابها ولا تحصل الا بالغنى كالزكاة والانفاق في وجوه البر
والجهاد في سبيل الله بالمال وتجهيز الغزاة واعانة المجاهدين وفك
الرقاب والاطعام في زمن المسغبة واين يقع صبر الفقير من فرحة
المؤمن المضطر المشرف على الهلاك اذا اعانه الغني ونصره على
فقره ومخمصته واين يقع صبره من نفع الغني بماله في نصرة دين
الله واعلاء كلمته وكسر اعدائه واين صبر ابي ذر على فقره الى شكر
الصديق به وشرائه المعذبين في الله واعتاقهم وانفاقه على نصرة الاسلام حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفعني مال احد ما نفعني
مال ابي بكر واين يقع صبر اهل الصفة من انفاق عثمان بن عفان
رضي الله عنه تلك النفقات العظيمة التي قال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بعضها ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم ثم قال غفر الله
لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما اخفيت وما ابديت الى
كما قال واذا تاملت القران وجدت الثناء فيه على المنفقين اضعاف
الثناء فيه على الفقراء الصابرين واقد شهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بان اليد العليا خير من اليد السفلى ونص اليد العليا
بالمعطية والسفلى بالسائلة وقد عدد الله سبحانه على رسوله صلى
الله عليه وسلم من نعمه ان اغناه بعد فقره وكان فقره هو
الحالة التي تنقلم منها وهو سبحانه كان ينقله من الشر الى هو

خير منه

خير منه وقد قيل في قوله تعالى وللاخرة خير لك من الاولى ان الاولى
هي الحالتان اي كل حالة بعد خير مما قبلها ولهذا عقب بقوله ولسوف
يعطيك ربك فترضى فهذا يدخل فيه عطاؤه في الدنيا
والاخرة قالوا والله اعلم شكر زيادة فضل ورحمة والله
يختص برحمته من يشاء وسيرد ذكر الفضل العظيم قالوا والاغنياء
الشاكرون سبب لعظم اجور الصابرين لتمكنهم اياهم با
الصدقة عليهم والانفاق عليهم واعانتهم على طاعتهم فلهم نصيب
وافر من اجور الفقراء زيادة الى نصيبهم من اجر الانفاق
وطاعاتهم التي تحصل بها وصح حديث خريمة من رواية سلمان
الفارسي عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر شهر رمضان فقال
من افطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار
وكان له مثل اجره من غير ان ينقص من اجره شيء فقد جاء
الغني الشاكر اجر صيامه هو ومثل الفقير الذي فطره قالوا
ولم يكن للغني الشاكر الا افضل الصدقة التي لم تناخرت الا
عال كان الفخر لها عليهم كما ذكر النضر بن شميل عن قرة عن
سعيد بن المسيب انه ذكر الصدقة انا افضلكم قالوا والصدقة
الصالحة يتاهى فيها العبد وينجو بها من النار والمخلص المسمر بها مستظل يوم القيمة
في ظل العرش وقد روى الحرث وبزيد بن ابي حبيب عن
ابي الخير عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الصدقة لتطفئ على اهلها حر القبور وانما يستظل
المؤمن يوم القيمة في ظل صدقته وقال يزيد بن ابي حبيب عن
ابي الخير عن عقبة بن عامر كل امرء في ظل صدقته حتى يقضى بين
الخلايق قال يزيد وكان ابو الخير لا يابى في عليهم يوم الا تصدق

فيه ولو بكلمة او بصلة وفي حديث معاذ رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار
وروى البيهقي من حديث ابي يوسف القاضي عن المحاربي
فلفل عن الثوري يرفعه باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطى الصدقة
وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا تصدق الرجل بصدقة من كسب طيب
ولا يقبل الله الا الطيب اخذها الله بيمينه فيربيها لاحدكم
كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى يكون مثل الجبل العظيم وفي
لفظ للبيهقي في هذا الحديث حتى ان التمرة او اللقمة لتكون اعظم
من احد وقال محمد بن المنكدر من موجبات المغفرة اطعام
المسلم السغبان وقد روي مرفوعا من غير وجه واذا كان الله
سبحانه وتعالى قد غفر لمن سقى كلبا عاثرا ظمآن فكيف بمن سقى العطاش
واشبع الجياع وكسى العراة من المسلمين وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة
فجعل الكلام الطيب عوضا عن الصدقة لمن لا يقدر عليها قالوا
وابين لذة الصدقة والاحسان وتفريجها القلب وتقويتها اياه
وما يلقي الله سبحانه للمتصدقين من المحبة والتعظيم في قلوب عباده
والدعاء لهم والثناء عليهم وادخال المسرات عليهم من اجر الصنيعة
الفتر وهم ان لم لا اجرا عظيما لكن الاجر درجات عند الله قالوا
وايضا فالصدقة والاحسان توالي الاعطاء وصفو الرب تعالى واحب عباده
اليه من اتصف بذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الخلق عيال الله
فاحبهم اليه انفعهم لعياله قالوا وقد ذكر الله سبحانه اصناف
السعداء فبدأ بالمتصدقين فقال تعالى ان المتصدقين
والمتصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم

والذين

والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند
ربهم لهم اجرهم ونورهم فهؤلاء اصناف السعداء ومقدمهم
المصدقين والمصدقات قالوا وفي الصدقة فوائد ومنافع لا
يحصيها الا الله فمنها انها تقي مصارع السوء وتدفع البلاء حتى
انها لتدفع عن الظالم قال ابرهيم النخعي كانوا يرون ان الصدقة
تدفع عن الرجل الظالم وتطفئ الخطيئة وتحفظ المال وتجلب
الرزق وتفرح القلوب وجميل الثقة بالله وحسن الظن به كان
البخل سوء الظن بالله تعالى ويزعم الشيطان ويزكي النفس وتنميها
وتحبب العبد الى الله والى خلقه وتستر عليه كل عيب كان البخل
يفظع عليه كل حسنة ويزيد في العمر ويجلب ادعية الناس ومحبتهم
وتدفع عن صاحبها عذاب القبر وتكون عليه ظلا يوم القيمة
ويشفع لصاحبها وهو مرتهن عليه شدائد الدنيا والاخرة وتدعوه
الى سائر اعمال البر فلا تستعصي عليه وفوائدها ومنافعها اضعاف
ذلك قالوا ولم يكن في النفع والاحسان الا انه صفة لله وهو مما
يحب من اتصف بموجب صفاته وآثارها فيحب العليم والجواد
والحي والستير والملئ من القوي احب البر من المؤمن الضعيف
ويحب العدل والعفو والرحيم والشكور والبر والكريم فصفته
الغنى والجود وهو يحب الغني الجواد قالوا ويكفي في فضل النفع
المتعدي بالمال ان الجزاء عليه من جنس العمل فمن كسى مؤمنا كساه
الله من خلل الجنة ومن اشبع جائعا اشبعه الله من ثمار الجنة ومن
سقى ظمآنا سقاه الله من شراب الجنة ومن اعتق رقبة اعتق الله
بكل عضو منه عضوا منه في النار حتى فرج بفرج ومن يسر على

معسر يسر الله عليه والآخرة في الدنيا ومن نفس عن مؤمن كربة
من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيمة والله
في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه قالوا ونحن لا ننكر فضيلة
الصبر على الفقر ولكن أين يقع من هذه الفضائل وقد جعل
الله كل شيء قدرا قالوا وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر ومعلوم أن ذا التعدي شكره
الى الاحسان الى الغير أزداد درجة أخرى فان الشكر يتضاعف
الى ما لا نهاية له بخلاف الصبر فان لكل حد يقف عنده وهذا
دليل مستقل في المسئلة يوضحه أن شكر أفضل من الرضى الذي هو
أعلى من الصبر فاذا كان الشاكر أفضل من المرضي الذي هو أفضل
من الصابر كان أفضل من الصابر بدرجتين قالوا وفي الصحيحين
حديث الزهري عن سالم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل
والنهار ورجل آتاه مالا فهو ينفقه آناء الليل والنهار فجعل
الغبطة مع الانفاق بمنزلة القرآن مع القيام به قالوا وقد صرح في
حديث أبي كبشة الأنماري بأن صاحب المال اذا عمل في ماله بعلمه
واتقى فيه ربه ووصل به رحمه وأخرج منه حق الله فهو بأعلى المنا
زل عند الله وهذا صريح في تفضيله وجعل الغني الصادق اذا نوى
ان يعمل بعلمه وقال ذلك بلسانه ساواه في نيته وفي أجرها
سواء فان كلا منهما نوى خيرا وعمل ما يقدر عليه فالغني نواه ونفذه
بعلمه والفقير العالم نواه ونفذه بلسانه فاستويا في الأجر من هذه
الجهة ولا يلزم من استوائهما في أصل الأجر استواؤهما في كيفيته
وتفاضلهما فان الأجر على العمل والنية لمزيته على الأجر على مجرد النية
التي قارنها القول ومن نوى الحج ولم يكنه لما يحج بره وان أثيب

على ذلك

على ذلك فان ثواب معاسر الاعمال لم مع النية لمزيته عليه وانما
اردت فهم هذا فتامل قول النبي صلى الله عليه وسلم من سأل
الله الشهادة صادقا من قلبه بلغه الله منازل الشهداء وان
مات على فراشه ولا ريب ان ما حصل للمقتول في سبيل الله من
ثواب الشهادة مزيد كيفية وصفة على ما حصل لناوي ذلك
اذا مات على فراشه وان بلغ منزلة الشهيد فها هنا امران اجر وقرب
فان استويا في أصل الاجر لكن الاعمال التي قام بها العامل يقتضي
اثرا زايدا وقربا خاصا وهو فضل الله يؤتيه من يشاء وقد
قال صلى الله عليه وسلم اذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل و
المقتول في النار قالوا هذا القاتل فما بال المقتول قال انه اراد
قتل صاحبه فاستويا في دخول النار ولا يلزم استواؤهما في الدر
ومقدار العذاب فاعط الناظر الرسول صلى الله عليه وسلم حقها
وانزلها منازلها يتبين لك المراد وبهذا ان فقراء المهاجرين
شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله ذهب
اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم
فضول اموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون
قال افلا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم
ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى
يا رسول الله قال تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلوة ثلاثا
وثلاثين فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
سمع اخواننا اهل الاموال ما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فلو كانوا ملحقين بهم
في مقدار الاجر بمجرد النية لقال لهم انتم وان تفعلوا مثل فعلهم
فنلتم مثل اجرهم فلما اعاضهم عن ما فاتهم من ثواب الصدقة

والعتق والحج والاعتمار بما يحصل نظيره بالذكر غير الاغنياء قد
فضلوهم بالانفاق فلما شاركوهم في الذكر بقيت مزية الانفاق
فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاغنياء لم يزالوا انهم قد ساووهم
في الذكر كما ساووهم في الصوم والصلاة فاخبرهم ان ذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء فلو كان لهم سبيل الى مساواتهم من
كل وجه بالنية والقول لدلهم عليها قال الفقراء هذا الحديث
جمعة لنا اذا فهم على الحقيقة وذلك ان معناه انهم وان كانوا قد ساووهم
في الاتيان بالاسلام والصلوة والصيام ثم فضلوهم بالانفاق
من التكبير والتسبيح والتهليل ما يلحقكم بدرجتهم وقد ساووهم
ايضا بحسب النيات فلو شئتم لاعتقتم مثلهم وفي بعض الفاظ هذا
الحديث ان احدكم يدرك من قبلكم ولم يلحقكم من بعدكم وهذا يدل
على ان الاغنياء لا يلحقونهم وان قالوا امثل يؤيد قوله صلى الله عليه وسلم
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء معناه ان فضل الله ليس متصورا عليكم
دونهم فكما ان الله فضلهم بالذكر كذلك يؤتيهم اياه اذا علموا مثله و
ليس في هذا دليل انهما فضل منكم وانما معناه ان فضل الله الذي اتيتنا
وكم يذكره تناولكم مثلنا يفاتنا فيهتم من الفضل التخصيص قوم
ضعيفة في غير موضعه وانما معناه العموم والسهولة وان فضلة عام شامل
للاغنياء الفقراء فلا يذهبون بها دونهم فاما ما في الحديث التفضيل
لكم علينا قالوا فيحتمل قوله ذلك ثلاثة امور احدها سبقتهم لكم بالا
نفاق والثاني مساواتكم لهم في فضيلة الذكر فلم يختصوا بها دونهم و
الثالث سبقكم لهم الى الخبر بنصف يوم وهذا وان كان لا ذكر له في
هذه الرواية فهو مذكور في بعض طرقه قال البزار في مسنده
ثنا الوليد بن عمرو ثنا محمد بن الزبرقان ثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله
دينار عن ابن عمر رضي الله عنه قال اشتكى فقراء المهاجرين الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما فضل به اغنياؤهم فقالوا يا رسول الله انا

صدقوا

صدقوا تصديقنا وامنوا ايماننا وصلوا صلاتنا ولهم اموال يتصدقون
منها ويصلون منها الرحم وينفقون منها في سبيل الله ونحن مساكين
لا نقدر على ذلك فقال الا اخبركم بشيء اذا انتم صنعتموه ادركتم
مثل فضلهم فتقولوا الله اكبر في دبر كل صلوة احدى عشرة مرة
والحمد لله مثل ذلك ولا اله الا الله مثل ذلك وسبحان الله مثل ذلك
تدركون مثل فضلهم فعملوا فذكروا ذلك للاغنياء ففعلوا مثل
ذلك فرجع الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له
فقالوا هو لاء اخوانا فعلوا مثل ما نقول فقال ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء يا معشر الفقراء الا ابشركم ان فقراء المسلمين يدخلون
الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام وقال موسى بن عبيدة
وان بن ما عندربك كالذي تعدون فقالوا فهذا خبر واحد
وكلام متصل ذكره شاذة لهم عند ما ذكروا مساواة الاغنياء لهم
في القول المذكور فاشبه ان يرجع الفضل الى سبق الفقراء للاغنياء
وانهم بهذه الشارة مخصوصون فكان السبق لهم دون غيرهم
وان ساووا في القول وساووهم في الانفاق بالنية كما في حديث
ابي كبشة المتقدم وحصلتم مزية الفقر قالت الاغنياء لقد
بالغتم في صرف الحديث عن مقصوده الى جهتكم وهو صريح في
تفضيل هذا الجانب لما تصفون فان قوله ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء خرج جوابا للفقراء عما قالوا لهم ان اهل الثروة قد ساووا
وهم في الذكر كما ساووا وهم في الصلوة والصوم والايمان وبقيت
مزية الانفاق لم يحصل لهم ما يلحقهم فيها وما علمتناه من الذكر
قد لحقتم فيه فقال لهم حينئذ ذلك فضل الله يؤتيه من
يشاء وهذا صريح جدا في مقصوده فلما انكسر القوم بتحقق السبق
بالانفاق الذي عجزوا عنه جبرهم بالبشارة بالسبق الى دخول الجنة

بنصف يوم وان هذا السبق في مقابلة ما فاتكم من فضيلة الغنى
والانفاق ولكن لا يلزم من ذلك رفعتهم عليهم في المنزلة والدرجة
فهؤلاء السبعون الالف الذين يدخلون الجنة بغير حساب من
الموحدين للحساب من هو افضل من اكثرهم واعلى منه درجة
قالوا وقد سمى الله سبحانه المال خيرا في غير موضع من كتابه
كقوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية
وقوله وانه لحب الخير لشديد واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الخير لا يأتي الا بالخير كما تقدم وانما يأتي بالشر معصية الله في
الخير لانفسه والله سبحانه جعل المال قواما للانفس وامر بحفظها
ونهى ان يؤتي السفهاء من النساء والاولاد وغيرهم ومدح
النبي صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح مع المرء الصالح وقال
سعيد بن المسيب لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله يكف به وجهه
عن الناس ويصل به رحمه ويعطي منه حقه وقال ابو بكر الشبلي
كانوا يريدون الصبر على الدين وقال معمر بن المنكدر نعم العون
على التقوى الغنى وقال سفيان الثوري المال في زماننا هذا سلاح
المؤمن وقال يوسف بن اسباط ملكان المال في زماننا منذ خلقت
الدنيا انفع منهي هذا الزمان والخير كالخيل لرجل ستر وعلى رجل وزر
قالوا وقد جعل الله سبحانه المال سببا لحفظ الدين وحفظ سببا لحفظ
النفس التي هي محل معرفة الله والايمان وتصديق رسله ومحبته
والانابة اليه فهي بسبب عمارة الدنيا والاخرة فوا نائبة منه ما
استخرج من غير وجهه وصرف في غير حقه او استعبد صاحبه
وملكه فشغله وشغل عن الله والدار الاخرة فيندم منه ما توسل به
صاحبه الى المقاصد الفاسدة او شغله عن المقاصد المحمودة فيندم
فالذم للجاعل لا للمجعول كما قال النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار
تعس عبد الدرهم فذم عبدهما ونهى قال الامام احمد ثنا ابو المغيرة
ثنا صفوان عن يزيد بن جبلة ميسرة قال كان رجل ممن مضى جمع مالا

فاوعى

فاوعى ثم اقبل على نفسه وهو في اهله فقال انعم سنين فاناه ملك
الموت في صورة مسكين فرجعوا اليه فقال ادعوا لي صاحب الدار
فقالوا تخرج سيدنا الى المسكين ثم مكث قليلا ثم عاد فقرع باب
الدار عدة مثل ذلك وقال اخبروه اني ملك الموت فلما سمع
سيدهم فقام فزعا وقال ليتوا ثبر الكلام قالوا ما تريد غير سيدنا
بارك الله فيك قال لا ندخل عليه فقال ثم فاوصى ما كنت موصيا
فاني قابض نفسك قبل ان اخرج قال فصرخ اهله وبكوا ثم قال
افتحوا الصناديق والتحوا غير المال ففتحوها جميعها فاقبل على المال
يلعنه ويسبه ويقول لعنت من مال انت الذي انسيتني ربي
وشغلتني عن العمل الاخرة حتى بلغني اجلي فتكلم المال فقال
لا تسبني ان تكن وضيعا في عين الناس فرفيعا وكنت تحضر سدد
الملوك وتحضر عباد الله الصالحون فلا يدخلون ان تكن تخطب بنات
الملوك والسادة فتنكح وتخطب عباد الله الصالحون فلا ينكحون
ان تكن تنفقني في سبيل الخير فلا تعاصي ولي اتفقتني في
سبيل الله سلم اتعاصي عليك وانت وليوم من خلقت انا وانتم
يا بني ادم من تراب فتنطلق بمر ومنطلق بآثم فهكذا يقول
المال فاحذروا وفي اثر يقول الله تبارك وتعالى اموالنا رجعت
الناس عنها من سعد وشقي بها من شقي قالوا ومن فوائد المال
انه قوام العبادات والطاعات وبه قام سوق البر الحج والجهاد وبه
حصل الانفاق الواجب والمستحب وبه حملت قربات العتق
والوقف وبناء المساجد والقناطر وغيرها وبه يتوصل الى
النكاح الذي هو افضل من التخلي لنوافل العبادة وعليه قام سوق
المروءة وبه ظهرت صفة الكرم والسخاء وبه وقيت الاعراض
وبه اكتسب الاخوان والاصدقاء وبه يوصل الامراء الى
الدرجات العلى ومرافقة الذين انعم الله عليهم فهو مرقاة

يصعد فيها الى اعلى غرف الجنة ويهبط منها الى اسفل سافلين
وهو مقيم مجد الماجد كما كان بعض السلف يقول اللهم اني
من عبادك الذين لا يحمد الا بفعال ولا فعال الا بما لو كان بعضهم
يقول اللهم اني من عبادك الذين لا يصلحهم الا الغنى وهو من
اسباب رضى الله عن العبد كما يكون من اسباب سخطه عليه و
هؤلاء الثلاثة الذين ابتلاهم الله سيد الابرص والاقرع والاعمى
سيد الاعمى رضى الله وتالابه سخطه والزهاد ذرقة سنام العمل و
تارة يكون بالنفس وتارة يكون بالمال وربما كان الجهاد بالمال
انكى وانفع وباي شيء فضل علينا من فضل على الشرجهاد بنفسه و
اسبق اسلاما عن عثمان وهذا الزبير وعبد الرحمن بن عوف
افضل من جمهور الصحابة مع الغنى الوافر وتاثيرهم في الدين
اعظم من تاثير اهل الصفة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
اضاعة واخبر ان ترك الرجل ورثته اغنياء خير له من تركهم
فقراء واخبر ان صاحب المال لن ينفق نفقة يبتغي بها وجه
الله الا ازداد بها درجة ورفعة وقد استعاذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الفقر وقرنه بالكفر فقال اللهم اني اعوذ بك
من الفقر والكفر فان الخير نوعان خير الاخرة والكفر مضاده
وخير الدنيا والفقر مضاده فالفقر سبب عذاب الدنيا والكفر
سبب عذاب الاخرة والله سبحانه جعل اعطاء الزكاة وظيفة
الاغنياء واخذها وظيفة الفقراء وفرق بين اليدين شرعا وقدرا
وجعل يد المعطي اعلا من يد الاخذ وجعل الزكوة اوساخ
المال ولذلك حرم مهاجل اطيب خلقه وعلى الهضيانة لهم وتشريفا
ورفعا لاقدارهم ونحن لا ننكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان فقيرا ثم اغناه الله وفتح عليه وخولد ووسع عليه وكان يدخر
لاهله قوت سنة ويعطي العطايا الجزيل يعطيها احد غيره وكان

يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ومات عن فدك والنضير وامو ال
خصها الله بها وقال تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى
فلله وللرسول فنزهه ربه سبحانه عن الفقر الذي يسوغ اخذ
الصدقة وعوضه عنه ما هو خير منه باشرف المال والحلم وافضله
وهو ما اخذه بظلم محمد من اعداء الله الذين كانوا مال الله بايديهم
ظلما وعدوانا فانه خلق المال ليستعان به على طاعته وهو بايدي
الكفار والفجار ظلم وعدوان فاذا رجع الى اوليائه واهل طاعته
فاءه اليهم ما خلق لهم ولكن لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم و
ملكه من جنس عن الدنيا واسبابها فان عناهم بالشيء
عناه صلى الله عليه وسلم عن الشيء وهو الغنى العالي وملكهم ملك
يتصرفون فيه بحسب ارادتهم وهو صلى الله عليه وسلم انما يتصرف
في ملكه بالامر والمتصرف العبد الذي لا يتصرف الا بامر سيده وقد اختلف
الفقهاء في النبي هل كان ملكا للنبي صلى الله عليه وسلم على قولين هما
روايتان عن احمد والتحقيق ان ملكه له كان نوعا اخر من الملك
وهو ملك يتصرف فيه بالامر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والله
لا اعطي احدا ولا امنع احدا انما انا قاسم اضع حيث امرت وذلك
من كمال مرتبة عبوديته ولاجل ذلك لم يورث فانه عبد محض من
كل وجه لربه عز وجل والعبد لا مال له فيورث عنه فجمع الله له
سبحانه بين اعلى انواع الغنى واشرف انواع الفقر فكمل له مراتب
الكمال فلبست احدى الطايفتين ما حق به من الاخرى فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم في فقره اصبر خلق الله واشكرهم
لربه وكيف لا وهو في غناه والله سبحانه جعل قدوة للاغنياء والفقراء
واي غنى اعظم من غنى من عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض و
عرض عليه ان يجعل له الصفا ذهبا وخير بين ان يكون ملكا نبيا
وبين ان يكون عبدا نبيا فاختار ان يكون عبدا نبيا ومع

ومع هذا جبيت اليه اموال جزيرة العرب واليمن فانتهبها
ولم يستأثر منها بشيء بل عمل عمال المسلمين ودينهم فقال من ترك
مالا فلورثته ومن ترك دينا او ضياعا فعلي ورفع الله سبحانه قدرها ان يكون
لها كفل من جملة المتاع الذي يتمتع به الصدقة كما امر هم ان يكون
من جملة الاعباء التي يقوم بها الاموال الغنى وتتقلل عنها سائر
والغنى قاهر والغنى وسيع عليه عاير السعة ان يعوده الانفاق
واعطى اهل المعاذير واستأثر بالمال ولا انحط منه عقاب ولا
ارضى الا ترك شيء واحبه واعطى الامة ولا ادخر لنفسه درهما
فاذا احتج الفقير الذي لا يحتاج صلى الله عليه وسلم لم يفتقر ذلك الا بعد
ان يفعل فعله كان الفقير الصابر اذا احتج عاد صلى الله عليه وسلم
يكسر ذلك الا بعد ان يصير صبره ويترك الدنيا اختيارا لا اضطرارا
فرسول الله صلى الله عليه وسلم في كل مرتبة من مراتب الفقر والغنا
حقها ويعطي بها وايضا فان الله سبحانه اغنى بهذا الفقر اذا فاتا لتمه
امته الغنى الاكبر واغنى الناس من صار غيره به غنيا قال علي بن
ابي رباح اللخمي كنت عند مسلمة بن مخلد الانصاري وهو يومئذ
على مصر وعبد الله بن عمرو بن العاص جالس معه فتمثل مسلمة ببيت من
شعر ابي طالب فقال كنا ان ابا طالب يرى ما نحن فيه اليوم من
نعمة الله وكرامته لعلم ان ابن اخيه سيد فجاء بخير فقال عبد الله
بن عمرو يومئذ كان سيد كريما فجاء بخير كثير فقال مسلمة الم يقل
الله تعالى الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا
فاغنى واما قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى فلم تكن الدنيا لترضيه
وهي لا يرضاها كلها لامته وهو يحذرها منها ويعرض عليه وهو فيها
هاو انما رضاه ما يعطيه من الثواب وما يفتح عليه وعلى امته من ملك
كسرى وقيصر ودخول الناس في الاسلام وظهور الدين اذا كان
ذلك محبته ورضاه صلوات الله وسلامه عليه ورسى سفين
الثوري عن الاوزاعي عن اسمعيل بن عبد الله عن علي بن عبد الله

بن عباس

بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ما هو متوع بعدي
كقطع الكفر فرجع ذلك فنزلت والضحى والليل اذا سجى ولسوف
يعطيك ربك فترضى قال اعطى الف قصر من لؤلؤ ترابها المسك
في كل قصر ما ينبغي له قالوا وانما ذكرت من الزهد في الدنيا والتقلل
منها والزهد فيها لا ينافي الغنى بل زهد الغني اكمل من زهد الفقير
وان الغني الزاهد في قدرة والفقير عن الخير ويتهاون بعيد
ولهذا قال جمع السلف وقد سمع له جماعة من الزهاد فقال الزاهد
عمر بن عبد العزيز الذي جاءت الدنيا راغمة فزهد
فيها وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حال غناه ازهد
الفقراء وكذلك ابراهيم الخليل كان كثير المال وهو ازهد الناس في
الدنيا وقد روى الترمذي في جامعه من حديث ابي ذر رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال
ولا اضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا ان لا يكون بما في يديك اوثق
مما في يد الله وان يكون في ثواب المصيبة اذا اصيب بها ارغب
في بقائها لو انها بقيت لك وسئل الامام احمد عن الرجل يكون
معه الف دينار يكون زاهدا قال نعم بشرط ان لا يفرح اذا زادت
ولا يحزن اذا انتقصت وقال بعض السلف الزاهد من لا يغلب
الحلال شكره ولا الحرام صبره وهذا من احسن الحدود فان الزهد
حقيقته مركبة من الصبر والشكر فلا يستحق اسم الزاهد من لم يتصف
بهما من غلب شكره للموسع عليه من الحلال وصبره للمعسر ما له من
الحرام فهو الزاهد على الحقيقة بخلاف من غلب الحلال شكره والحرام
صبره فكان شكره وصبره مغلوبين فان هذا ليس بزاهد وسمعت
شيخ الاسلام يقول الزهد ترك ما لا ينفعك والورع ترك ما
قد يضرك فالزهد فراغ القلب من الدنيا والورع اليقظة منها وبتابلة
الشح والحرص وهو ثلاثة اقسام زهد في الحرام وزهد

ست والمكروهات وزهد في الفضلات فالاول فرض والثاني
سل والثاني مرغب فيها بحسب درجة الشهية قال
حق بالاول وقال الثالث وتكون الثالث واجبا
ه مرد للدين شرال اسر والعذاب الاخرة فزهد
ه بين ضرورة فان ارادة الدنيا قادحة في ارادة
ن الاخرة فلا يجتمع للعبد مقام الارادة حتى يزهد في طلب
ه ومطلوبه ثقة بقسم المطلوب ولا القلب اما من جميد
فان لا يتعلق طلبه وارادته بغير الله وما يقرب اليه
ه واما التوحيد في القلب فان يستاصل القلب والا
رع الشهوات وجواذب الهوى ويسلط الارادة في
س فيزهد فلا يبقى فيها فضلة للغير فيحذب الى الجناب
بالكلية فتتحصل له ارادة تردد متى تحققت كان الزهد
ضرورة فانه يتعذر عليه لعادة وتتعسر وجمع قلبه على ما هو بصدده
طمعه الذي هو من اقوى شيء للقلب بل اصل المعاصي و
يحجر كلية من الطمع فالزهد يقطع مواده ويقرع الباب
سلب ويستحث الجوارح وتذهب الوحشة التي بين العبد
ويجلب الانس بربه وتقوى الرغبة في ثوابه ان ضعف عن
قرب والدنو منه وذوق حلاوة معرفته ومحبته فالزاهد
س بدنيا وقلبا فان كان زهده وفراغه من الدنيا قوة له
سر والدار الاخرة بحيث فرغ قلبه سره وجعل حرصه
ب اليه كان من انعم الناس عيشا واقرهم عينا واطيبهم نفسا
قلبا فان الرغبة في الدنيا تشتت القلب وتبدد الشمل و
والغم والحزن فهي عذاب حاضر وفي الاخرة عذاب منتظر
ويفوت على العبد من النعيم اضعاف ما يزدوم تحصيله
في الدنيا قال الامام احدثنا الهيثم بن جميل نا محمد يعني

بن مسلم

بن مسلم عن ابرهيم يعني ابن ميسرة عن طاوس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة
الرغبة في الدنيا يطيل الهم والحزن وانما تحصل الهموم والغموم
والاحزان من جهتين احداهما الرغبة في الدنيا والحرص عليها و
الثاني التقصير في اعمال البر والطاعة قال عبد الله سمعت احمد بن حنبل
يقول سمعت محمد بن جعفر يقول سمعت شعبة قال سمعت الحارث قال سمعت ابن عمر
يقول سمعت ابن ليث عن العلم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قصر العبد في العمل ابتلاه الله عز وجل بالهم وكما ان الرغبة في
الدنيا اصل المعاصي الظاهرة فهي اصل ما في القلب من السخط
والحقد والكبر والعجز والبخل والتكاثر وهذه كلها من امتلاء القلب
بها امتلاء الكوز بما في اليد وامتلاء القلب بها ينافي الشكر وراس
الشكر تفريغ القلب منها وباب التوفيق وامتداد الكمال امتداد
العمر وانجاه لخير الناس من طال عمره وحسن عمله فهكذا من امتد
ماله وكثر به خير فنعم المال والجاه اما ان يرفعه درجات
واما ان يضعه درجات وسر المسئلة ان طريق الفقر والتقلل
طريق سلامة مع الصبر وطريق الغنى والسعة في الغالب كطريق
عطب فان اتقى الله في ماله ووصل منه رحمه واخرج منه حق الله
وليس مقصورا على الزكوة بل من حقه اشباع الجايع وكسوة العاري
واغاثة الملهوف واغاثة المحتاج والمضطر فطريق يقتضي طريق غنيمة
وهو فوق السلامة فمثل صاحب الفقر كمثل مريض قد جلس عن صفه
عن اعز اضيافه فهو يثاب على حسن صبره على حبسه واما الغني
فخطر عظيم في كسبه وجمعه وصرفه فاذا سلم كسبه وحسن واخذه
من وجهه وصرفه في حقه كان انتفع له فالفقير كالمنتفع المنقطع
عن الناس والغني المنفق في وجوه الخير كالفقير والمعلم والمجاهد

ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم قرينة الذي اتاه الله الحكمة فهو
يقضي بها ويعلمها فهو احد المحسودين اللذين لا ثالث لهما والجملة
يستطرف المنفق والعالم المتحمل المقصود النفع في نفسه ويحمل به
اول بالحسد هو الغني المنفق والعالم المعلم فان قيل فايهما افضل
من يختار الغنى للتصدق والانفاق في وجوه البر ام من يختار الفقر
والتقلل ليبعد من الفتنة ويسلم من الافة ويتفرغ قلبه على الاستعداد
للآخرة فلا يشغله بالدنيا ام من لا يختار لاحد هذين بل يختار
ما يختاره الله له فاعلم ان هذا مختلف باختلاف احوال الناس قبل
هذا موضع اختلف فيه حال السلف الصالح فمنهم من اختار المال
للجهاد به والانفاق وصرف في وجوه البر كعبد الرحمن بن عوف وغيره
من مياسير الصحابة وكان قيس بن سعد يقول اللهم اني من عبادك
الذين لا يصلحهم الا الغنى ومنهم من اختار الفقر والتقلل كابي ذر
وجماعة من الصحابة معه وهؤلاء انظروا الى آفات الدنيا وحبوا الفقر
بها او اليك نظروا الى مصالح الانفاق وثمراته العاجلة والآجلة
والفرقة الثالثة لم تختر شيئا بل كان اختيارها ما اختاره الله لها
وكذلك اختيار طول البقاء في الدنيا لاقامة دين الله وعبادته قطعا
بانه اختيار خير وحسنة وطاعة فلم تختر هذا ولا هذا بل اختارت ما يختاره
الله لها وكان اختيارهم معلقا بما يريده الله دون مراد معين
منهم وهي حال الصديق رضي الله عنه فانهم قالوا له في مرض موته الا
ندعو لك الطبيب فقال قد رآني فقالوا فما قال لك قال قال اني
فعال لما اريد والاول حال موسى عليه السلام فانه لما جاءه ملك الموت
لطم فقتا عينه ولم يكن ذلك حبا منه للدنيا والعيش فيها ولكن ليتفذ
اوامر ربه ويقيم دينه ويجاهد اعداءه فكانه قال لملك الموت
انت عبد مامور وانا عبد مامور وانا في تنفيذ اوامر ربي واقامة

دينه فلما

دينه فلما عرفت عليه الحياة الطويلة وعلم ان الموت بعدها اختار ما
اختاره الله له وما نبينا صلى الله عليه وسلم فان ربه تبارك وتعالى يجب
لقاءه ويختاره له فاختار لقاء الله وهو علم ان ربه يحب له البقاء في
الدنيا لتنفيذ اوامره واقامة دينه لما اختار غيره فكان اختياره
تابعا لاختيار ربه عز وجل كما انه لما خيره ربه عز وجل بين ان يكون
ملكا نبيا او بين ان يكون عبدا نبيا وعلم ان ربه يختار له ان يكون
عبدا اختار ما اختاره الله له فكان اختياره في جميع امره تابعا
لاختيار الله وهذا هو الحديبية احتمل ما احتمل من تلك الشروط
وفي هذا المقام احتقر ولم يثبت عليه من كل وجه انا الصديق فلم يكن
له اختيار في سوى ما اختاره الله له ولاصحابه من تلك الحالة التي
تقرر الامر عليها فكان راضيا بها مختارا لها شاهدا اختيار ربه
له وهذه غاية العبودية فشكر الله له ذلك وجعل شكره انزل ما بشره
به في اول سورة الفتح حتى هنأه الصحابة به وقالوا هنيئا لك يا رسول
وحق لهم ان يهنأوا بما هو اعظم ما هنئ به بشر صلوات الله وسلامه عليه فتأمل
وما ينبغي ان يعلم ان كل خصلة من خصال الفضل فقد احل الله سبحانه
رسوله صلى الله عليه وسلم في اعلاها وخصه بذروة سنامها فاذا احتجت
بحال فرقة من فرق الامة التي تفرقت تلك الخصال وتفاضلت على افضلها
على غيرها امكن الفرقة الاخرى ان تحتج به على افضلها ايضا فاذا احتجت
به الغزاة والمجاهدون على انهم افضل الخلق اذ احتج به العلماء والفقهاء
على مثل ما احتج به اولئك واذا احتج به الزهاد والمتخلون عن الدنيا
على افضلهم احتج به الداخلون في الدنيا طلبا لاقامة دين الله وسياسة الرعية
لاقامة دين الله وتنفيذ امره واذا احتج به الفقير الصابر احتج به
الغني الشاكر واذا احتج به العابد على افضل منه قال العبادة وترتيبها
احتج به العارف على افضل المعرفة واذا احتج به ارباب التواضع

والحلم احتج به ارباب العز والتهور للمبطلين والغلظة عليهم والبطش
بهم واذا احتج بها ارباب الوقار والهيبة والرزانة بها ارباب الخلق
الحسن والمزح المباح الذي لا يخرج عن الحق وحسن العشرة للاهل والا
صحاب واذا احتج بها اصحاب الصدع بالحق والقول به في المشهد والمجمع
احتج بها اصحاب المداراة والكياسة والكرم ان يبادروا الرجل بما يكرهه
في وجهه واذا احتج بها المتورعون على الورع المحض احتج بها المتيسرون
المسهلون الذين لا يخرجون عن سعة شريعتهم ويسرها وسهولتها
واذا احتج بها من صرف عنايته الى اصلاح دينه وقلبه احتج بها من
راعى اصلاح بدنه ومعيشته ودنياه فان صلاح امر عبده وشرعه
بصلاح الدنيا والدين واذا احتج بها من لم يعلق قلبه بالاسباب
ولا رآها اليها احتج بها من قام بالاسباب ووضعها من يده لوعلم انها
حقها واذا احتج بها من شبع وشكر ربه على الشبع واذا احتج بها من جاع
بالمعى والصبر والاحتمال احتج بها من انتهز في موضع الانتهاز واذا
احتج بها من اعطى سره ووالى به احتج بها من منع سره وعادى به واذا
احتج بها من يعلم شيئا لغيره احتج بها من يجهل لاهله وقومه سنة واذا
احتج بها من يأكل الخشن من الثوب والادم كخبز الشعير والخل احتج بها
من يأكل اللذيذ الطيب كالشواء والحلواء والفاكهة والبطيخ ونحوه
واذا احتج بها من سرد الصوم احتج بها من سرد الفطر فكان يصوم
حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم واذا احتج بها من رغب
عن الطيبات والمشتهيات احتج بها من اطيب ما في الدنيا وهو النساء
والطيب واذا احتج بها من لان جانبه وخفض جناحه لنسائه احتج بها
من اذهن والى منهن وطلق وهجر هن وخيرهن واذا احتج بها من
ترك مباشرة اسباب المعيشة بنفسه احتج بها من باشرها بنفسه
فاجر واستاجر وباع واشترى واستلف واداين ورهن واذا احتج

بها من يحتسب النساء بالكلية في الحيض والصيام احتج بها من يباشر امرأته
وهي حائض بغير الوطء ومن يقبل امرأته وهو صائم واذا احتج بها من
رجم اهل المعاصي بالقدر احتج بها من قام عليهم حد ولم اسرف فقطع السا
رق
ورجم الزاني وجلد الشارب واذا احتج بها ارباب الحلم بالظاهر
احتج بها ارباب السليقة العادلة المبنية على القرائن الظاهرة فانه
حبس في تهمة وعاقب في تهمة واخبر عن بني اسرائيل عليه السلام
انه حكم بالولد للمرأة بالقرينة الظاهرة مع اعترافها لصاحبتها
بها فلم يعمل بالاعتراف الذي ظهر له بطلانه لقرينة ترجم ابن
عبد الرحمن على هذا الحديث ترجمتين احداهما قال التي سعت للحا
كم
ان يقضي للشيء الذي لا يفعله افعل ليستبين الحق ثم قال الحكم
بخلاف ما يعترف به المحكوم عليه اذا تبين للحاكم ان الحق غير ما
اعترف به وكذلك الصحابة علموا بالقرائن في حياته وبعده فقال
علي رضي الله عنه للمرأة التي حملت كتاب حاطب لتخرجن الكتاب
او لاجردنك وحد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الزنا بالحبل وفي
الخمر بالرائحة وحكم الله سبحانه عن شاهد يوسف بحكاية تقرير
غير منكر انه حكم بقرينة شق القميص من دبر على براءته وقال
صلى الله عليه وسلم لابي ابي الحقيق وقد زعم ان النفقة اذهبت
كنز حيي بن اخطب العهد قريب والمال اكثر من ذلك فاعتبر قر
ينتين
والتي على بقاء المال وعاقبه حتى اقر به وجعل ولاة الامر يعملون
بحلفهم على رجل انه قتل ويقتلونه بها بناء على القرائن المرجحة
صدقهم وشرع الله سبحانه رجم المرأة اذا شهد عليها زوجها في
الملاعنة وابت ان تلاعن للقرينة الظاهرة على صدقه وشرع تعتير
طالحة بذلك لمن تأملها فالحكم بالقرائن الظاهرة من نفس

شريعته وما جاء به فهو حجة لقضاة الحق وولاة العدل كما انه حجة
على قضاة السوء وولاة الجور والله المستعان والمقصود بهذا
الفصل انه ليس الفقراء الصابرون بأحق به من الاغنياء الشاكرين
والحق الناس به اتبعهم لسنته واعلمهم بها وبالله
التوفيق الباب الخامس والعشرون في بيان المعاذير التي تبيح
والمنافية له وقد تقدم ان الصبر حبس اللسان عن الشكوى
الى غير الله والتلطف بالجوارح عن اللطم وشق الثياب
ونحوها كان ما يضاد هذا وقاطع هذه الجملة لمنة الشكوى الى المخلوق
فاذا شكا العبد ربه الى مخلوق مثله فقد شكى من يرحمه الى من لا يرحمه
ولا يضره الشكوى الى الله كشكاية يعقوب الى الله مع قوله
فصبر جميل واما اخبار المخلوق بالحال فان كان لاستعانة بارتفاعه
او معاونته والتوصل الى رفعه ضرورة لا يقدح ذلك في الصبر كما اخبار
المريض الطبيب بشكايته واخبار المظلوم لمن يتصور منه الخلاص و
اخبار المبتلى بلواه لمن يرجو ان يكون فرجه على يديه وقد كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا دخل على المريض يسأله عن حاله ويقول كيف تجدك
وهذا استخبار منه واستعلام لحاله واما الانين فهل يقدح في الصبر فيه
روايتان عن الامام احمد قال ابو الحسين اصحهما الكراهة لما روي عن
طاوس انه يكره الانين في المرض وقال مجاهد كل شيء يكتب على ابن آدم
ما يتكلم به حتى انينه في مرضه قال هو لله وان الانين شكوى بلسان
الحال ينافي الصبر وقال عبد الله بن احمد قال لي ابي في مرضه الذي
توفي فيه اخرج الي كتاب عبد الله بن ادريس فاخرجت الكتاب
فقال اخرج احاديث ليث بن ابي سليم فاخرجت احاديث ليث فقال
اقرأ علي احاديث ليث قال قلت لطلحة ان طاوسا كان يكره الانين
في المرض فاسمع له انينا حتى مات فاسمعت ابي آنا في مرضه ذلك
الى ان توفي في والرواية الثانية انه لا يكره ولا يقدح في الصبر

قال بكر بن محمد

قال بكر بن محمد عن ابيه سئل احمد عن المريض ليشكو ما يجد من
الوجع فقال يعرض في نفسه شيئا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
نعم حديث عائشة وارساله وجعل يستحسنه وقال المروذي دخلت
على ابي عبد الله وهو مريض فسألته فتغرغرت عيناه وجعل يخبرني
في مامر به في ليلته من العلة والتحقيق ان الانين على قسمين انين
شكوى فيكره وانين استراحة وتنزيح فلا يكره والله اعلم وقد
روي في اثر ان المريض اذا ابدا بحمد الله لم يكتب عليه شكوى
وقال شقيق البلخي من شكى مصيبة نزلت به الى غير الله لم يجد في
قلبه لطاعة الله حلاوة ابدا فصل والشكوى نوعان شكوى
بلسان الحال وشكوى بلسان المقال ولنبدأ اعلاها ولهذا امر
النبي صلى الله عليه وسلم من انعم عليه ان يظهر اثر نعمة الله عليه ولعلم
من ذلك من شكر ربه وهو يخبر فهذا امنت الملق عند ربه قال لا
علم احمد ما عبد الله بن يزيد بالهمز عن عبد الله بن شقيق قال
قال كعب الاحبار ان من حسن العمل سمحة الحديث ومن شر العمل
التحذيث قيل لعبد الله ما سمحة الحديث قال سبحان الله وبحمده في
خلال الحديث قيل فالتحذيث قال يصمت الناس بخير فيتالون
فيه عن الناس شر فصل وما ينافي الصبر شق الثياب عند المصيبة
ولطم الوجه والضرب باحدى اليدين على الاخرى وحلق الشعر و
الدعاء بالويل ولهذا برئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن حلق
وحلق وخرق حلق رفع صوته عند المصيبة وحلق رأسه وخرق
ثيابه ولا ينافيه البكاء والحزن قال سئل عن يعقوب وابيض عيناه
من الحزن وفهن كظيم قال قتادة كظيم على الحزن فلم يقل الا خيرا وقال
حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما كان من العين والقلب فمن الله
والرحمة وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان وقال هشيم

عبد الرحمن بن بكير عن حسان بن ابي الجبلة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من يشك فلم يصبر وقال خالد بن ابي عثمان مات بنو ابي فراس
بن جبير متقنعا فقال ايكم والتقنع فانه من الاستكانة وقال
عبد الله المزني كان يقال من الاستكانة الجلوس في البيت
حبيبة وقال عبيد بن عمير ليس الجزع ان تدمع العين وتحزن
القلب ولكن الجزع القول السيء والظن السيء ومات ابن
لمعاوية البصرة فاجتمع اليه العلماء والفقهاء فتذاكروا ما
جزع الرجل من صبر فاجمعوا انه اذا ترك شيئا كما كان يصنعه
وقال الحسين بن عبد العزيز الجروي مات عبد الله بن المبارك
ويزيد بن يزيد وهو يصلي وابنه في الموت فقال ابنك يقبض
فقال ان الرجل اذا كان له عمل يعمله فتركه من مرض او احدا
خللا في عمله وقال بانت اصيب عبد الله بن مطرف بمصيبة
فمن شيء صاره وطيب ريحا فذكرت له ما رايت منه فقال
يا ابا محمد ان استكنت للشيطان وارى انه قد اصابني سوء
محمد لو كانت لي الدنيا كلها ثم اخذها مني لم اصطبر شربة
سويق ما رايتها ثمنا لتلك الشربة وما يقدح في الصبر اظهار المصيبة
بها وكتمانها راس الصبر قال الحسن بن الصباح في مسنده
حدثنا سليم بن سليمان عن عبد العزيز بن ابي رواد عن
نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من البركتان
في الامراض والصدقة وذكر انه من يشتم الصبر ودوي
حديث انس يرفعه من كنوز البر كتمان المصائب وما صبر
احد لما نزل به في احد حين عطاء الماء مكث عشرين سنة
هلع حتى جاء ابنه يوما من قبل عينه فعلم ان الشيخ قد
اتاه الطاعون في فراشه فراه يزحف فقال انا لله وانا اليه راجعون
ما تعلم بهذا احدا وقد اقعد قبل ذلك بارجعة اشهر

لم يعلم بذلك احد وقال مغيرة شكى الاحنف الى عمر وجع ضرسه
فكبر ذلك عليه فقال ما تكره على الله ذهبت عيناه منذ اربعين سنة
فما شكوت بها الى احد فصل ويضاد الصبر الهلع وهو الجزع عند
ورود المصيبة والمنع عند ورود النعمة قال تعالى ان الانسان خلق
هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وهذا تفسير
الهلوع قال ابو عمرو الهلع الخرق الجزع وقد هلع بالكسر يهلع
هلعا وهلوعا وفي الحديث شر ما في العبد شح هالع وجبن قلت هذا
امر ان امر لمعنى وامر معنوي فاما اللغة فانه وصف الشيخ بكونه
هالعا والهالع صاحبه والكثير ما يسمى هلوعا ولا يقال هالع فانه لا يتحد
فيه وجهان احدهما انه من الكسب كمتن لم ليل يام وسر كاتم وتمار
صايم ويوم عاصف كله عند سيبويه على النسب اي ذو كذا قالوا
تامر ولابن والثاني ان اللغة غيرت عن بنائها للازدواج مع
خالع ولبن نظائر واما المعنى فان الشح والجبن اردف صفتين في العبد
ولا سيما اذا كان شحه العار يملو له في الهلع وجبنه خالعا اتقد
خلع قلبه من مكانه فلا سماحة ولا شجاعة ولا منع بالمروة ولا يبذله كما
يقال لا طمنه ولا حقنه ولا يطرد ولا يثير دبيل قد تمعه وصفره وجبره
ودساه الشح والخوف والظلم والنزع واذا اردت معرفة الهلوع فهو
الذي اذا اصابه الجوع مثلا اظهر الاستكانة واسرع بها واذا اصابه
الالم اسرع الشكاية واظهرها واذا اصابه القهر اظهر الاستظلام
والاستكانة وباء بها سريعا واذا اصابه الوجع اسرع الانطراع
على جنبه واظهر الشكاية واذا بدا له الرمد اخذ طرفه طارا اليه سريعا
واذا ظفر به لعلم من نفسه محل الروح فلا احتمال ولا افضال و
هذا كله من صغر النفس ودنائها وتدسيسها في البدن واخفائها
وتحقيرها وابو المستعان الباب السادس والعشرون في بيان
دخول الصبر والشكر في صفات الرب جل جلاله وتسميته بالصبور والشكور
ولم يكن للصبر والشكر من الفضيلة الا ذلك تكفي بها اما الصبر

اما الصبر فقد اطلقته عليه اعرف الخلق به واعظمهم تنزيها له بصيغة
المبالغة في الصحيحين من حديث الاعمش عن سعيد بن جبير عن
ابي عبد الرحمن السلمي عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما احد اصبر على اذى سمعه من الله عز وجل يدعون له ولدا
وهو معافيهم ويرزقهم وفي اسانيد الحسن الصبور وهو من اصيلة
المبالغة ابلغ من الصابر والصبار وصبره تعالى يفارق صبر المخلوق
ولا يماثله من وجوه متعددة منها انه عن قدرة تامة ومنها
انه لا يلحاق الفوت والعبد انما يستعمل الحلم في الفوت ومنها انه لا يلحقه
بصبره الم ولا ضرر ولا انتقاص بوجه ما وظهور اثر الاسم في العالم
مشهود بالعيان كظهور اسمه الحليم والفرق بين الصبر والحلم
ان الصبر ثمرة العلم ومن جبر فعل قدر حلم العبد يكون بصبره
فالحلم في صفات تعالى اوسع من الصبر ولهذا جاء اسم الحليم في
القرآن في غير موضع والسعيد من يتبرء بسماع اسم الحليم لقوله وكان
الله عليما حليما والله عليم حليم وفي اثر ان حملة العرش اربعة اثنان
يقولان سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واثنان
يقولان سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك
فان المخلوق يحلم عن جهل ويعفو عن قدرة عجز والرب تعالى
يحلم مع كمال العلم ويعفو مع تمام قدرته وما اضيف شيء الى شيء ازين
من حلم الى علم ومن عفو الى اقتدار ولهذا كان في دعاء الكرب
وصفه سبحانه بالحلم مع العظمة وكونه جليلا من لوازم ذاته سبحانه
واما صبره سبحانه فمتعلق بكفر العباد وشركهم ومسبتهم له سبحانه
وانواع معاصيهم وفجورهم فلا يزيد عجز ذلك كله الى تعجيل العقوبة
بل يصبر على عبده ويمهله ويستصلحه ويرفق به ويحلم عنه
حتى اذا ضاق فيه موضع للصنيعة ولا يصلح على الامهال والرفق
والحلم ولا يثيب الى ربه ويخلع عليه لا من باب الاحسان والنعم
ولا من باب البلاء والنقم اخذه اخذ عزيز مقتدر بعد غاية

الاعذار اليه وبذل النصيحة له ودعائه اليه من كل باب وهذا
كله من موجبات صفة حلمه وهي صفة ذاتية له لا تنزوك واما
الصبر فانه انما يتعلق بالافعال التي يوجد لها وجود
للحكمة وتزول بزوالها فتامله فانه فرق لطيف ما عبرت لهذا قط بعبارة
وقل من تنبه له ونبه عليه واشكل على كثير منهم بعين هذا الاسم و
قالوا لم يات في القرآن فاعرض عن الاشتغال بهذا وتمسك بما اشتغلوا
به الكلام في صبر العبد وانا سمعنا لو انهم اعطوا هذا الاسم حقه
لعلموا ان الرب تعالى احق بمعناه من جميع الخلق كما هو احق باسم العليم
والرحيم والقدير والسميع والبصير والحي والملك وسائر اسمائه
الحسنى من المخلوقين وان التفاوت الذي بين صبره وسماحته
وصبرهم كالتفاوت الذي بين حياته وحياتهم وعلمه وعلمهم
وسمعه واسماعهم وكذا سائر صفاته ولما علم ذلك اعرف خلقه
به قال لا احد اصبر على اذى سمعه من الله فعلم ارباب البصائر
ببصيرته سبحانه كعلمهم برحمته وعفوه وستره مع انه صبر مع كمال
علم وقدرة وعظمة وعزة وهو صبر عن اعظم مصبور عليه
وذاك متعلق اعظم العطاء وملك الملوك واكرم الاكرمين
ومع احسانه فوق كل احسان بغاية القبح واعظم الفجور
والخنا الفواحش ونسبته الى كل ما لا يليق تكبر والقدح في كماله
واسمائه وصفاته والالحاد في اياته وتكذيب رسله عليهم السلام
ومقابلتهم بالسب والشتم والاذى وتحريق اوليائه وقتلهم
واهانتهم امر لا يصبر عليه الا الصمد الذي لا احد اصبر منه
ولا نسبة لصبر جميع الخلق من اولهم الى اخرهم الى صبره سبحانه
واذا اردت معرفة صبر الرب تعالى وحلمه والفرق بينهما فتامل
مثل قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا

ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا
وقوله قالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات
والارض يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا
للرحمن ولدا وقرئ لترول منه الجبال على قراءة
من فتح اللام فاخبر سبحانه ان حلمه ومغفرته يمنعان زوال السموات
والارض فالحلم امسكهما وامساكهما ان تزولا ليس بزيادة هو
الصبر فالحلم صبر عن معاجلة المعاند ويرد في الآية اشعار بان
السموات والارض تهم وتستدان بالزوال لعلم ما يأتي به
العباد فيمسكهما بحلمه ومغفرته وذلك حبس عن متوقعة وهو
حقيقة صبره تعالى فالذي صدر عنه الامساك هو صفة الحلم و
الامساك هو الصبر وهو حبس العقوبة فرق بين حبس العقوبة
وبين ما صدر عند حبسها فتامله وفي مسند الامام احمد مرفوعا
ما من يوم الا والبحر يستاذن ربه ان يغرق بني ادم وهذا
مقتضى الطبيعة لان كثرة الماء يعلو كثرة التراب بالطبع ولكن
الله سبحانه يمسكه بقدرته وحلمه وصبره وكذلك حركة الجبال و
تنظير السموات الربح سبحانه يحبسها عن ذلك بصبره وحلمه فان ما
يأتي به الكفار والمشركون والفجار في مقابلة العظمة والجلال
والاكرام يقتضي ذلك فجعل سبحانه في مقابلة هذه الاثار اسبابا
يحبها ويرضاها ويفرح بها اكمل فرح وانمه يقابل تلك الاسباب
وقاومتها وكان هذا من اثار الرحمة اثر مدافعة رحمته لغضبه
وغلبتها له وسبقها اياه فغلب اثر الرحمة اثر الغضب كما غلبت
الرحمة الغضب ولهذا استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم بصفة
الرضى من صفة السخط وبفعل المعافاة من فعل العقوبة تارة جمع
الامرين في الذات اذ هما قائمتين بها فقال اعوذ برضاك من
سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك فان

ما يستعاذ به هو صادر عن مشيئته وخلقه باذنه وقضائه
فهو الذي اذن في وقوع الاسباب التي يستعاذ منها خلقا وكونا
وهو الذي يعيذ منها ويدفع شرها خلقا وكونا فمنه السبب
والمسبب هو الذي يحرك الانفس والابدان واعطاها قوى التاثير
وهو الذي يمسكها اذا شاء ويحول بينها وبين اظهار تاثيرها
فتامل ما تحت قوله اعوذ بك منك من تحقيق التوحيد وقطع
الالتفات الى غيره وتكميل التوكل عليه تعالى والاستعانة به وحده
وافراده بالكلية بالرجاء ودفع الضر وجلب الخير وهو الذي يمس
بالضر بمشيئته وهو الذي يدفع بمشيئته وهو المستعاذ بمشيئته
بمشيئته وهو المعيذ من فعله بفعله وهو سبحانه الذي خلق ما
يتضرر عليه ويرضى به فاذا اعتصم معاصي الخلق وكفرهم وشركهم و
ظلمهم ارضاه تسبيح ملائكته وعباده المؤمنين له ورحمهم اياهم اطاعة
عنهم له فيعيذ رضاه من غضبه قال عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه ليس عند ربكم ليل ولا نهار نور السموات والارض من نوره
وجهه وان مقدار يوم من ايامكم عنده ثنتا عشرة ساعة فرض
عليه اعمالكم بالامس اول النهار اليوم فينظر فيها ثلاث ساعات
فيطلع منها على ما يكره فيغضب ذلك فاول من يعلم بغضبه حملة العرش
يجدون ذلك على وجوههم فيسجد حملة العرش وسرادقات العرش وللملائكة
كتبة المقربون سوى سائر الملائكة حتى ينسخ جبريل في القرآن فلا يترك
حتى يسمع صوته فيسجدون الرحمن ثلاث ساعات حتى يعلم الرحمن رحمته
قبل ست ساعات قال ثم يوفق بالارحام فينظر فيها ثلاث ساعات
فذلك قوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء يهب لمن
يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما فتلك
تسع ساعات ثم يوفق بالارزاق فينظر فيها ثلاث ساعات فذلك
قوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقوله كل يوم هو في شان قال
هذا شانكم وشان ربكم رواه ابو القاسم الطبراني في

في السنة وعثمان بن سعيد الدارمي وشيخ الاسلام الانصاري وابن
منده وابن خزيمة وغيرهم ولما ذكر سبحانه في سورة الانعام اعلاه
وكفرهم وشركهم به وتكذيب رسله ذكر اثر ذلك شأن خليله ابرهيم
وما اراه من ملكوت السموات والارض وما حاج به قومه في اظهار
دين الله وتوحيده ثم ذكر الانبياء من ذريته وانه هداهم واياهم
الكتاب والحكم والنبوة ثم قال فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما
ليسوا بها كافرين فاخبر انه سبحانه قاهر في الارض من يكفر به
ويجحد توحيده ويكذب رسله كذلك جعل فيها من عباده من يؤمن
بالكتاب ويصدق به كذلك بواسع فضله من حرمانه ما اضاعوه
وبهذا تماسك العالم العلوي والسفلي والا فلو اتبع الحق اهواء العباد
لفسدت السموات والارض ومن فيهن وخرب العالم وهذا جعل
سبحانه من اسباب خراب العالم رفع الاسباب الممكنة له من الارض
وهي كالامداد بالمدد والتأييد به فلا يتفق لتلك الاسباب المقتضية
لخراب العالم اسباب تتلافاها وتمانعها ولما كان اسم الحليم ادخل في
الاوصاف واسم الصبور في الافعال كان محل اصل الصبر فوق الاستغناء
بذكره في القرآن عن اسم الصبر واشتقاقه منه واما تسمية سبحانه
بالشكور فهو في حديث ابي هريرة وفي القرآن تسميته شاكرا قال
وكان الله شاكرا عليما وتسميته ايضا شكورا قال لنحوا واشكروا لي
وقال تعالى ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا فجمع لهم سبحانه
بين الامرين ان شكر سعيهم واثابهم عليه والله تعالى يشكر عبده اذا
احسن طاعته ويغفر له اذا تاب اليه فجمع للعبد بين شكره لاحسانه
ومغفرته لاساءته انه غفور شكور وقد تقدم في الباب السابع
ذكر حقيقة شكر العبد واسبابه ووجوهه واما شكر الرب تعالى
فله شأن اخر شأن ضبره فضلا وفي بصفة الشكر من كل شكور بل هو
الشكور على الحقيقة فانه يعطي العبد ويغفر لما يشكره عليه ويشكر
القليل من العمل والعطاء فلا يستقله ان يشكره ويشكر الحسنة بعشر
امثالها الى اضعاف مضاعفة ويشكر عبده بقبول له بان يثني عليه

بين ملايكته

بين ملايكته وفي ملايه الاعلا ويقبل له الشكر بين عباده ويشكره بفضله
فاذا ترك له شيئا اعطاه افضل منه واذا بذل له شيئا رده عليه اضعافا
مضاعفة وهو الذي وفقه للترك والبذل وشكره فيشكره على هذا
وهذا ولما عقر نبي سليمان الخيل غضبا لله اذ شغلته عن ذكره فاراد
ان لا تشغله مرة اخرى اعاضه عنها من الريح ولما ترك الصحابة ديارهم
وخرجوا منها في مرضاة الله اعاضهم منها ان ملكهم الدنيا وفتحها عليهم
ولما دخل اخوة يوسف الصديق ضيق السجن عليه شكر له ذلك بان مكنه
في الارض يتبوأ منها حيث يشاء ولما بذل الشهداء ابدانهم لله حتى
مزقتها العداة شكر لهم ذلك بان اعاضهم منها طيرا خضرا اقرارها
فيها تردد انهار تعتريها وتاكل من ثمارها الى يوم البعث فيردها عليهم
اكمل ما يكون في جسمه واجوده ولما بذل رسله اعراضهم لنبيه لاعدائهم
فنالوا منهم وسبوهم اعاضهم من ذلك ان صلى عليهم هو وملايكته و
جعل لهم ان يصلي شاء في سمائه وبين خلقه فاحلهم بهذا الصلاة ذ
كر الدار لا يضيع اجر من احسن عملا ولو انه مثقال ذرة من شكر
سبحانه انه يجازي عبده بما يفعله من الخير والمعروف في الدنيا ويخفف
به عنه يوم القيمة فلا يضيع عليه ما يعلمه من الاحسان وهو من ابغض
خلقه اليه ومن شكره انه عفر للمرأة البغي بسقيها كلبا كان قد جهده
العطش حتى اكل الكثرى وغفر لاخر بتنحيته غصن شوك عن طريق المسلمين
فهو سبحانه يشكر العبد على احسانه الى نفسه والمخلوق انما يشكر من
احسن اليه وابلغ من ذلك انه سبحانه هو الذي اعطى العبد ما يحسن
به الى نفسه وشكره عليه بل شكره على قليله بالاضعاف المضاعفة
الى لا نسبة لاحسان العبد اليها فهو المحسن باعطاء الاحسان والمثيب
باعطاء الاحسان واعطاء الشكر فمن احق باسم الشكور منه سبحانه وتامل
قوله سبحانه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما
كيف تجد في ضمن هذا الخطاب ان شكره تعالى يابى تعذيب عباده
ستدعى بغير جرم كما يابى اضاعة سعيهم باطلا فالشكر لا يضيع

اجر المحسن ولا يعذب غير مسيء وفي هذا رد لقول من زعم انه سبحانه يكلف
عبده ما لا يطيقه ثم يعذبه على ما لا يدخل تحت قدرته تعالى الله عن
هذا الظن الكاذب والحسبان الباطل علوا كبيرا فشكره سبحانه اقتضى
ان لا يعذب المؤمن الشكور ولا يضيع عمله وذلك من لوازم هذه
الصفة فهو منزه عن خلاف ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقايص
التي تنافي كماله وغناه وحمده ومن شكره سبحانه انه يخرج العبد من النار
بادنى مثقال ذرة من خير ولا يضيع عليه هذا القدر ومن شكره سبحانه
ان العبد من عباده يقوم له مقاما يرضيه بين الناس فيشكره لديهم
بذكره ويخبر به ملايكته وعباده المؤمنين كما يشكر لمؤمن القرعوص
ذلك المقام واثنى عليه ونوه بذكره بين عباده وكذلك شكره لصاحب
ياسين مقامه ودعوته اليه فلا يهلك عليه بين شكره ومغفرته الا
هالك فانه سبحانه غفور شكور يغفر الكثير من الزلل ويشكر القليل
من العمل ولما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة كان احب
خلقه اليه من اتصف بصفة الشكر وان ابغض خلقه اليه من
عطلها واتصف بضدها وهذا كما ان اسمائه الحسنى احب خلقه
اليه من اتصف بموجبها وابغضهم اليه من اتصف باضدادها وهذا
يبغض الكنود والظالم والجاهل والقاسي القلب والبخيل والجبان
والمهين واللئيم وهو سبحانه جميل يحب الجمال عليم يحب العلماء رحيم
يحب الراحمين محسن يحب المحسنين شكور يحب الشاكرين صبور
يحب الصابرين جواد يحب الجود ستير يحب اهل الستر قادر يلوم
على العجز والمؤمن القوي احب اليه من المؤمن الضعيف عفو يحب
العفو ويحب الوتر وكل ما يحبه فهو من اثار اسمائه وصفاته وهو
يحبها وكل ما يبغضه فهو مايضاده وينافيها فصل يا من عز على
السفر الى الله والدار الاخرة قد دفع لك علم فشمر اليه فقد امكن التشمير
واجعل سيرك بين مطالعة منته وعيب النفس والعمل والتقصير
فما ابتر مشهد النعمة والذنب للعارف من حسنة يقول هذه مجيئي
من عذاب السعير ما المعول الا على عفوه ومغفرته فكل احد اليها فقير

ابو بكر بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي انا المذنب المسكين وانت
الرحيم الغفور ما تشاوري اعانك لو سلمت ما يبطلها ادنى نعمة من
نعمة عليك وانت مرتهن بشكرها من حين ارسل بها اليك فهل ترتجيها
بالله حق رعايتها وهي في تقربك وطوعك بنيك فتعلق بحبال الرجا
وادخل من باب التوبة والعمل الصالح انه غفور شكور نهج للعبد
طريق النجاة وفتح له ابوابها وعرفه طرق تحصيل السعادة واعطاه
اسبابها وحذره من وبال المعصية واشهده على نفسه وفي غير
شيء منها وعتابها وقال ان اطعت تفضلت وانا اشكر وان عصيت
فبقضائي وانا اغفر ان ربنا لغفور شكور تزاح عن العبد العلل
وامره ان يستعين به من العجز والكسل ووعده ان يشكر له القليل من
العمل ويغفر له الكثير من الزلل ان ربنا لغفور شكور اعطاه ما
يشكر عليه ثم شكره على احسانه الذي هو لاجل احسانه اليه ووعده على
احسانه ان يحسن جزاءه ويقربه لديه وان يغفر له خطاياه اذا تاب
منها ولا يفتضحه بين يديه ان ربنا لغفور شكور وثبت بعفوه
هفوات المذنبين فوسعها وعفت بكرمها اثام المجرمين فاقطع
طمعها وخرقت السبع الطباق دعوات التائبين والسائلين فسمعها
ووسع الخلائق عفوه ومغفرته ورزقه فما من دابة في الارض الا على
الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها ان ربنا لغفور شكور يجود
على عبيده بالنوال قبل السؤال ويحب سؤاله ويرضى عليه فوق ما تعلقت
به منهم الامال ويغفر لمن تاب اليه ولو بلغت ذنوبه عدد الاموج
والحصا والتراب والرمال ان ربنا لغفور شكور ارحم بعباده من
الوالدة بولدها وافرح بتوبة التائب من الفاقد لراحلته التي
عليها طعامه وشرابه في الارض المهلكة اذا وجدها واشكر للقليل
من جميع خلقه من تقرب اليه بمثقال ذرة من الخير شكرها وحمدها
ان ربنا لغفور شكور تعرف الى عباده باوصافه واسمائه ويحب

ميكرو فيلم رقم

عنوان المصنف : بهجة المصايرين وزهرة الناظرين

اسم المؤلف : ابن قيم الجوزية

١٥٢ ورقة

مصور عن النسخة المخطوطة محفوظة بدار الكتب القومية

تحت رقم ٢١٥٩ تصوف